مكتبة الأسرة 1999

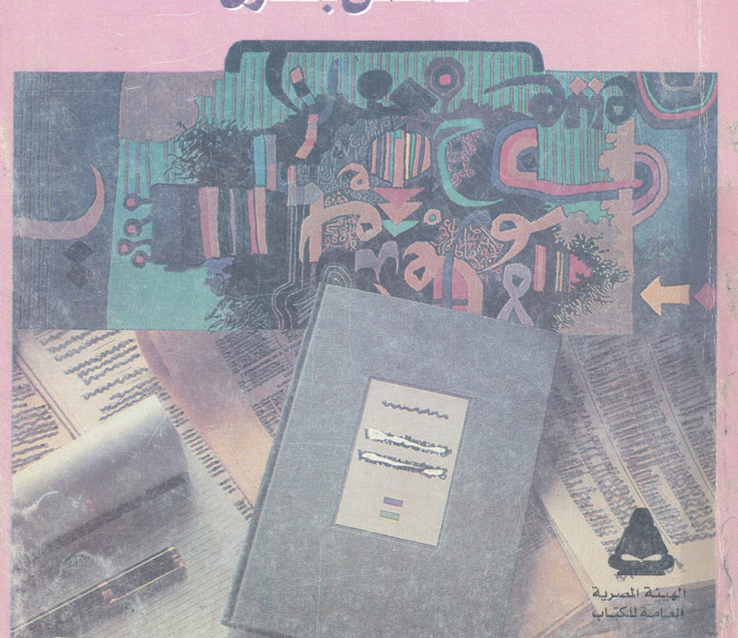
مهرجان القراءة للجميع

الأعمال الخاصة

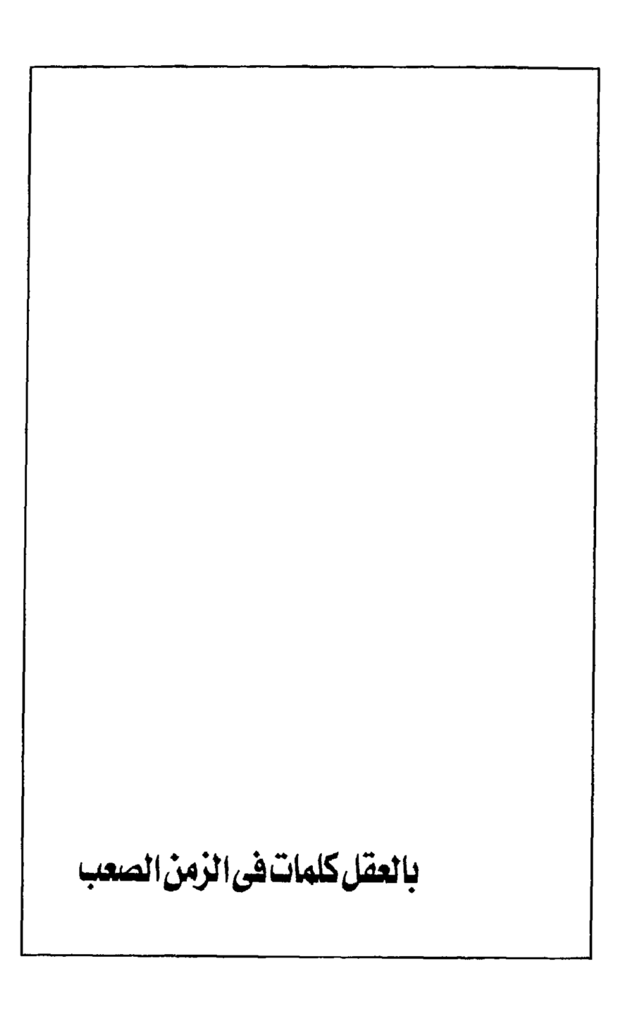
بالعقل

كلمات فى الزمن الصعب

مصطفى بكرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب



بالعقل كلمات فى الزمن الصعب

بالعقل
كلمات فى الزمن الصعب

مصطفى بكرى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

بالعقل كلمات فى الزمن الصعب

مصطفى بكرى

الجهات المشاركة:

جميعة الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلي للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

مقدمة

هذه كلمات من القلب، أرسم حروفها بقطرات الدم، أصوغ مفرداتها بمشاعر وأحاسيس، أذرف الدمع على الأوراق، أكمل العبارة كأنه النصر، أعانق العقل مع الضمير، وقبل أن أدفع بها إلى المطبعة أنام قرير العين، تاركا ردود الفعل إلى حيث تريد..

أعرف أن للزمن الصعب مقتضياته، وأن واقع اليوم هو غير واقع الأمس، ولكننى أدرك أن للحقيقة وجهاً واحداً، وأن الثوابت لا تقبل التغيير أو التبديل، وأن التكتيك يجب ألا يتعارض مع الهدف الاستراتيجى بأى حال من الأحوال.

منذ سنوات طوال، هناك فى صعيد مصر، حيث الأحلام الصغيرة، كانت الأمنية أن أمسك بالقلم، أن أكتب للناس ومن أجل الناس، أن أراعى «اللهَ» ومصلحة الوطن فى كل حرف أخطه على الورق، وأشهد أن هذا العصر (عصر مبارك) أتاح لى ولغيرى حق أن نكتب بلا رقيب وأن نناقش قضايانا فى الهواء الطلق، وأن نذهب إلى بيوتنا آمنين.

وفى ظل الرحلة التى استمرت لأكثر من ثمانية عشر عاماً فى بلاط صاحبة الجلالة واجهت العديد من الصعاب والأزمات لكن مواقف الرئيس كانت دوماً منحازة إلى خيار الحرية، وربما يكون ذلك هو العامل الأساسى وراء استمرارى واقفاً على قدمى حتى الآن..

كانت الوشايات عديدة، وكانت الأزمات معقدة، وكانت العواصف أشد لكننى كنت دوماً على يقينٍ بأن مبارك لن يستمع إلا لصوت الحقيقة، وأنه ليس من هؤلاء الحكام الذين يخضعون أحكامهم لانفعالاتهم وأمزجتهم الشخصية.

وعندما تم العصف بى من رئاسة تحرير صحيفة «الأحرار» اليومية، وانطلقت الحرب من كل اتجاه، كنت أدرك أن الباب لم يغلق أمامى، وأن الرئيس لن يعترض على تأسيسى لصحيفة جديدة.

وجاءت «الأسبوع» حلماً طال انتظاره، صحيفة مستقلة تفتح أبوابها لكل الوطنيين، نكتب فيها بحرية وانطلاق، ننتقد السلبيات ولا نحتكر الحكمة، نشيد بالإيجابيات ونتمنى المزيد.

وقد دخلت «الأسبوع» معارك عديدة كانت أبرزها معركة التمويل الأجنبى لبعض منظمات حقوق الإنسان ومعركة مقاومة التطبيع والحرب على الفساد وكلها معارك وجدت صدًى كبيراً لدى الشارع ولدى صناع القرار.

وهكذا عزيزى القارئ فالكلمات التى يضمها هذا الكتاب متنوعة كتبتها على مدى أكثر من عامين ونصف عام هو عُمر «الأسبوع»..

متمنيا بذلك أن أكون قد عبَرتُ عن بعض ما يجيش فى الصدور من معاناة وآمال وأحلام.

مصطفى بكرى

سلاح المقاومة

علمنى والدى وأنا صغير أن أكره إسرائيل.. كان يحكى لى كيف ذبحوا أهلنا فى دير ياسين وكفر قاسم، حكى لى عن مؤامراتهم مع فرنسا وانجلترا عام ١٩٥٦ .. كنت أرى الدموع فى عينيه وهو يتألم حسرة على الأرض التى سلبت والدماء التى سالت.

كنت اتساءل منذ الصغر: لماذا لا يتوحد العرب؟ لماذا لا نعد جيشا قويا ونهزم به أعداءنا؟ لماذا نترك أشقاءنا فى فلسطين وحدهم؟ لماذا نسمح لإسرائيل أن تتمدد وتستولى على الأراضى؟ لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

كانت الاسئلة تزاحمنى، وكانت الإجابات منقوصة دائما، كنت افتش بين الأوراق والكتب، أبحث عن كلمات تشفى غليلى، عن آمال عريضة سقطت من دفاتر التاريخ، عن زمن قادم طال انتظاره.

كبرت وكبر معى الحلم، تراكمت المآسى، وازدادت المؤامرات.. مازالت وجوه شهدائنا فى أبى زعبل وأطفالنا فى بحر البقر تسيطر على

ذاكرتى، كأن الحادث وقع بالأمس، كأن الدماء لم تجف بعد، كأننى أسمع نواح الأمهات وآلام الجرحى وصرخات القتلى.

مضت الأيام ثقيلة على النفس، كنت أحلم كغيرى بيوم التحرير، كانت الدماء تغلى فى عروقى، والنار تشتعل فى كيانى، كنت مهموما منذ الصغر بالثأر، تمنيت لو كنت شابا يافعا لأتطوع فى جيشنا الباسل وجاءت اللحظة.. عبرنا، وانتصرنا، كان هتاف الله أكبر يدوى فى عنان السماء، كانت الأرض ترقص طربا تحت أقدامنا، عادت إلينا العزة وشعرنا بالكرامة، رأيت الابتسامة تكسو وجه والدى فرحاً، كأنه حقق الانتصار بيديه، فأدركت كم هو يحب الوطن.

ولم يكن النصر نهاية الطريق، بل إن الصهاينة سعوا إلى قطف ثماره قبل الأوان، مضوا فى مخططاتهم، اشعلوا نار الحرب فى لبنان، ضربوا المفاعل النووى العراقى، كسروا عظام الفلسطينيين بيد رابين وعصابته، أحرقوا الأطفال فى قانا بيد شيمون بيريز وجيشه، دمروا المنشآت الاقتصادية ومحطات الكهرباء منذ أيام قليلة فى لبنان وقتلوا وجرحوا العشرات، كيف تريدون منا أن ننسى القدس ويافا وعكا؟ كيف تريدون منا أن نغمض العين عن مجزرة الحرم الإبراهيمى؟ هل نسيتم الذين قتلوا وهم يؤدون الصلاة؟ ماذا فعل العالم لنا؟ لا شئ.. نعم لا شيء.

تقولون السلام ومن منا يكره السلام؟ من منا يريد الحرب والقتال والدموع؟ لكن هناك فرقا كبيرا بين السلام والاستسلام، السلام يعنى عودة الحقوق العربية إلى أصحابها، أما الاستسلام فهو الصمت والخنوع والمذلة والقبول بالأمر الواقع.

إن «إسرائيل» لا تفهم سوى لغة القوة، هذه اللغة هى وحدها القادرة على الردع، وإرغام المحتل على البحث عن حلول، وارضاء الطرف الآخر، أما لغة الكلام فهى لا تسمن ولا تغنى من جوع.

وعندما لجأ أصحاب الحق إلى لغة التفاوض قلنا إن من يمتلك عناصر القوة هو الذى سيفرض شروطه، وهكذا استمرت المفاوضات سنوات وسنوات دون جدوى، وأصبحت إسرائيل تراهن على عامل الوقت فى فرض الأمر الواقع، منحتنا الفتات من حقوقنا بشروط متعسفة، وهى تهدد دوما بأنها قادرة على إعادة الأرض التى سلمت إلينا من جديد.

وفى تقديرى، فإن كل القادة الإسرائيليين يعملون فى سياق الفكرة الصهيونية بالأساس، لا فرق هنا بين اسحق شامير واسحق رابين، ولا بين باراك ونتنياهو، قد تختلف الأساليب ولغة الخطاب، لكن الثوابت تبقى واحدة

خذ على سبيل المثال لاءات باراك التى أعلنها خلال مباحثاته الأخيرة مع الرئيس كلينتون: لا لتقسيم القدس، بل ستبقى عاصمة موحدة للدولة الإسرائيلية، لا لإقامة جيش أجنبى - يقصد فلسطينى - غرب نهر الأردن، لا للعودة إلى حدود يونيو ١٩٦٧، لا لتفكيك المستوطنات. أليست تلك هى ذاتها لاءات نتنياهو وبيريز-وشامير وبيجين وجولدا مائير؟!!

لقد شاهدنا بأعيننا كيف هدد نتنياهو ياسر عرفات باقتحام الأراضى الفلسطينية المحررة إذا ما أعلن قيام الدولة الفلسطينية فى الرابع من

مايو الماضى.. وقبيل أن يتراجع عرفات كانت النصائح العربية والغربية والأمريكية قد حاصرته من كل اتجاه تطالبه بالتوقف عن هذه الخطوة وتأجيلها إلى وقت لاحق.

وهكذا يتضح لنا جميعا أن ما يجرى ليس أكثر من مسرحية هزلية صاحب القرار الوحيد فيها حكام إسرائيل، وليس أحدا غيرهم، فهم الذين يمتلكون عناصر القوة والتأثير، وهم الجادون فى تنفيذ تهديداتهم وهم على ثقة بأن أحدا لن يجرؤ على الكلام.

من هنا أقول إن الأيام ستثبت أن بارك أشرس من نتنياهو وأشد عنفا ورقاحة، وأن القاتل السابق لم يلق بسلاحه بعد، وأن السلام فى نظره يعنى فرض الهيمنة والحصول بالتفاوض على المكاسب التى لم تستطع حكوماته الحصول عليها بالحروب.

لكل ذلك أقول إن خيارنا الوحيد كجماهير شعبية هو المقاومة ودعم المواقف الوطنية للرئيس مبارك فى دفاعه عن الحق العربى ورفضه التفريط رغم الضغوط العنيفة التى تمارس ضده. إن اصرار الرئيس مبارك على رفض زيارة إسرائيل رغم مرور أكثر من سبعة عشر عاما، على توليه السلطة فى مصر، لهو أمر يثير الفخر والاعتزاز لدينا، ويكشف عن هوية ووطنية هذا المقاتل الذى لم ينس أن للأمة حقوقا مغتصبة، وأن السلام ليس مجرد تسجيل مواقف فحسب، بل هو اجراءات عملية يجب أن تتخذ.

إننى عندما أتأمل مواقف الرئيس، والضغوط التى تمارس عليه ومقاومته فى المقابل، أدرك أن الرئيس يحترم إرادة الشعب، ولا يفرط

بسهولة كغيره من الحكام، ويسعى دوما إلى تحقيق أكبر قدر من المكاسب لحساب الوطن والأمة، فى مقابل أقل قدر من الخسائر.

إن معركة مقاومة التطبيع والمطبعين يجب ألاتتوقف، فالطريق طويل وشاق، وهى بدأت تتصاعد فى كل بيت من بيوت الوطن، لأنها معركة الدفاع عن الثوابت والأمن القومى، معركة الدفاع عن التاريخ والشرف والكرامة العربية.

إذا كنا متفقين على أن هذه الأمة مستهدفة، فعلينا أن نوظف كل آليات المقاومة للذود عن تراب الوطن وهويته وحضارته، يجب ألا نستسلم، حتى لو استسلمت كل الحكومات العربية قاطبة، يجب ألا نركن إلى الراحة والأمة تنزف، يجب ألا نخضع للتهديدات التى تحملها إلينا الموجة العاتية، فتراب الوطن وشرفه أهم لدينا من كل شئ.

لقد أثبتت المعركة الأخيرة مع سفهاء التطبيع أن مصر العظيمة لاتزال على العهد، وأن نظامها الوطنى لايزال معبرا عن نبض الشارع وأن ذاكرة المصريين لاتزال حية، وأن أكثر من عشرين عاما من سياسة التطبيع لم تولد إلا مزيدا من الكراهية والعداء.

إن مصر بلد محب للسلام، والسلام بالنسبة لنا خيار استراتيجى، ولكن أى سلام؟ ومع من؟ مع القتلة والجزارين، مع خونة العهود المتآمرين، أم مع أناس يحترمون كلمتهم ولا يحتلون أراضى غيرهم؟

إن المعلومات المنشورة فى هذا العدد، والتى تكشف عن مؤامرة تحاك فى الظلام ضد «الاسبوع» وضدى شخصيا، لن تزيدنا إلا اصرارا وعنادا على مواقفنا الثابتة من هذا الكيان العنصرى المجرم.

إن حياتنا لن تكون أغلى من حياة شهداء الوطن الذين دفعوا أرواحهم ثمنا لحبة من تراب مصر العظيمة.

إننا نخوض هذه المعركة دفاعا عما نراه صحيحا وفى وطن يتمتع فيه الجميع بالحرية وفى ظل النظام لا يستطيع أحد أن يزايد على حرصه على الدفاع عن ثوابت الأمة.. لكل ذلك فالمعركة لن تتوقف، والتطبيع لن يمر إلا على أجسادنا.

إننا سنواصل كشف الذين يتاجرون بالوطن مقابل الدولارات الرخيصة، سواء كان هؤلاء من المطبعين، أو من هؤلاء الذين يتاجرون بالأبحاث وما يسمونه حقوق الإنسان على أعتاب السيد الأمريكى والبريطانى والصهيونى.

إن اللحظات التى تمر بها مصر والأمة حاليا هى لحظات تاريخية، والرهان على المعتدين والمستعمرين هو رهان خاسر، والخيار الوحيد أمامنا هو المقاومة...

نعم المقاومة فى مواجهة الاختراق

المقاومة فى مواجهة الهيمنة

المقاومة فى مواجهة الخائنين والمطبعين.

العدد ١٢٧

١٩/٧/١٩٩٩م

الحلم العربى

ها أنت تعود، تمسك بتلابيب الحياة من جديد، تطوى صفحة الهزيمة، تركب الصعب، تعبر المستحيل ، ترفع الراية، تهتف بقوة الله أكبر، المجد لمصر.. الله أكبر، المجد للعرب..

- سنوات طوال ونحن فى الانتظار.. أتراك كنت ترى الحزن فى العيون؟ أتراك كنت تشعر بالانكسار وانهيار الحصون؟ كنا نتألم، لكننا لم نفقد الأمل ـ منذ زمن طويل ونحن نمسك بتراب الأرض، ندس فيها أنفاسنا،نقسم فى مساجدها وكنائسها أننا لابد منتصرون..
- يا أيها الجندى العظيم يا أيها الشعب المصرى البطل، أراك تخرج من عباءة النكسة والهزيمة، تصنع الحلم العربى، تفرحنا، تبكينا تجعل رؤوسنا تناطح السماء من جديد..
- هآنذا اسمع صرخاتك فى ميدان القتال، كأن المعركة لاتزال قائمة، وكأن قعقعة السلاح لاتزال تدوى فى الآذان، هاهو الحلم يتجسد، يعتلى منصة الواقع، يصرخ فينا حتى لاننسى، يذكرنا بوجهه الصبوح..

● من بين ركام المعركة يطل علينا وجه عبد المنعم رياض، وسيد زكريا خليل، وإبراهيم الرفاعى، وأحمد حمدى، وشهداء عديدين ضحوا دون انتظار لكلمة شكر من أحد.. لم ينتظروا الأوسمة والنياشين، لم يهربوا من الميدان ويتركوا المعركة، لم يصنعوا بطولات وهمية، كانوا رجالا واستشهدوا رجالاً..

● يا أيها الشهداء الأبرار أنتم خيرنا، أنتم الأعظم، أنتم تحبون هذا الوطن أكثر، دماؤكم روت حبات أرضنا، كفاحكم حقق انتصارنا..

● فى هذا اليوم منذ خمسة وعشرين عاماً، حققنا المعجزة، دمرنا أسطورة هذا الذى لايقهر، لم نمتلك مثل ما يمتلكون من أسلحة، لم يكن وراءنا من سند سوى الله والشعب، لكننا انتصرنا.. هل تعرفون السبب؟ إنه الإيمان..

● نعم الإيمان ياشعب مصر.. الإيمان ياخير أمة أخرجت للناس، هذا سلاح يعيد الثقة بالنفوس، يسقط أعتى الامبراطوريات، يجعلنا أسوداً فى الميدان، نقاتلهم ونحن على يقين من النصر، نواجههم ونحن واثقون بتحقيق المجد..

● احكوا لأطفالكم يا أشقاء وقائع أيام هى الحياة، ازرعوا فى نفوسهم حب هذا الوطن، حذروهم من التطبيع مع الصهاينة الأعداء.. دسوا فى عقولهم أن مصر جزء من الأمة، وأن التضحية لأجل الوطن فرض عين على كل مصرى.

● اقرأوا لهم سيرة هؤلاء الذين حاربوا وبرعوا فى الحرب، قولوا لهم ماذا فعل حسنى مبارك؟ وماذا فعل أحمد إسماعيل وسعد الشاذلى، وماذا

فعل الجمسى؟ وكيف خطط صلاح المناوى؟ وكيف تحدى محمد على فهمى؟ وكيف قاتل أحمد بدوى، وفؤاد عزيز غالى وعبدالمنعم واصل، وعبد المنعم خليل، وتحسين شنن، وحسن أبو سعدة، وعشرات، بل ومئات، بل آلاف آخرون؟

- احكوا لهم عن أيام طوال قضاها عبدالناصر وإلى جواره الفريق محمد فوزى يبنون الجسد انتظاراً للحظة التى اتخذ قرارها أنور السادات.

- احكوا لهم تاريخ مصر بحيدة وموضوعية، فحضن الوطن يتسع للجميع فكم هو رائع أن يشعر الجميع بالعدل، وأن أحداً لن ينسى أدوارهم مهما تكن الخلافات، ومهما تعددت الأخطاء.

- دعونا نطو صفحة قديمة، دعونا نبن مجتمعا يحفظ أبناءه ولا يدفع بهم إلى حائط اليأس والإحباط..

- كم هو رائع أن نرى فى الحفل أبو غزالة، والجمسى، ومحمد على فهمى إلى جوار القادة الحاليين، شعرت ساعتها بأن مبارك يعيد إلينا قيماً جميلة وروائع نبيلة تعكس حرصه الشديد على كيان هذا الوطن، وأتمنى أن يأتى العام القادم لنرى سعد الشاذلى إلى جوارهم.

- فى كلمته كان الرئيس حريصاً على أن يذكر دور الجميع، لم يسع إلى احتكار النصر فى شخصه، بل تحدث عن عبدالناصر، وعن السادات، وعن القادة والجنود.

- إنها أخلاق الفرسان ولغة الكبار، تفتح الطريق أمام المزيد، تداوى الجراح، وتعيد الوعى إلى الغائبين..

● كانت كلماته أمس الأول تعبيراً عما يجيش فى الصدور، مصر ستظل مرفوعة الرأس خالدة الذكر بين الأمم إلي أبد الآبدين.. نعم نريدها كذلك يا سيادة الرئيس إلى أبد الآبدين.

● صفق الحاضرون لكلمات اشتقنا إليها كثيرا، رسمنا صورة الحاضر، والمستقبل والرئيس يتحدث عن القوة التى تحمى السلام.

● اطمأن قلبى وأنا أقرأ حديثه في جريدة القوات المسلحة «قواتنا وصلت إلى مستوى لم تصل إليه طول تاريخها المعاصر ، مستمرون فى تطوير قواتنا، والقوة ليست حكراً على أحد، لن ننسى دروس أكتوبر، لأنها تسرى فى وجداننا، وتمنحنا الثقة لتحقيق أهدافنا، من الخطأ أن نركن لحسن النية فى القضايا المصيرية».

● وقفت أصفق وأنا أقرأ كلماتك عندما تقول: «لا يثيرنا ولا يخيفنا أى ضغط ولدينا ما نضغط به فى الوقت المناسب».

● نعم شعرت بالأمان أدركت كما أدرك غيرى أن القائد لا ينام، وأنه يعمل فى صمت من أجل مواجهة التحديات، أيقنت أن الوطنية تسرى فى الدماء تترجم بالفعل وليس بالكلمات..

● إن الحديث المطول الذى أدلى به الرئيس مبارك لجريدة «القوات المسلحة» هو وثيقة يجب أن تدرس حتى يعى الجميع أن بطل حرب أكتوبر لايزال متوهجاً، ومازال على قناعة بأن الخطر قائم، وأن الأوراق البالية لاتغنى عن القوة التى تحمى الوطن من المغامرين والقتلة والسفاحين..

● أشعر اليوم وكأنه عيد.. فى الصباح الباكر مررت على صديقى العزيز جمال الغيطانى.. إنه ذاكرة متحركة للحرب، مضينا معاً إلى الاحتفال.. كان يعانق القادة والضباط ـ الذين عرفهم فى مواقع القتال ـ بحرارة بالغة.. ظل يحكى لى عن أدوارهم.. هذا سعد مأمون، وذاك حسن أبو سعدة، وهذا المشير طنطاوى الذى قاتل قتال الأبطال.. وهذا عبد المنعم خليل القائد الفذ.

شعرت بأننى أريد أن أقبل الحضور واحدا تلو الآخر، اللون الكاكى هو أحلى الألوان إلى قلبى، وهذه الوجوه الجادة هى الأقرب إلى وجدانى..

● هذا هو الفريق مجدى حتاتة، كانت تلك هى المرة الأولى التى التقيته وحادثته وجهاً لوجه، إنه واحد من هؤلاء الرجال الذين أحبوا الوطن وتعاونوا من أجل عزته، وها هو يكمل فى صمت ـ إلى جانب المشير ـ مهمة إعداد قواتنا المسلحة لمواجهة أى طارئ يهدد الوطن.

أسماء وحكايات فى حاجة إلى مجلدات، روايات كأنها الخيال، لكنها الحقيقة المجردة، هؤلاء يستحقون تماثيل فى الميادين والشوارع، هؤلاء يستحقون أن يكونوا نجوماً، لماذا لا يطلون علينا من الشاشة الصغيرة، يمنحوننا دروساً فى الوطنية والتضحية والانتماء؟.. لماذا لانتذكرهم إلا فى المناسبات فقط؟ انهم أشرف من أنجب الوطن!

● أما أنت يا سيادة الرئيس فثق بأن كل مصر معك، بل كل الأمة وراءك فى حماية أمننا القومى، وبناء قواتنا المسلحة بما يمكنها من التصدى لأى قوة تحاول النيل من أرضنا وسمائنا..

إنهـا مناسبـة رائعـة لنعيد النظر فـى ترتيب بيتنا من الداخل ليكون سنداً قوياً لقواتنا المسلحة فى دفاعها عن الأرض والعرض..

- ما أحوجنا إلى العودة لروح أكتوبر حتى نطهر أنفسنا من قيم غريبة سادت ووجوه أغرب تسللت، نريد أن نمحو آثار طبقة فسدت وأفسدت، نريد مجتمعاً مترابطاً متعاوناً يلفظ كل ما هو شاذ..

نعم نتحدث معك فى هذه المناسبة وأنت فى قمة مجدك، لأننا ندرك عن يقين سعة صدرك، وأصيل انتمائك، وحبك لهذا الوطن وإحساسك المتنامى بالمسئولية تجاهنا..

- نريد أن يكون أكتوبر عبوراً جديداً لنا، عبوراً يعيد إلينا أشياء كثيرة افتقدناها، وإحساساً بالأمان نحن فى أشد الحاجة إليه، وروحا جديدة تلهمنا وتدفعنا لنتبوأ مكاننا تحت الشمس..

هذا الوطن يحمل فى جوفه ذخيرة لاتنضب، وقدرة على التضحية بلا حدود .. الناس فى بلادنا طيبون يحلمون بيوم ينتهى فيه العناء والشقاء، يحلمون بالحرية لتتسع دائرتها وتحدث تفاعلاتها.. فمن يستطيع أن يفعل ذلك سوى حاكم من الشعب، وأنت من الشعب..

الأمه مكلومة، وحقنا العربى مهدر، النتن يا هو يمارس القهر علينا، عرفات يقدم التنازلات الواحد تلو الآخر، نشعر بالذل والانكسار والهزيمة، فمن يستطيع أن يعدل الميزان إلا مصر، القادرة دوماً على الردع، الساعية دوماً إلى النصر؟!.

إن الأمة الشتات فى حاجة إلى قائد مظفر يلملم الصفوف المبعثرة، ينتشلها من القاع ويضعها على خط المواجهة، فمن بيده تحقيق ذلك إلا قائد مصرى عربى، كان واحداً من رموز نصرها العظيم فى أكتوبر ١٩٧٣.

هذا دورك ودورنا.. إنه دور تصنعه الأقدار.. الناس مشتاقة إلى الحلم من جديد، تبحث عن مفردات الغد العربى فى أوراقها المنسية، تدرك عن يقين أن دوام الحال من المحال، لكنها فى حاجة إلى العبور بعد أن طفح الكيل، وأصبح الظلم الأمريكى والصهيونى لايطاق.

- كم كانت كلماتك رائعة وأنت تحدثنا عن القوة التى تحمى السلام، إذن إلى متى نبقى دون السلاح النووى؟ وإلى متى نظل وحدنا نردد أن حرب أكتوبر هى آخر الحروب؟

إنهم لا يكفون عن لغة التهديد والوعيد، يعدون أنفسهم ويضيفون المزيد إلى ترسانتهم فهل هذا هو السلام الذى يبغون؟ إنه سلام يقوم على الاحتلال والتهديد والغطرسة والوعيد..

- هل يستطيع أحد أن يأمن جانب هؤلاء؟ إن الغدر سمتهم، التوسع هدفهم، والسيطرة والهيمنة مبتغاهم.. انظروا ماذا فعلوا فى عميلهم كلينتون!!

لقد سخر لهم الولايات المتحدة بكل امكاناتها، قدم إليهم ما لم يقدمه رئيس أمريكى آخر، ارتضى بأن يجعل من البيت الأبيض مقرا آخر لمجلس الوزراء الإسرائيلى.. ابتلع كل إهانات النتن ياهو، ارتضى بغطرسته ومع ذلك حرضوا يهودية لتجعل منه مسخرة العالم..

هؤلاء هم الصهاينة يا سادة.. إنهم عصابة تريد أن تلتهم كل الأرض، وتهيمن على كل الأمة، تحتكر خيراتها وتستعبد شعوبها.

إن إسرائيل ترفض حتى اليوم أن تكون لها حدود واضحة، تريد فرض الأمر الواقع، وتحقيق شعار: أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات.. ومن يدرى ربما يمتد الأمر إلى كل قطعة من أرضنا العربية..

إن الوقائع تؤكد كل يوم أننا والصهاينة نقيضان، وأن الصراع بيننا وبينهم ليس صراعا على الحدود، ولكن على الوجود من الأساس وأن السلام المفروض علينا هو سلام الإذعان، إنه استسلام بمؤازرة امريكية - غربية.

لقد تكاتفت علينا قوى الشر من كل اتجاه، تأملوا هذا الحلف التركى - الإسرائيلى إلى من يوجه؟.. إلى سوريا العربية، سوريا التى أصبحت اليوم فى مرمى الهدف بعد أن حشدت تركيا قواتها على الحدود وبدأت فى إجراء مناورات عسكرية استعدادا للحظة فاصلة وعندما شعر الرئيس بالخطر ترك كل شئ وراح يحاول إطفاء النار وإفساد المخطط.

هل رأيتم حجم المؤامرة.. هل أدركتم أبعاد الخطر؟ حصار من كل جانب، محاولة للاستفراد بنا الواحد تلو الآخر.. العراق يتضور جوعا، جردوه من كل أسلحته وليبيا تكاد تكفر بالعروبة بعد أن حوصرت وحاصرناها، السودان يتمزق بفعل مؤامرة أمريكية - صهيونية، محاولات لعرقلة تقدم مصر، وسعى للإساءة لوحدتها الوطنية، استنزاف لثروات العرب، واهدار لطاقاتهم.. ماذا ننتظر بعد كل ذلك؟..

إن الأمة دون مصر لن تستطيع الخروج من كبوتها، ومصر دون الأمة لن تتمكن من لعب الدور المنوطة به، إنها معادلة تجب تسوية استحقاقاتها فورا، مطلوب أن نطوى خلافاتنا وأن نقفز على أزماتنا..

إن ذلك هو الطريق الوحيد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، أما غير ذلك فسوف يبقى الحال على ما هو عليه، فلنأخذ من أكتوبر العظة والعبرة ولتكن المبادرة من بطل أكتوبر وصانع النصر.

العدد ٨٦

١٩٩٨/١٠/٥م

السم فى العسل

باراك قادم إلى القاهرة من جديد، يريد أن يقنعنا بأن لاءاته للاستهلاك المحلى، وأنه من حمائم السلام، وأنه مستعد أن يعيد إلينا الأرض ، ولكن علينا الانتظار حتى يتخذ القرار!!

وسوف يصدق البعض منا مثل هذه الأقاويل، وسوف يكتب رجاله فى الصحافة العربية عن توجهاته الجهنمية، وسوف نسمع أصواتا تطالب بمنحه مزيدا من الوقت، وأخرى تطالب بحسن النية مع الرجل، والكف عن الإثارة والدعوة إلى الحروب.

ونحن كما ترون، ننتظر على ناصية الحوارى والمطارات، نفسر اللاءات على غير ما يقصد باراك... فإذا قال لا لتفكيك المستوطنات، قلنا ربما يقصد بعضها وليس كلها.

وإذا قال إن القدس ستبقى عاصمة موحدة ولن تقسم، قلنا إنه يرضى المتطرفين من اليهود، وليس أمامه من خيار.

وإذا قال لا للعودة إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، قلنا هذا مجرد كلام، لكن المفاوضات سترغمه على العودة.

وإذا قال لن يسمح بجيش فلسطينى، قلنا ربما يقول ذلك من باب طمأنة الإسرائيليين..

وهكذا تولى البعض تفسير مقولات باراك على غير مقصدها.. وراحوا يروجون لسلامه المزعوم، وانفتاحه اللامحدود.. ولكنهم نسوا أو تناسوا أن القاتل لايزال يمسك بالسكين، وأنه لن يفرط أبدا فى الأرض، ولا المستوطنات، ولا القدس.

وباراك هو الوجه الآخر لنتنياهو، لكنه الوجه الذى يقتل بسكين بارد، يبتسم وهو يذبح الضحية، يحقق بهدوء كل ما يريد، ويعطى وعوداً مؤجلة فى الهواء الطلق.

ما أسهل الحديث عن السلام، ما أسهل أن تطلق التصريحات عن التزامك بتنفيذ الاتفاقيات، ثم تعود لتربط «واى ريفر» بالتسوية النهائية، وكأنك تفشل المفاوضات قبل أن تبدأ.

لقد حذرنا منذ البداية من هذا القاتل الحاصل على أكبر النياشين فى تاريخ المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، قلنا إنه قادم بخطة محددة، وإنه يمارس لعبة توزيع الأدوار التى يديرها العقل الصهيونى، ولكن البعض راح يبحث عن السراب.

إن الأيام سوف تكشف أن باراك أخطر من نتنياهو بكثير، وأنه سيتمكن من تمزيق الصف العربى واستقطاب العديد من الأنظمة، وإشعال حروب حادة بين دول الطوق، والمستفيد الوحيد من كل ذلك سيكون إسرائيل وإسرائيل وحدها.

إن باراك يريد أن يوهمنا بأنه سيحل مشكلة الجولان، وجنوب لبنان، لكننى أعتقد أن باراك لن ينسحب إلا من أماكن محدودة فى مقابل شروط لن يكون بوسع سوريا تنفيذها لأنها تتناقض جذريا وكليا مع توجهاتها القومية.

ولو كان باراك جادا فى حل قضية الصراع العربى - الإسرائيلى، وكان صادقًا فى شعار سلام الشجعان لالتزم بتنفيذ قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة التى تؤكد الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة.

لقد حقق باراك خلال زياراته للولايات المتحدة انجازات لم يحلم بتحقيقها، ودفع واشنطن - رغم إهانته لها - إلى أن تتحول إلى درع إسرائيلية تقاتل جنبا إلى جنب مع الجنود الصهاينة، ويخضع كل إمكانات الولايات المتحدة وأسلحتها فى خدمة إسرائيل ومخططاتها.

لكل ذلك أقول: إن الحل لن يأتى من واشنطن، أو تل أبيب، أو حتى موسكو، أو مدغشقر.. الحل يجب أن يأتى من هنا من داخل الأمة العربية ذاتها.

إن الحكام العرب الذين سمحوا للصهاينة والأمريكان باعتلاء ظهورنا ونهب ثرواتنا مطالبون بالتحرر من عقدة الخوف، والعودة إلى الحق والضمير ومصلحة الأمة.

إن الأمة العربية تمتلك كل الإمكانات التى من شأنها تحقيق موقف قوى وضاغط فى مواجهة المخططات الأمريكية والصهيونية، فلماذا يبقى الوضع على ما هو عليه؟ وإلى متى؟!

لقد تركنا العراق الأبى يموت بين أيدينا وسمحنا بحصار ليبيا سنوات، والآن نبقى صامتين أمام قرار واشنطن تفرض حظر على الطيران السودانى فى جنوب السودان، وقس على ذلك كثيرا.

إننى أسأل بعلو الصوت: أين النخوة العربية؟ وإلى متى سيظل الجبن مسيطرا على هذه الأمة؟ وكيف نسمح لهؤلاء المجرمين بتمزيق أوطاننا وفرض هيمنتهم علينا ونحن صامتون، وكأننا ننتظر المقصلة الواحد تلو الآخر؟

إن هذه الأمة لم تخلق للاستعباد والمذلة والهوان، هذه أمة كرمها الله فى قرآنه الكريم، ووصفها بأنها خير أمة أخرجت للناس، فما بالنا نذعن ونصمت أمام جحافل التتار الجدد.

والقضية هنا ليست قضية الحكومات العربية وحدها، الناس يجب أن تفيق من أزمتها وغفوتها، أين الشارع العربى الذى كان يسبق كل الحكومات؟ لماذا تصمت الناس وهى ترى الحقائق أمامها؟ لماذا ينزوى البعض جانبا وكأن مصير الأمة لا يعنيه فى شئ؟

إننا ندرك أن تاريخ الأمم لن يصنعه الأفاقون، وعملاء الصهيونية والاستعمار، لكننا لم نفقد الأمل فى الجماهير القادرة على صنع المستحيل، وفرض الأمر الواقع.

إن السنوات القادمة ستكون من أخطر السنوات على أمة العرب، فالخطة الأمريكية ـ الصهيونية اكتملت أركانها، والمؤامرة حبكت فى العلن والظلام، ولم يبق أمامهم سوى التنفيذ بلا رحمة.

إذا لم نقف اليوم وقفة رجل واحد فسوف ندفع الثمن غاليا ، سنسقط من دفاتر التاريخ وسنعود إلى حظيرة النسيان، وساعتها لن يكون أمامنا إلا أن نبدأ من جديد.

العدد ١٢٨

٢٦/٧/١٩٩٩م

دقت ساعة العمل

يوم الاثنين الماضى كان يوما مشهودا فى تاريخ الوطن، اجتمع المصريون على قلب رجل واحد، نسى الفرقاء خلافاتهم، وحدوا كلمتهم، هتفوا جميعا للوطن، دافعوا عن شرفه وكرامته، صبوا اللعنات فى مواجهة أعدائه، وأعلنوا للعالم أجمع أن أكثر من عشرين عاما لم تفلح فى محو هوية الأمة، والقضاء على ذاكرتها الوطنية.

فى ساعات محدودة احتشد أكثر من ألف من رموز الوطن ومثقفيه، وكتابه وفنانيه، داسوا جميعا العلمين الصهيونى والأمريكى، كانت رقابهم شاهقة تكاد تصل إلى عنان السماء، الإحساس بالشموخ يبدو واضحا على وجوه الجميع، الغضب يملأ النفوس، والإيمان بالنصر يطل من العيون.

كنت على يقين منذ البداية أن أحدا لن يتخلف عن هذه اللحظة، حتى الفريق أول محمد فوزى، والسيد سامى شرف لم يمنعهما المرض من الحضور والاستمرار حتى نهاية المؤتمر. اللواء كمال حافظ رفض أن يذهب إلى موعده الدورى فى الغسيل الكلوى وصمم على المشاركة،

د. نعمات فؤاد قررت الحضور مهما كانت الآلام التى تعترى جسدها الشامخ، مئات الوجوه تتألف لتشكل سيمفونية واحدة تعزف على أنغام الوطن.

ياه كم أنت عظيمة يا مصر، تاريخا وحضارة، نضالا وجهادا، تحديا ومواجهة. لا تتراجعين ولاتعرفين الطريق إلى الانكسار، تصمدين رغم تكالب الأعداء، تقاومين حتى ولو جردوك من كل الأسلحة.

عندما قالوا إن الرئيس سيوجه كلمة إلى دعاة التطبيع، راودنى إحساس داخلى بأن ذلك لن يحدث، مبارك لن ينتصر لفريق التطبيع على حساب شرفاء الوطن، مبارك منا، ونحن نعرف جوهره، ندرك أصالته، نشعر بأن الظروف والواقع المرير يحدان كثيرا من انطلاقاته، لكنه يبقى دوما قابضا على ثوابته، التى هى ثوابتنا.

وكنت على يقين أن وزير خارجيتنا الوطنى لن يذهب إلى هناك فعمرو موسى يحترم نبض الشارع، وهو يجيد استخدام أدواته الدبلوماسية جيدا، لا ترهبه الكلمات الساقطة، أو التهديدات المكشوفة، لا يخضع للابتزاز، ولا يسمح لألاعيب الصغار أن تنال من مواقفه وقناعاته.

وكنت على يقين أن مساعد وزير الخارجية سيد أبو زيد لن يطاوعه قلبه للذهاب إلى هناك، لن يقف فى خندق واحد مع شيمون بيريز أو ديفيد كيمحى، أو عناصر الموساد التى جاءت حاملة شعارات السلام الكاذب والأوهام المكشوفة.

وكنت على يقين أن الروائى الكبير نجيب محفوظ لن يجلس فى صف واحد مع هؤلاء القتلة والمجرمين، لن يعطيهم اسمه ليتاجروا به ويحولوه إلى خنجر فى ظهر المصريين.

كنت أسأل نفسى، من أين جاءت القوة لهؤلاء المطبعين والمنبطحين ليعلنوا هكذا وفى جرأة شديدة أن الرئيس سيبعث برسالة، وأن عمرو موسى سيشارك فى المؤتمر وأن نجيب محفوظ سوف يكون فى مقدمة الحاضرين؟.. كيف يلجأون إلى ترديد هذه الادعاءات وعلى صفحات الصحف؟

هل هو الاحساس بالعار ومحاولة الاحتماء واكتساب الشرعية، وانجاح مؤتمرهم المخزى بأى شكل وبأى صيغة.. أم هى لغة الكذب التى تعودوها، والتى وضحت أبعادها منذ اليوم الأول لتأسيس هذا التحالف المشبوه؟

لقد شاهدت المدعو عبد المنعم سعيد - أحد نجوم هذا التحالف المشين - يتحدث من قناة الجزيرة وكأنه يتوعد السيد عمرو موسى، بل ويكذبه ويؤكد أنه اتفق معهم، وكأنه يريد القول إن الوزير خضع لابتزاز المعارضين، فقرر عدم المشاركة، ثم راح فى كل مكان يهدد ويتوعد.

لقد سألنى الكثيرون بعد هذا الحديث من أين يستمد عبدالمنعم سعيد وأمثاله قوتهم؟ وهل يترك هو وأمثاله يمارسون ألاعيبهم ومؤامراتهم بهذه الطريقة دون حساب؟ وكيف استطاع هؤلاء المطبعون أن يخترقوا قانون الجمعيات الأهلية، وأن يمارسوا نشاطا سياسيا ويتلقوا تمويلا أجنبيا رغم أنف القانون؟

والإجابة تتلخص فى كلمة واحدة: أمريكا يا سادة .. أمريكا سيدة الكون التى لا يرد لها طلب، أمريكا التى أصبحت سيفا مصلتا على رقاب البشر، أمريكا التى أصبحت تسبغ حمايتها على كل الخناجر المصوبة إلى ظهور الأوطان.. أمريكا التى راحت تتآمر علينا فى وضح النهار.

وأمريكا تعنى إسرائيل، وإسرائيل تعنى أمريكا، الأهداف واحدة، والاستراتيجيات مشتركة، والتنسيق على قدم وساق بين الطرفين.

نعم هؤلاء خنجر مزروع فى ظهر الوطن رغم أنف السلطة والجماهير، لا تصدقوا أنهم صنيعة النظام، إنهم نبت شيطانى ولد فى كوبنهاجن بتمويل أمريكى - صهيونى، ثم فرضوه علينا، ليعمل تحت سمائنا، وليكتسب مشروعية التحرك على أرضنا.

أما نحن، فنحن الشعب، نحن الذين نخاف على أمن هذا الوطن وكيانه، نحن الذين نموت عشقا فى ترابه، نحن الذين نحفظ تاريخه فى ذاكرتنا، نحن الذين نعرف أصدقاءه من أعدائه، نحن الذين لم تلوثنا العولمة، ولم نبع الوطن فى سوق النخاسة بالدولار.

ونحن هنا أقوى منهم، وأشد إيمانا ورسوخا، نحن لا نحتمى بكلينتون أو باراك، إنما نحن نحتمى بكل حبة تراب على أرضنا بالنيل، بالوجوه السمراء المتعبة، بالهرم وأبو الهول، بالكفور والقرى، بأطفال صغار يلقون بأجسادهم فى ترعة بلدنا بأبويا وأبوك، وأمى وأمك، وأخويا وأخوك.

نحن يا بتوع أمريكا لا نخاف سوى الله، ولا ترهبنا قوة عالمكم الجديد، لذلك نبقى قابضين على الثوابت، حتى لو كلفتنا حياتنا كلها، نحن ندرك أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ نعرف حقائق التاريخ، وواقع الجغرافيا.

نحن أيها المنبطحون، لن ننسى القدس، لن ننسى عكا ويافا وحيفا، لن ننسى ثأرنا لدى أمريكا وإسرائيل، لن ننسى ضحايا مذابح قانا والعامرية وبحر البقر وأبو زعبل، لن ننسى موت مليون ونصف مليون عراقى من حصار التجويع، لن ننسى جرائمكم فى ليبيا والسودان والصومال.

ما أسهل طريق الخيانة فى هذا الزمن، ما أسهل التسليم وراحة البال، ما أسهل أن نحلل الحرام ونحرم الحلال، ما أسهل أن نركع فى زمن الركوع، وأن نسقط فى زمن السقوط، ولكن ما قيمة هذه الحياة إن لم تكن حياة عزة وكرامة، ومن أين لنا بالضمير الذى يسكت على السقوط والركوع؟

إن بداخلنا نارا مشتعلة لن تنطفئ إلا بتحرير كل جزء من ترابنا العربى، لن تهدأ إلا بالثأر من قتلة شهدائنا الأسرى الذين دفنوا أحياء بيد رابين وبيريز وديان وكل المجرمين الصهاينة.

إن أصوات الشهداء تنادينا، تستصرخ فينا الصمود والصلابة فى مواجهة كل من يحاولون خنق الوطن، وتسليم رايات الأمة، راياتنا لابد أن تبقى شاهقة ترفرف فى سماء العرب، تنتظر صلاح الدين الذى لا أشك فى أنه قادم ليعيد بناء الجسد من جديد ويطرد الغزاة من القدس الشريف.

قد نصمت لبعض الوقت، قد نغير من تكتيكاتنا أحيانا، لنتفادى العاصفة العنيفة، لكننا على ثقة بأن من يتخلى عن ثوابت الأمة فسوف تدوسه الأقدام، وتذروه الرياح، ويذهب إلى مزبلة التاريخ.

إننا يجب ألا نهتز أمام سقوط عشرة أو مائة أو ألف شخص تحت أقدام الصهاينة، فنحن على ثقة بأن الوطن بخير، وأن الشارع المصرى هو الأقوى، والقادر على فرض سياج من العزلة فى مواجهة كل الخونة والمارقين.

إن الشعب المصرى ليس فى حاجة إلى دروس من أحد، إنه شعب يعلمنا الوطنية والانتماء العربى، يعطينا دروسا فى مقاومة التطبيع، ومواجهة الخونة، إنه شعب يمتلك آلياته، ويجيد استخدامها جيدا.

لا تخافوا على شعب مصر، فشعب مصر أول من يعرف مصالحه، وأى الطرق تؤدى إلى تحقيقها.

لقد كان مؤتمر المثقفين والقوى الشعبية والوطنية دفاعا عن الكرامة ورفضا للتطبيع، هو عنوانا مهما يعكس طبيعة هذا الشعب وحقائق موقفه، كان تعبيرا عن أمنية العامل والفلاح، ابن الحارة وابن القرية وابن المدينة، كان استفتاء جديدا على صمود هذا الشعب العظيم.

ولم تكن القيادة السياسية بمعزل عن هذا الواقع، فقد أثبتت أنها تعطى الرأى العام احترامه، وتعكس تطلعاته، وأن هذا النظام هو نظام وطنى يعرف جيدا مصلحة الأمة، ويدافع بطريقته عن أراضيها المحتلة.

إن كل وطنى على أرض مصر يقدر للرئيس مبارك موقفه الشريف، وإيمانه العميق بالحرية، وإحساسه بما يجيش فى صدورنا من حسرة وألم، وهو المقاتل، الذى كان واحدا من أبرز صناع نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، ولذلك فنحن نؤكد للرئيس مجددا أننا معه نؤيده ونؤازره فى دفاعه عن الوطن ومصلحة الأمة، إن جميع من شاركوا فى المؤتمر الحاشد دوت أياديهم بالتصفيق طويلا عندما أعلنت أن الرئيس لن يوجه كلمة لمؤتمر التطبيع، وأن السيد عمرو موسى لن يذهب للمشاركة، وهذا التصفيق إنما يعكس تقديرا كاملا لمواقف الرئيس ووزير خارجيته لدى كل الرموز السياسية والوطنية فى المجتمع.

لقد كانت مشاركة الأستاذ محمد رجب زعيم الأغلبية فى مجلس الشورى فى المؤتمر وحديثه أمام الحاضرين مؤشرين مهمين على أن مصر كلها مع المقاومة من أجل تحقيق السلام الشامل والعادل، وليست مع التطبيع والانكسار، وقد عكس الرئيس مبارك هذا الموقف فى حديثه الرائع إلى جريدة «لوفيجارو» الفرنسية عندما أكد موقف الشعب المصرى الرافض للتطبيع، وهو كلام يعكس مصداقية الرئيس وتقديره لمشاعر الجماهير، بغض النظر عن غضب إسرائيل أو غيرها.

بقى أخيرا أن أقول إن مصر الحرة لن تهزم أبدا، وأن الصهاينة إذا أرادوا تطبيعا فليس أمامهم سوى أن يبحثوا عن شعب آخر بعيدا عن هذا الوطن وتلك الأمة.

أيها المصريون.. أيها العرب دقت ساعة النضال يجب أن نخرج من حالة الاحباط إلى الفعل الذى يحمى وطننا من محاولات الاختراق،

يجب أن نؤكد الثوابت، وأن نزرعها فى نفوس الأجيال الجديدة، يجب أن نحاصر كل من تسول لهم أنفسهم بيع الوطن والمتاجرة بشرفه.

بالأمس تقدمنا بمشروع تأسيس جمعية أهلية لمقاومة الصهيونية والتطبيع لتضم فى صفوفها كل الشرفاء على أرض الوطن، فلنعتبر هذا الفعل نوبة صحيان من جديد.

إن الوطن فى حاجة إلى كل يد شريفة، فلا تبخلوا على مصر بالجهد، والعمل. والنضال الذى يحاصر الخطر ويكون سندا للقيادة السياسية فى مواقفها الوطنية.

العدد ١٢٦

١٢/٧/١٩٩٩م

خيانة

لسنا فى حاجة إلى توصيف ما يجرى على أرض مصر، فالشعب أصدر حكمه منذ زمن طويل، الناس تعرف الفارق بين الوطنية والخيانة، والناس تدرك أين الحق؟ وأين الباطل؟

هذا المؤتمر المشبوه عار يرتكب باسم مصر، ومصر منه براء، إنهم يحتمون بأعداء الوطن، يمارسون بهم وعبرهم ضغوطا على الحكومة، يقذفون باللهب فى وجوهنا، يهددوننا بالناتو والحصار والنظام العالمى الجديد.

هل رأيتم ماذا جرى فى واشنطن؟ ابتزاز وتهديد ووعيد، محاولات خبيثة لإحراج الرئيس، وإجباره على زيارة إسرائيل والإفراج عن الجاسوس عزام، وإنهاء سياسة السلام البارد من طرف واحد.

هذه المؤامرة يجب ألا تمر، فالوطن هو ملك لأبنائه الشرفاء، والذين يخرجون على ثوابته لا مكان لهم تحت سمائه، الانتماء ليس كلمة مجردة تقال. الانتماء هو ارتباط بالوطن، ودفاع عن أمنه القومى، ونحن لا يعنينا فى هذه الدنيا سوى مصلحة الوطن والأمة.

فليحتم المطبعون بمن يحتمون، فليرددوا ما شاءوا عن الأسماء الكبيرة والصغيرة التى تقف إلى جانبهم وتساندهم، فنحن هنا نحتمى بتاريخ مصر وشعب مصر، نحتمى بتضحيات المصريين على مدى التاريخ، نحتمى بشهداء الوطن الذين سقطوا دفاعاً عن كل حبة تراب فى أرضه، نحتمى بالنيل الذى يشق الفؤاد ليروى الجسد.

اليوم، أيها السادة يلتقى على أرضنا الطاهرة حثالة الصهاينة والمطبعون.. اليوم يحضر إلى ديارنا بطل مذبحة قانا شيمون بيريز، الذى قتال الأسرى المصريين بدفنهم أحياء.

اليوم يأتى إلينا ديفيد كيمحى رئيس الموساد الأسبق الذى أسقط طائرة سلوى حجازى، وقتل عالم الذرة المصرى د. يحيى المشد، وتآمر حياة رسام الكاريكاتير الفلسطينى ناجى العلى.

إنهم مجموعة من القتلة الذين تجردوا من كل المشاعر الإنسانية، جاءوا اليوم ليعلمونا كيف يكون السلام؟ وكيف يتحقق الوئام؟!

قولوا لى بالله عليكم: هل هناك فضيحة أكثر من ذلك؟ وهل هناك خداع أبعد من ذلك؟ وعلى أى شىء يراهن هؤلاء المطبعون؟!

إن هذا المؤتمر لايخص أحداً من الشعب المصرى، بل هو تعبير عن أصحابه الذين نعرف حقيقة أهدافهم وطبيعة مواقفهم، وندرك عن يقين أن مصيرهم هو الفشل، وأن هذا الخنجر لن ينال من الجسد الوطنى أبداً.

إن هؤلاء الذين ينادون بالتطبيع وثقافة الاستسلام، أولى بهم أن يتأملوا واقعنا اليوم، حيث تعربد إسرائيل كيفما تشاء، تضرب لبنان،

تقتل الآمنين وتخرب المنشآت، ترفض تنفيذ الاتفاقيات، وتتآمر على الحاضر العربى بأسره.

أين صوت هؤلاء من سياسة المستوطنات والمذابح التى لاتتوقف؟ أين صوتهم والقدس تهود وتعلن عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل؟ أين صوتهم والموساد يتجسس وينفذ عمليات القتل ضد المناضلين والمجاهدين؟

عن أى سلام يتحدثون؟ إنه سلام الخنوع والاستسلام، سلام يلزم العرب التجرد من ورقة التوت، ولا يلزم إسرائيل شيئا فى المقابل.

إن من يرضى لنفسه يقف فى الخندق مع أعداء الوطن له ما يشاء، فحكم التاريخ سيكون هو الأقسى، ولكن لا يحق لأحد أن يتحدث باسم مصر، وأن يزور الحقيقة وأن يستغل منابر الشعب وصحفه ووسائل إعلامه، فى الترويج لهذه الأفكار المرفوضة.

من حقنا كمصريين أن نسأل الحكومة: لماذا تسبغ حمايتها على هذه المجموعة الملفوظة جماهيرياً؟ كيف تسمح لهذه الجوقة باختراق أمننا القومى وتنفيذ تعليمات قوى الخارج المعادية لمصالح شعبنا وبتمويل أجنبى معلن ومكشوف؟

إذا كانت الخيانة قد أصبحت هى العيار الآن، فنحن نقول بعلو الصوت إن الخونة لايعبرون إلا عن أنفسهم ومصالح من زرعوهم فى الجسد المصرى، وإن الأمة كلها لن تصمت طويلاً أمام محاولة زرع أنطوان لحد جديد فى عقر دارنا.

لقد كنا نتمنى أن تعلن الحكومة براءتها من هذا المؤتمر المشبوه، خاصة أن مواقف الرئيس مبارك، ومفهومه عن السلام الشامل والعادل تتناقض جذرياً مع المفاهيم التى يطرحها أصحاب بوتيك كوبنهاجن، ومن يحركونهم فى العلن والخفاء.

إننا لسنا أناسا فاقدى الذاكرة والعقول حتى نساق كما يريد البعض، بل نحن وطنيون أحرار، نعرف أن المستقبل للمناضلين، وأن الخزى والعار للخونة والمارقين.

لقد صدعونا بكلامهم عن السلام وثقافته المجردة من الانتماء، استغلوا وسائل الإعلام للسخرية من مشاعرنا وشعاراتنا الوطنية، استهانوا بالقيم الشريفة، وسعوا إلى النيل من تاريخنا الوطنى، ثم جاءوا اليوم ليقيموا «جيتو» جديدا على أرض الوطن.

إننا يجب ألا نصمت في مواجهة هذه المؤامرة، يجب أن نعلن بعلو الصوت رفضنا كل ما يمس أمننا وهويتنا وحقوقنا العربية المشروعة.

إن الشعوب لا تهزم أبداً، كما أن الحق لن يتحول إلى باطل، والباطل لن يصبح حقاً، حتى لو امتلكوا سيف المعز وذهبه.

إن أحداً كائنا من كان لن يستطيع أن يمنعنا من حب هذا الوطن والدفاع عنه، فى مواجهة محاولات الاختراق ولو خيرونا بين الصمت أو الموت، فسوف نختار النضال حتى النصر أو الشهادة.

إن المستسلمين والمهزومين لن يبنوا وطناً، ولن يقيموا صرحاً، لذلك فإن الأمة مطالبة بأن تنتفض دفاعاً عن شرفها، وأن تزيل الغبار الذى علق بكيانها، إذا أرادت أن تعلو وتسمو وتحافظ على وجودها.

إننا ندعو كل المثقفين والشرفاء إلى المشاركة فى مؤتمر مقاومة التطبيع، الذى سيعقد صباح اليوم بفندق شبرد، وكذلك مؤتمر الحزب الناصرى الذى سيعقد مساء حتى يسمع العالم كله أن مصر لم تمت ولن تموت.

حمى الله مصر من كل الشرور.. والخزى والعار لعملاء إسرائيل.

العدد ١٢٥

٥/٧/١٩٩٩م

يوم أســــــــود

دعت جماعة كوبنهاجن ـ سيئة السمعة ـ إلى مؤتمر دولى الشهر القادم، يبحث شئون التطبيع والسلام مع العدو الصهيونى، وقد اتخذت الجماعة من القاهرة مقرا لعقد المؤتمر، الذى سيشارك فيه ٦٠ إسرائيليا، و٣٠ فلسطينيا، و٣٠ أردنيا، و ١٠٠ شخص يقولون على أنفسهم إنهم مصريون.

وقد زف إلينا النبأ سعادة السفير السابق صلاح بسيونى رئيس جمعية القاهرة «للاستسلام»، وهى جمعية تدور حولها شبهات عديدة، حيث قال سعادته: إن المؤتمر سيبحث فى ثقافة السلام وشئون التطبيع، إضافة إلى ملفات أخرى جرى إعدادها بواسطة خبراء صهاينة وأمريكان.

ورغم أن الخبر مثير ومهيج للأعصاب، فإن حرق الدم جاء بعد أن قرأت أن السيد عمرو موسى وزير خارجيتنا ـ الوطنى المحبوب ـ سيفتتح بنفسه هذا المؤتمر المشبوه، بل وسيلقى كلمة نيابة عن الرئيس مبارك.

والحقيقة أننى من الذين يحترمون السيد عمرو موسى، ويرون فيه دبلوماسيا وطنيا لا يعرف لغة التفريط واضح فى مواقفه وضوح الشمس، غير أننى وغيرى وقفنا مذهولين أمام الخبر المنشور على لسان دعاة التطبيع.

ولا أعرف حقيقة السبب من وراء هذه المشاركة الرسمية وبهذا المستوى الرفيع، خاصة أن أى مسئول إسرائيلى رسمى لن يشارك فى هذا المؤتمر، وأن المشاركين هم من رجال الحكم الإسرائيلى السابقين، وفى المقدمة منهم شيمون بيريز وديفيد كيمحى رئيس الموساد السابق.

وإذا كان الهدف من وراء عقد هذا المؤتمر فى هذا الوقت تحديدا هو توصيل رسالة بعينها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى الجديد ايهود باراك، فلا شك أننا نقدم له بذلك شيكا على بياض فى وقت كنا ننتظر منه أن يستجيب لصوت السلام، وأن يلتزم بتنفيذ ما نكص عليه سابقه، وأن يقدم نفسه للعرب بطريقة مختلفة.

غير أن الأمة كلها أجمعت بعد أيام قليلة من فوز باراك على أنه ليس أكثر من الوجه الآخر للعملة، وأنه صورة طبق الأصل من سلفه، وأن لاءاته هى ذات لاءات النتن ياهو، ولكن الغريب فى الأمر أننا اعتبرنا أنفسنا الآثمين، وأننا المسئولون عن تعطيل مسيرة السلام، ولذلك سمحنا لهؤلاء المنبوذين بأن يجتمعوا على أرضنا، وأن نوفر لهم الحماية ونمنحهم المشروعية، وأن نترك لهم الحبل على الغارب ليعلمونا دروس السلام وأساليب الوئام.

إذن فعقد هذا المؤتمر على أرض القاهرة لن يكون لصالح السلام العادل والشامل، بل هو محاولة هدفها دفع عجلة التطبيع وممارسة

الضغط على الحكومة المصرية لإنهاء ما يسمونه فترة السلام البارد، وإغلاق ملف الحرب الدبلوماسية التى تخوضها مصر على الصعيدين الإقليمى والدولى، لإجبار إسرائيل على تنفيذ الاتفاقات التى سبق توقيعها، وبحيث تصبح الكرة فى الملعب المصرى بعد أن كانت فى الملعب الإسرائيلى.

إذن هو بالأساس مؤتمر لخدمة إسرائيل، أعدت له جهات مشبوهة عبر أدوات مرفوضة فى الشارع المصرى، فهل يجوز لمصر أن تسمح بعقد هذا اللقاء على أراضيها، وبمشاركة رسمية على هذا المستوى؟!

لقد تساءل الكثيرون: ومن الذى سيتولى تمويل هذا المؤتمر؟ وهل هؤلاء الثلاثون الذين يشكلون جمعية القاهرة «للاستسلام» قادرون على دعوة وفود إقليمية ودولية بهذا المستوى دون أن تكون هناك قوى خارجية تدعم هذا المؤتمر وتتولى تمويله؟

والحقيقة أن السفير صلاح بسيونى أعلنها صريحة عندما قال لإحدى الصحف إن الاتحاد الأوربى وحكومة الدنمارك هما اللذان سيتوليان التمويل.

ولقد ترددت معلومات تشير إلى أن المبلغ المرصود يتجاوز ٤٠ مليون دولار، وأن مبالغ بهذا الحجم وصلت إلى الجمعية قبل ذلك، كل ذلك لا يهمنا، فالرسالة معروفة منذ البداية، وهؤلاء ليسوا أكثر من أدوات، لكن المهم هنا هو كيف تسمح وزارة الشئون الاجتماعية باختراق قانون الجمعيات الجديد فى المهد؟!

وإذا كان القانون الجديد يحرم على الجمعيات الأهلية ممارسة النشاط السياسى، فهل هناك أحد يستطيع أن يصف لنا نوعية وهوية النشاط الذى تمارسه جمعية القاهرة «للاستسلام» ؟!

إن مضمون الدعوة للمؤتمر المزمع عقده فى الخامس والسادس من الشهر المقبل هو سياسى بالأساس، فالتطبيع وبحث الملفات المطروحة على المؤتمر يدخلان ضمن الأنشطة السياسية التى أظن أن قانون الجمعيات الأهلية الجديد يقصدها، وأن السماح لهذه الجمعيات تحديدا بممارسة هذا النوع من النشاط إنما يؤكد منذ البداية أن تطبيق القانون رهن بمزاج مطبقيه، وأن من يمارسون الابتزاز ويحتمون بالأجنبى لهم الحق فى ممارسة النشاط السياسى، والخروج عن كل القواعد والقوانين التى يخضع لها غيرهم.

ولاشك أيضا أن القانون الجديد للجمعيات جرم التمويل الأجنبى المباشر، فكيف سمحت وزارة الشئون الاجتماعية لهذه الجمعية المشبوهة باختراق القانون والحصول على تمويل أجنبى؟ وإذا افترضنا أن هذه الجمعية حصلت على إذن من الوزارة بهذا التمويل فهل يعد التطبيع وإختراق كيان المجتمع من المشروعات التى يجوز السماح بتمويلها أجنبيا؟!

لقد أثار الإعلان عن عقد هذا المؤتمر حالة شديدة من السخط الجماهيرى، كما أن دعم الدولة ومشاركتها فيه هما مؤشر خطير من شأنه أن يحدث حالة انقسام كبيرة فى الجماعة الوطنية التى تقف صفا واحدا خلف الرئيس مبارك وتدعم مواقفه.

ونحن إذ نحـذر مـن خطورة هذا المؤتمر المشبـوه، انما ننطلق من حرص وطنى، ووعى بخطورة المرحلة الراهنة وأبعادها، فالذين يدقون طبـول التطبيع أولى بهم أن يخجلوا من أنفسـهم وهم يرون العدو الصهيونى يلقى بقنابله وصواريخه ليقتل السكان الآمنين، ويخرب المنشآت الاقتصادية فى لبنان الشقيق.

إنهم يعقدون مؤتمرهم على جماجم الشهداء، وتاريخ الوطن ودماء الأسرى المصريين، الذين قتلوا غدرا وخسة بمشاركة بعض من هؤلاء القتلة الذين تمت دعوتهم إلى حضور المؤتمر الفضيحة، وهو أمر يجب أن يواجه بخطوات شعبية وجماهيرية واسعة ترد على المطبعين وأنصار إسرائيل فى مصر.

إن المطلوب هو التحضير فورا لعقد مؤتمر وطنى لكل الشرفاء مواز لهذا المؤتمر المشبوه، على أن يعقد يومى ٥و٦ يوليو فى مكان يجرى الاتفاق عليه بين القوى الوطنية والمثقفين المصريين، ليكون هو الرد البليغ المعبر عن الشارع المصرى فى مواجهة من يحاولون هدم ثوابتنا الوطنية والقومية وممارسة الضغوط على مصر حكومة وشعبا.

إننى أدرك أن هؤلاء الخبثاء وضعوا الحكومة المصرية فى مأزق، وأن الفكرة هدفها تشويه سمعة القيادة السياسية فى أوساط الجماهير، وأن دور هؤلاء الذين يشكلون خنجرا فى ظهر الوطن لا يقل عن دور بعض العملاء الذين يسعون إلى الإساءة إلى مصر فى الخارج، خاصة فى الولايات المتحدة ، فالكل يستهدف الوطن وقيادته السياسية حتى وإن اختاروا مدخلا بريئا هو الدفاع عن السلام.

لقد حانت لحظة النضال والمواجهة. والسكوت والصمت على هذه الجريمة المخزية من شأنه أن يفتح الطريق أمام خلق «جيتو» صهيونى جديد فى مصر شبيه بمجموعات أنطوان لحد فى جنوب لبنان، وهذا أمر يجب ألا يمر ولو على جثثنا سواء أراد النظام ذلك أو لم يرد.

إن أحدا لا يستطيع أن يزيد على وطنية الرئيس مبارك ومواقفه وما يجرى فى أمريكا ضده حاليا هو خير دليل على ذلك، ولكننا نربأ بالرئيس أن يشارك ولو بالكلمة فى هذا المؤتمر المشبوه.

إن أمريكا وإسرائيل لن ترضيا عن مبارك الذى يعتبرونه رئيسا يرتدى زى المقاتل لن ينسوا له رفضه زيارة «إسرائيل» طيلة فترة حكمه ولن ينسوا له موقفه من التطبيع، وتضامنه مع أشقائه العرب، وسعيه الدءوب إلى تحديث السلاح المصرى، لكل ذلك فنحن نطالب الدولة المصرية برفع يدها عن هذا المؤتمر المشبوه على الأقل.

إننى أدعو من هنا كافة المثقفين والشرفاء على أرض مصر الطاهرة إلى الالتفاف معا من أجل إعلان موقف الشعب المصرى فى مواجهة من يتاجرون بدماء شهدائنا وتاريخنا ونضالنا الطويل، من أجل حفنة دولارات، والبحث عن دور ولو بالزحف على أعتاب الكنيست، والبيت الأبيض الأمريكى. لقد دقت ساعة العمل الوطنى ولن يثنينا أحد عن الدفاع عن شرف هذا الوطن، ولن يرغمنا أحد على كراهيته، أو الصمت فى مواجهة المؤامرات التى تدبر له من كل اتجاه.. لعنة الله على الخونة .. لعنة الشعب على المارقين.

العدد ١٢٤

٢٨/٦/١٩٩٩م

مـــاذا جـــرى ؟

الضـمـيـر عبء ثقيل، رقـيب فى زمن العولمة، حـسـاب وعقـاب ، إحساس بالخطأ وإيمان بالصحيح، قيمة فى زمن بلاقيمة،بدونه نحن لاشىء، بدونه تسقط الثوابت، وتنهار المسلمات، تسود الخطيئة وترتكب الذنوب..

كانت لحظة قاسية على النفس .. يافطات متعددة معلقة فى صحن مسجد النور بحدائق المعادى.. «أخى المصلى ضع أمتعتك وحذاءك أمامك خوفاً من السرقة».. ياه هل وصل الأمر إلى المسجد؟.. ومن هذا اللص صاحب الضمير الميت الذى تخصص فى سرقة الأحذية هكذا، حتى اضطر إدارة المسجد إلى أن تحذر بعد أن وصلت المرارة إلى الحلقوم؟

هذا عنوان لمآس تخترق كل حصوننا، خيانات، قتل للأشقاء من أجل المال، أعتداء على الآباء والأمهات، سقوط للفضيلة، وسيادة للرذيلة، غدر فى مقابل النقاء، نفاق ورياء، انهيار وسقوط لكل الأشياء الجميلة.. هذا الجو خانق، قاتل، يصيب ضميرى، يكاد يذهب بعقلى،

يدفعنى إلى الإحساس بالآخر الذى يكاد يختفى من على مسرح الحياة.. أين الطيبة؟ أين القلوب الرحيمة؟ أين الضمير؟!

اتراكم أعزائى القراء فى حاجة إلى أن أرص لكم بعض هذه المآسى؟ أشعر بأنكم تعرفونها جيداً، تتعايشون معها، نظرة واحدة إلى أخبار الحوادث فى أى صحيفة سوف تعكس لكم حقيقة الواقع المرير، حقيقة الانهيار الأخلاقى الذى نعيشه فى هذا العصر الردىء.

أريد أن أسأل أين الحب الذى كان يجمعنا معاً، الذى كان يظللنا بنقائه؟ أين ذهبت المشاعر الجميلة، والإحساس بهموم الآخرين؟ لماذا سادت الكراهية حتى بين أبناء الأسرة الواحدة؟ هل هو الصراع على المادة؟ هل هو الصراع على لقمة العيش فى زمن لم يعد فيه أمان لأى شىء..؟

بالأمس كنا نجلس معاً أمام طبق فول واحد، نحمد الله، ونشكر فضله، نشعر كأنها وجبة قادمة من مطعم مكسيم، نتذوق لقمة الخبز وحبات الفول، وكأننا لم نر أجمل من ذلك، ولا أعظم، كأننا نمتلك الدنيا بأسرها.. المهم الرضى والقناعة.. المهم الإحساس بالشبع وسط الأحباب، السعادة التى تغمر القلوب والأسرة تجلس جميعها على مائدة واحدة.

لم نكن نستطيع أن نضع لقمة واحدة فى الفم، إلا باكتمال الأسرة كلها على الطبلية، إذن ما لنا الآن وقد أصبنا بحالة من اللهفة والأنانية؟ لانشبع أبدا، لا ننتظر أحداً، كل من يمتلك شيئاً أولى به من الآخر،

الأب بعيد عن الأبناء، والأشقاء كل فى واد وكل يبحث عن مصلحته، تراجعت الإنسانية فى النفوس، سقطت مشاعر النبل والإحساس بالآخر،ضاع رباط الأسرة، وتفكك الكيان.

مجتمع المدينة قاتل، قاس، جبار، متكبر، عديم الذمة، عديم الضمير، مجتمع ملوث بقيم غريبة، يكتظ بأمثلة ساقطة عديدة، فى كل حارة، وكل شارع، وكل عمارة، وكل شقة.. جيش مؤلف من المخادعين، الذين يتحينون الفرص للقفز،، والهبر.

إنه جيش بلا مشاعر، بلا قلب، ياه كم هو ظالم.. يؤلمنى فيه أنه لا يتحرك، لا يريد أن يفوق لنفسه، كأنه يعرف طريقه جيداً، كأنه اتخذ قراره، وأغلق الملف، كأنه لم يسمع عن مفردات الزمن الجميل، ولم ير بأم عينيه صورة الواقع العالقة فى الذاكرة.

لاتسألنى ما السبب؟ فليس هناك مبرر أو عذر،الحق بين والباطبين، لاتقل لى الحياة وطبيعتها أو المتغيرات وصورتها، فالجرح غائر، وليس هناك من مبرر أو عذر مقبول.

هذه القسوة تعذبنى، تقتل بداخلى أشياء وأشياء، تجعلنى مجرد أداة مطلوب منها أن تتواءم، وأن تتأقلم، مطلوب أن تكون أنت أيضا قاسياً مغيب الضمير، لاتتعامل مع أحد إلا إذا كنت ستحصل على استفادة شخصية منه قبل كل شيء.. لا مكان للطيب فى هذا الزمن،إنه نوع من الضعف والهبل، لا تكن نقياً .. لا تحدثنى عن الوطن، وعن الفقراء، والمعذبين، قل لى: كيف سأستفيد؟ وماهو الثمن؟!

الخيانة أصبحت وجهة نظر، من حقى أن أخون وابيع كل قيمة جميلة إلى العدو،من حقى أن أصبح تاجراً، وأن أبيع الوطن بالكيلو للأعداء، ولكن ليس من حقك أن تتهمنى بالخيانة.

من حقى أن أطبع مع إسرائيل، وأن أحصل على جائزة بن جوريون، من حقى أن أخرب وأدس السموم، سأخرج عن كل المألوف.. سأطعن وطنى علناً دون خجل، سأكتب كلاماً هو القبح بعينه، ومع ذلك سأبقى أنا صاحب الحظوة، دلوعة الجميع.. لن يحاسبنى أحد، ومن يحاسب من فى هذا البلد؟ الغلابة فقط هم الذين يتعرضون للحساب، الوطنيون فقط هم المشكوك فى ولاءاتهم دائماً، أما نحن فلا وألف لا.. نحن محميون بالعولمة، ومنظمات حقوق الإنسان، والمعونة الأمريكية، والعلاقات الإسرائيلية.

أصبح الخونة رقماً، لكنه رقم مجلل بالخزى والعار، رقم ملعون فى بيوت الفقراء والمقهورين، فى بيوت الوطنيين والشرفاء.. رقم يجلجل نعم، صوته يبدو عالياً نعم، فجره تعدى الحدود نعم، لكنه رقم مغموس فى الوحل، تطارده لعنات الشهداء، ويتحاشاه كل شريف على أرض هذا الوطن.

أما المنافقون فحدث ولا حرج، أصبحت لهم سطوة، أسهمهم لا تتوقف عن الصعود، يكتبون الغثاء، يكذبون كما يتنفسون، لكنهم بقدر الصعود، بقدر السقوط.. هم أبناء لمرحلة بعينها، هم نتاج إفرازات طفح المجارى وتلوث الهواء وفساد الذمم، لذلك تجدهم دائماً فى نفور مع الناس.

ترانى قدمت صورة كئيبة، لكنها صورة حقيقية، صحيح أنها لاتفقدنا الأمل فى الحاضر والمستقبل، لكنها واقع نعيشه، نلعنه، نطارده، نحاول أن نبعد أنفسنا وأولادنا عنه، لكنه يقتحم علينا بيوتنا وشوارعنا وغرف نومنا.

والآن هل نحن فى حاجة إلى عقد اجتماعى جديد؟. نعم نحن فى حاجة إلى إعادة الروح للجسد، إلى إحياء القيم النبيلة، إلى ردع الانحراف والفساد، إلى إسقاط الخونة من حساباتنا ومحاصرتهم ومحاكمتهم على ما ارتكبوا من آثام.

نحن فى حاجة إلى أن نغسل ضمائرنا، وأن نبحث عن حل لـ ٢٢ مليون عراقى يموتون من الجوع بيدنا، فى حاجة إلى أن نهز ضمائرنا، إلى أن نذرف الدمع على شهداء كوسوفا الذين ذبحوا ودفنوا أحياء أمام مليار و ٢٠٠ مليون مسلم.. فى حاجة إلى أن نجلد أنفسنا، وأن نسلخ ذواتنا، حتى ندرك حجم الخطأ وجرم الخطيئة.

نحن فى حاجة إلى الأمل من أجل أن نستمر، فى حاجة إلى صحوة الضمير، والإحساس بقيمة الحياة.. فمن يفعل ذلك؟ ومن يعيد القاطرة إلى السكة الحديد مجدداً؟

إن الآمال كلها معلقة عليك سيادة الرئيس.. الكل ينتظر شعاع الأمل القادم بعد أكتوبر، الكل ينتظر اللحظة التى ستعيد إلينا أشياء كثيرة افتقدناها، الكل على يقين بأن حالة الإحباط التى تسود الناس سوف تنتهى، وأن المغيبين سيعودون إلى حضن الوطن، وأن العملة الجيدة ستطرد العملة الرديئة التى تسيدت الساحة.. نعرف أن المهمة كبيرة،

وثقيلة، لكنك لها، فأنت تعرف حقيقة هذا الشعب العظيم، وتدرك أنه يستحق أن يعيش تحت الشمس معززاً مكرماً.

من حق هذا الشعب أن يحلم بمزيد من الحرية، وبمزيد من العدل الاجتماعى، من حقه أن يتبوأ لنفسه موقعاً متقدماً بين الشعوب، من حقه أن يتحرر من عقدة الخوف وجبروت السلطة .. فمن يفعل ذلك غيرك؟.. الناس تنتظر شعاع الأمل الذى يعيد الطمأنينة إلى النفوس، ويعيد بناء البيت على أسس جديدة تدعم القيم ولا تهدمها تعزز الانتماء فى النفوس، تنتزع مشاعر الكراهية والصراعات السقيمة، تعيد الاطمئنان إلينا وتشعرنا بالأمان.. نحن فى انتظار ما بعد أكتوبر.. ليكون بداية عهد جديد.

العدد ١٢٣

٢١/٦/١٩٩٩م

المخربون .. هل يستمرون ؟!

هذا زمن صعب، تختلط فيه الأوراق، وتتبدل المفاهيم، تسيطر فيه لغةالسوقة، وأصحاب الصوت العالى، يقولون مالا يفعلون، يحدثونك عن الشرف، وهم لصوص سفهاء، يكتبون عن القيم والأخلاق، وهم أول من أهدروها، يصدعون رءوسنا بالحديث عن الأمانة والنزاهة، وهم ليسوا أكثر من أدوات لمن يدفع، حتى ولو كانت «إسرائيل» ذاتها، تعجب بشعاراتهم وكلامهم الجميل، ولكنك عندما ترى أفعالهم لاتستطيع إلا أن تضرب كفاً بكف.

الوطن فى نظرهم سلعة للتجارة، وطنهم الحقيقى هو الدولار، ومفرداتهم تتأقلم حسب اتجاهات الريح، اليوم يسار وغداً يمين، اليوم ضد التطبيع، وغداً يروجون لما كانوا يرفضونه بالأمس، يدافعون عن الرذيلة إذا كانت من ورائها فائدة، يبررون للباطل حتى ولو كان الباطل أمريكياً، يزحفون على بطونهم إلى حيث السيد الآمر الناهى، فيتحولون إلى خنجر فى ظهر الوطن.

وهؤلاء بالتأكيد عجزة، غير موهوبين، حاولوا كثيراً وفشلوا، محبطون فى حياتهم الشخصية، فاشلون،موصومون بالذنوب والعاهات، لذلك تجدهم دوماً يبحثون عن طريقة لإثبات الذات، فيبعون أنفسهم، ويلتذذون بالحديث عنهم، حتى ولو كان من باب وصمهم بخيانة الوطن وانتهاك المحرمات.

إنهم أرقام صفرية، لاتساوى شيئا، بل ربما لايعرفهم أحد خارج بيوتهم، منعزلون، ذاتيون، أنانيون، منبوذون حتى من أقرب الأقرباء إليهم من هنا عندما يسقط أمثال هؤلاء لا ننظر إليهم، ولا نبكى من أجلهم،نكشف مخططاتهم، لكننا ندرك بالفعل منذ البداية أن تأثيرهم محدود، ولغتهم منفرة، ووجوهم لا تلقى القبول، وألسنتهم لا تجيد الدفاع عن قيمة، أو فكرة ، فهم أول من يدركون أنهم يدافعون عن الباطل ويحتمون بالأجنبى، وأنهم ليسوا أكثر من أدوات، يعرفون أن أحداً لن يقوى على محاسبتهم، فالأمريكان موجودون، والغرب بإعلامه ومنظماته المشبوهة جاهز للرد والضغط، والمال الفاسد يشترى النفوس، ويطلق المزاعم والشعارات الكاذبة.

وفى الصحافة ابتلينا بجوقة من المفسدين الذين ينتهكون أعراض الناس، ويشوهون رموز المجتمع بالباطل، ويسخرون القلم لأغراضهم الدنيئة، يتجنون على الحقائق، ويمارسون الابتزاز بأبشع الوسائل، لا ضمير لهم، ولا إيمان عندهم، ليست مهمة لديهم صورة الوطن ولا سمعته، المهم هو تحقيق أعلى معدلات فى التوزيع عن طريق مخاطبة المراهقين، المغرمين بالحكايات الجنسية والألفاظ القبيحة التى بدأت

تغزو صحافتنا بفضل مجلة حكومية شهيرة كان لها السبق فى ذلك ثم توالى من بعدها الكثيرون، بعد أن رأوا هذه المجلة تحقق انتشاراً واسعاً فى صفوف الصبية والمراهقين، الذين راحوا يتناقلون الحديث عن الجنس الجماعى الذى يمارس فى مصر الجديدة، والعجز الجنسى عند الرجال وقصص المراهقات والصور الخليعة، فعجز الكبار عن إدخالها بيوتهم، لكنهم لم يكونوا يدرون أن أبناءهم وبناتهم كانوا يأتون بها خلسة ليقرأوا ويشاهدوا الصور الخليعة التى جعلت منها بلاى بوى الشرق الأوسط.

وهؤلاء لديهم الغاية تبرر الوسيلة، ليس مهماً شرف الوطن ولا سمعته، ولا منظومة القيم التى تحكم أداءه، المهم هو التوزيع والتباهى به أمام الآخرين، فجعلوا من الصحافة سلعة رخيصة، تنهش أعراض الناس وتخترع الحكايات الشاذة، ويتفننون فى تقديمها إلى القارئ بطريقة تثير غرائزه، حتى ولو كانت القصص المقدمة كاذبة من الألف إلى الياء.

وتحت شعارات حرية الفكر والتفكير رأينا وجوهاً حاقدة، لا هم لها سوى الاعتداء على رموز الدين وتقديم مشايخنا الأجلاء على أنهم فاسدون منحرفون، بل وتقديم رموزنا الوطنية التى عشنا نتغنى بأمجادها على أنهم مجرد آفاقين كذابين لصوص وسكارى ولاعبين للقمار، بل وصل الأمر بإحدى هذه المطبوعات إلى أن تنشر فصولاً من كتاب الملحد سلمان رشدى «آيات شيطانية»، وكأنهم بذلك يروجون لأفكاره المجرمة، التى نالت الاحتقار فى كل بقاع الأرض، لما حوته من اعتداء على العقيدة، وهجوم على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام .

إننا لسنا ضد حرية الفكر، ولكن كم من الجرائم ترتكب باسم هذا الشعار؟ إذا تدخل الأزهر لمصادرة كتاب يشكك فى الدين والسنة قالوا: إن ذلك اعتداء على حرية الفكر، وإذا أراد أديب فاشل أن يروج لنفسه أعد رواية فاجرة وأبلغ عن نفسه فيتدخل الأزهر، وتتحرك بعض الأقلام المؤيدة، فتنال الرواية شهرة، ويتهم الأزهر وغيره من المؤسسات على أنه جهة مصادرة وتكميم للأفواه وحجر على العقول.

إذن المجتمع هو الذى يخضع للابتزاز من هذه القلة الشاردة، التى تريد أن تصنع من أنفسها أبطالاً بلا قضية، وشهداء بلا ساحة معارك، فيلتفت إليهم الغرب الحاقد علينا، وعلى حضارتنا وإسلامنا، فيمد إليهم يده بالمال الفاسد، أويحتويهم فى رحابه الشاسعة، أو يندد بمؤسساتنا الدينية لأنها تدخلت، وينسون فى كل ذلك أن الحرية ليس معناها الاعتداء على العقيدة، ونشر الرذيلة، وأن هناك فارقاً بين الاجتهاد وحرية التفكير، وبين أن تمسك بمعول لتهدم الدين وثوابت المجتمع.

وإلى جانب هؤلاء وهؤلاء هناك تيار المنافقين الأفاقين، وهو تيار لا يقل خطورة عن أنصار التطبيع، والابتزاز، وخونة الأوطان، إنه تيار يزين للباطل ويعتدى على الحقيقة، يقتل الأمل فى النفوس ويجعل من الحكام آلهة، لايخاف الله، ولا يرعى حرمة، يمتلك كل الأدوات الوضيعة فى يديه، لا يهمه سوى ذاته، ولو على جثث البشر جميعاً.. تيار كاذب، مخادع، مبالغ، لايستند إلى منطق، ولا يعرف الحياء.

وهذا التيار خطر على المجتمع، لأنه لا يعكس الصورة الحقيقية للواقع، فالحاكم لديه منزه عن الهوى، لا يخطئ أبداً، قراراته هى

الصواب، وكلماته دستور مقدس، وأفعاله لم يأت بها أحد من قبله ولن يأتى بها أحد من بعده، يجد مبرراً لكل الأقوال والأفعال، حتى لو كانت متناقضة، يزايد على الآخرين دوماً فى تمجيده للحاكم وتأليهه، فإذا ما سقط الحاكم وانتهى كان أول المنقلبين عليه، وأشد الناس ترحيباً بمن هو قادم، وبسرعة البرق يعدد أخطاء من مضى، ويرصد مميزات من هو آت، إنه ثعبان يتلوى ويغير جلده تبعاً للأحوال.. وهذا النوع مطلوب للأسف، ليس مهماً أن يكون شريفاً أو نزيهاً أو مثقفاً أو قريباً من الناس، المهم أن يجيد النفاق الرخيص، وأن يتصدى لكل من ينتقدون أهل الحكم، فهو لابد أن يكون شرشوحاً، بلا أخلاق، وبلا قيم، وبلا ضمير، لابد أن يتحرك كالآلة، بلا تفكير، بلا منطق، بلا إحساس .. والمنافق هنا مطلق السراح، يستطيع أن يتحول إلى وحش كاسر، يسرق، ينهب، يبتز، يصدر الأوامر والتعليمات، ينتقد الوزراء والمحافظين، يمارس عليهم القهر والإرهاب، ولا أحد يستطيع أن يتصدى له، أو يحاسبه على أفعاله، فهو المتحدث باسم الرجل الكبير، وهو القريب إلى أذنيه، للمواجهة، والدخول إلى ساحة المعارك، فمن يدرى سطوته؟ ومن يعرف قدرته؟ وليس هناك أحد مستعد لأن يضحى بمواقعه، قد يعترض البعض، قد يتصدى له، لكنه بعد حين لابد أن يسعى للصلح بأى طريقة، لابد أن يتقرب ويتودد، ويقدم فروض الطاعة والولاء.

وهكذا يصبح المنافق مركز قوة كبيرا، يطغى، ويتجبر، يصبح هو رئيس الحكومة الفعلى، الكل يخافه ويهابه، والكل يعمل له ألف حساب.

قولوا لى بالله عليكم كيف يستقيم حال المجتمع هكذا، خيانة مفضوحة، احتماء بالأجنبى، صحفيا مصريا يقبل جائزة بن جوريون

دون خجل أو حياء، صحافة تشهر برموز المجتمع وتنتهك أعراضهم، إساءات متعمدة للدين ورموزه، منافقين أصبحوا مراكز قوى جديدة على الساحة المصرية.

ترى هل يستمر الحال هكذا فى المرحلة الجديدة لحكم الرئيس؟ هل ستظل هذه الوجوه الكالحة تطل علينا لتسىء، أول ما تسىء إلى نظام الحكم، وإلى كل القيم الشريفة على أرض الوطن؟ هل سنترك العنان بعد أكتوبر للنخبة المخربة، وللمنافقين والكذابين، أم أنه حان الوقت لترشيد الأوضاع بما يخدم مقتضيات الأمن القومى، الكلمة الشريفة، وينهى أسطورة مراكز القوى الجديدة، التى حملت النظام فوق ما لا يحتمل، وكانت بنفاقها وأفعالها عنصراً منفراً وطارداً للمخلصين الحقيقيين؟

إن الوطن ليس ملكًا لحفنة التجار والمنافقين والمتصهينين، الوطن لكل الشرفاء والمخلصين، ملك لهذه الأغلبية الصامتة التى آن لها أن تتكلم، وأن يسمع صوتها..

لقد غيبنا الشعب طويلاً، تركناه يلعب دور المتفرج الساخر، فانزوى بعيداً، وهذا الشعب الذى يؤمن بالرئيس ومواقفه آن له أن يعود من جديد، ليصبح رقماً فاعلاً صاحب قرار فى التغيير المرتقب، ولن يستطيع أن يكون صاحب قرار فى ظل انتخابات مزورة واحتكار دائم للسلطة.

فى المرحلة الجديدة ليس هناك من خيار سوى التغيير.. نعم التغيير، التغيير، التغيير.

لقد وقف الشعب بأسره مع الرئيس مبارك، أيدناه من كل قلوبنا، لذلك نحن فى انتظار التغيير الحقيقى الذى طال انتظاره، لانريد تغيير أحمد بالحاج أحمد، لكننا فى حاجة إلى تغيير فى الشكل والمضمون، تغيير يعيد إلينا كل شيء جميل افتقدناه، تغيير يعيد الانتماء إلى النفوس، يعلى من قيمة الشرف والعزة والكرامة، تغيير يعيد مصر إلى حضن أهلها الفقراء والمطحونين، نريد مصر للجميع، وليست لقلة محدودة تحتكر الثروة والسلطة.

ولأن مبارك هو ابن الشعب، القريب إلى قلوب الناس، لذلك يبقى الأمل موجوداً، ونحن فى الانتظار.

العدد ١٢٢

١٤/٦/١٩٩٩م

بعد أكتوبر

الناس بتـحـبك يا ريس، اطمـأنت إليك، عـرفـتك ووثقت بحنكتك وخـبـرتك، أدركت أنك الرجل المناسب في هذه المرحلة، أنت صـاحب القلب الكبير، الحريص دوما على الجميع، لا تعرف في حياتك سوى العـمل، حـرمناك من كل شيء، من الأسـرة والأصـدقـاء والمجـتـمع، احتكرنا وقتك وجهدك.. وألقينا بكل متاعبنا على كاهلك.

مكانك في قلوبنا جميعاً، نحب فيك بساطتك وتلقائيتك، نعرف أنك أيضا تبادلنا الحب، تحرص دوما علينا، تنجز وتسعى للمزيد، تقاتل في كل بقاع الأرض، تنسى الخلافات لأجلنا، لذلك ستبقى في قلوبنا دون طبل أو زمـر، ودون رياء أو نفـاق.. فـحـبنا لك أكـبر من كل الكلمـات، وحرصنا عليك أقوى من كل العبارات.

أنا لا أريد أن أعـدد انجازاتك، لا أريد أن أحكي للناس عن أفعـالك، فـالكل يعرف والكل يدرك لكن الناس تتطلع إلى المزيد يا ريس، الناس تأمل الكثير، وتنتظر منك ما هو أكثر.

أظنك وأنت ابن الريف مازلت تتذكر نوتة الفلاحين يا ريس، الآن يمسك كل مصرى بنوتة صغيرة الحجم، يكتب فيها آماله وطموحاته، ينتظر شهر أكتوبر القادم على أحر من الجمر، هو واثق بأنه لن يحبط، لذلك يعيش الحلم ويعد الأيام بل والساعات.

إذا ذهبت إلى الحقل يا ريس فستجد الناس تحدثك عن مرحلة ما بعد أكتوبر، فى المصنع كذلك، طلبة الجامعات والموظفون، ربات البيوت، وشباب الوطن، العاطلون والعاملون، المثقفون والأميون.. الكل يقول انتظروا الريس بعد أكتوبر.

أكيد يا ريس التقارير ترصد ذلك، وكل الجهات المعنية تعرف ماذا يكتب المصرى فى النوتة، والله كأن الناس فى عام الحسم، تنتظر منك القرار، وتثق بأنك ستصدره، لن تخلى بها، فالناس انتظرت كثيراً يا ريس، وهى تريد أن تدخل معك وبك القرن الجديد برؤية أكثر وضوحاً، وديمقراطية أكثر انفتاحاً، وعدالة تسود الجميع.

لقد سمعت حواراً بين مواطن عادى وأحد المثقفين، كان الرجل العادى يتكلم بروح التفاؤل، بينما المثقف يقول: إن التغيير القادم سيقتصر على شىء محدود، والله يا ريس شعرت بأن المواطن العادى كاد يأكله، هل تعرف ماذا قال له؟!

قال له: إن الريس انتظر كثيراً، الريس نفسه يشعر بحاجة الوطن إلى التغيير، الريس قال والريس عاد، وهكذا راح الرجل البسيط يردد ويعدد فيك أحلى الكلمات، قال مبارك ده راجل أصيل، والأصيل عمره ما يخلى بالناس اللى بيحبوه، قال: أنت وطنى شجاع ومقاتل عنيد، والمقاتل لا يخاف إلا الله.

ثقة الناس بأنك ستغير ثقة بلا حدود، بالعكس أنت طبعاً تعرف فلسفة المصرى، كل واحد راح يتحدث عن الشكل الجديد، ويطرح أسماء، ويؤلف وزارات، ويعدد قرارات، المهم الناس كلها عايشة على الأمل، الناس بتحلم، وحلم الناس متعلق بأكتوبر.

خلى بالك يا ريس، الناس موش ناسية أنك صاحب الطلعة الأولى فى أكتوبر، وأن سلاحك فتح الطريق للنصر، وأنك طيار ومقاتل، علشان كده هى منتظرة «عبور جديد» منتظرة تجديد شباب الدولة والحكم، منتظرة ومنتظرة ومنتظرة.

ولو فتحت نوتة المصرى حتلاقيها بسيطة، بدون فلسفة، أو تعقيدات، مكتوبة بقلم رصاص، مرنة، قابلة للتعديل، لكن أهم ما فيها يا ريس، الوطن، البلد، مصر يا ريس.

مصر اللى نذرت عمرك كله علشانها، مصر اللى قاتلت ودخلت الكلية الحربية لأجل عيونها، مصر اللى بتدفعك للسفر والترحال، مصر هى الأمل وهى المراد.

نفسنا فى عهدك ياريس، تحقق لوطنا حاجات كتيرة، الكل بيتسابق، الزمن بيجرى، والتكنولوجيا كل يوم فى جديد، وإحنا يا ريس، لسه، يادوب، بنفكر، إحنا محتاجين هزة، وهزة عنيفة، عاوزين نسابق «إسرائيل» ونناطح أوربا، ونقترب من اليابان!

اليابان حققت المعجزة فى سنوات.. دولة محطمة، مدمرة، خرجت من الحرب، وفى سنوات قليلة حققت المعجزة، بالإرادة يا ريس، إحنا محتاجين بعث وطنى جديد، عودة للانتماء، إحساس بالوطن، عودة

للطيور المهاجرة، نفسنا نلم الشمل، ونبدأ، وآه لو بدأنا يا ريس، عزيمة المصرى أكبر من كل شيء، وإرادة الوطن أقوى من كل التحديات.

المصرى بيحب بلده، لكن بيزعل أحيانا، بيزهق من أعباء الحياة، هوه أحق بالعدل من غيره، هوه أحق بالحرية من غيره، هوه صاحب حضارة، والزمن ظلمه كتير الحكام جربوا فيه، عذبوه، الأجانب والأقارب.. حاولوا إذلاله وكسر أنفه، سلبوا حقوقه وقيدوه بالسلاسل لسنوات طوال، علشان كده الناس أملها فيك كبير.

وعلشان الانتماء يعود، وعلشان البلد تحلو وتعود العيشة الهنية، والابتسامة المخفية، علشان مصابيح بيوتنا تنور أكتر، لازم تضرب الحيتان يا ريس، الحيتان ياريس حطوا البلد فى كروشهم، وظفوا القانون لصالحهم، أصبحوا مراكز قوى جديدة، لولاك لأكلوا عظامنا قبل لحمنا، ومشكلة مصر إن خيرها كتير، ينهبوا قد ما ينهبوا، لكن ربنا أقوى، الحيتان دول يا ريس همه سبب بلاوينا، كل يوم يكبروا ويكبروا، أصبحوا ذئابا وبكرة يبقوا غيلانا وربنا يستر.

البلد عاوز هزة. تنفض الفساد، وتضحى بروس كبيرة، وتطبق قانون من أين لك هذا؟.. لا يكتفى بعزل الفاسد، ولكن يحاكم ويفتضح أمره بين الناس، علشان يكون عبرة وعظة لغيره.

ونفسنا يا ريس فى مجلس شعب يحاسب بجد وبصحيح، موش مجلس شعب يصفق، ويطنطن، ويمشى بالأوامر، وطبعاً مجلس شعب بالمواصفات الجديدة لن يأتى إلا بانتخابات نظيفة، والله زهقنا من التزوير يا ريس، طفشنا، فرقعنا، نفسنا نحترم أصوات الشعب

واختياراته، وإذا لم تتدخل يا ريس فالمجلس القادم هو مجلس البلطجية، واللى معاهم فلوس.

عاوزين يا ريس بعد أكتوبر إن شاء الله علينا وعليك خير.. عاوزين حكومة جميلة، دمها خفيف، فيها شباب وخبرات، فيها وزراء ندخل بيهم القرن الجديد، عاوزين وزراء من نوعيتك بيحبوا البلد ويحبوا الناس، عاوزين نعرف ثروة الوزير أول ما يدخل الوزارة، وثروته بعد ما يخرج منها، عاوزين نحاسبه على الإخفاقات، ونكافئه على الإنجازات، وعلشان كده المصرى كاتب فى النوتة أسماء كتيرة، بيقول إنها حتختفى فى التشكيل الجديد، وبيقول إن الوزارة الجاية فيها مفاجآت.

و الناس يا ريس قرفانة من الساسة الكدابين، والأحزاب الضعيفة، والانتهازيين اللى أفسدوا العمل السياسى وصورته، علشان كده الناس نفسها تدخل مدرسة السياسة، تناقش وتتحاور، تتكلم ويرتفع صوتها، وكل ده لن يحدث إلا عندما يشعر الناس بجدوى العمل السياسى، نفسنا ومنى عنينا نشوف تداول السلطة بين الأحزاب، فى عهدك يا ريس.. الكل مجمع عليك، والحزب الوطنى موش منزل من السماء، علشان يتفرض علينا، ويوقف نمونا، ويحتكر السلطة فى البلد ليوم الدين.

إيه رأيك يا ريس لو تجرب تسيبه.. اقسم بالله حيقع من الدور العاشر، حينكسر ويتفتت، ويهرول بعد لحظات وجيزة، حنقف ونقول هنا كان يقبع الحزب الوطنى الله يرحمه، ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

الحرية هى وحدها اللى حتخلينا نطمئن على البلد من بعدك يا ريس، ربنا يديك الصحة وطول العمر، الحرية ضمانة للحاضر وللمستقبل، تدريب للشعب على حكم نفسه بنفسه بوعى وإدراك، والله العالم بيضحك علينا لما تخرج انتخابات مجلس الشعب وقد فاز فيها الحزب الوطنى بأكثر من ٨٠٪، والغريب أنه فى الانتخابات الأخيرة زحف أكثر، وكاد يصل إلى نسبة ١٠٠٪ لولا ستر الله، وتسرب بعض المعارضين الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة.

أظن أن هذا الإجماع من الجميع، يعنى ببساطة أنه لا خلاف عليك يا ريس، وأنك أنت الذى تسند الحزب الوطنى، وليس هو الذى يسندك، وأن مصر كلها تقف خلفك.. لكل ذلك نتطلع إلى الحق فى تداول السلطة عبر صندوق الانتخابات.. نفسنا يكون الشعب قادرا على إسقاط حكومة مخطئة والإتيان بحكومة أخرى من حزب آخر، الناس لن تشارك فى الحياة الحزبية إلا عندما تتأكد من أن هناك أملا فى تحقيق التغيير السلمى.

النوتة مليانة يا ريس أمانى وطموحات، من حقنا نعرضها عليك، ونقول لك آمالنا فيك كبيرة، واحنا واثقين بأنك لن تحبطنا ولن تتركنا حيارى فى زمن لا يرحم، ومشاكل تزداد تعقيداً.

ألف مبروك مقدماً يا ريس، ألف مبروك اجماع الأمة من حولك.. ألف مبروك لنا وجودك بيننا.. وكلنا إى والله كلنا فى انتظار عبور جديد بعد أكتوبر.. وأكيد أكيد لن نحبط مرة أخرى.

اكتبوا يا مصريون مطالبكم، ابعثوا بالنوتة إلى الرئيس، فمبارك منا ونحن منه، والرئيس يسمع ولا يصم الآذان، ونحن أمام مرحلة مهمة وخطيرة، مرحلة نكون أو لا نكون، وبإذن الله سنكون وسنطوى صفحة الألم وننقش على صفحات التاريخ أن مبارك عبر بنا من جديد بعد أكتوبر ١٩٩٩.

ادعوا معنا أن يوفق الله الرئيس، وأن يبعد عنه المنافقين والخائفين.. وأن يحفظه لمصر وللأمة.

العدد ١٢٠

٢١/ ٥/ ١٩٩٩م

باراك عليكم ياعرب

ذهب النتن ياهو وجاء باراك، ما أتعس من سيدى إلا ستى، الاثنان قطعة من قماشة واحدة، لافرق بين هذا وذاك، الاثنان قاتلان، إرهابيان، وإن جاز القول، فإن باراك الأكثر شراسة وعنفاً، إنه العسكرى السابق، الذى حصل على نياشين لم يحصل عليها أى عسكرى فى تاريخ دولة العصابات الصهيونية.

طبعاً لم تكن هذه النياشين مجاملة، بل هى مكافأة على جرائمه المتعددة، التى لم يكن آخرها مقتل المناضل أبو جهاد وعدد من رفاقه فى تونس على يديه، حيث تزعم الوحدة العسكرية الإسرائيلية التى قامت بتنفيذ العملية التى كللت بالنجاح.

إننى لا أريد أن أسرد تاريخ القاتل الجديد، وجرائمه المتعددة ضد العرب والفلسطينيين، ولكن يكفى القول إنه لم ينتظر كثيراً بعد الفوز، فراح يعلن على الفور شروطه الخاصة بعملية السلام والتى حددها فى الإبقاء على وحدة القدس تحت السيادة الإسرائيلية كعاصمة أبدية، ورفض العودة إلى حدود ٦٧، ورفض وجود جيش فلسطينى، والإبقاء

على غالبية المستوطنين فى الضفة الغربية - التى لايزال يسميها يهودا والسامرة - تحت السيادة الإسرائيلية لم يأبه بالعرب، ولم يراع خاطر حكامهم، بل أعلن موقفه منذ البداية، وقال باختصار إن من يريد السلام فهذا هو مفهومي للسلام، فلا تعولوا كثيراً، ولا تنسوا أننى كنت أشرس من عارض إسحاق رابين، بسبب توقيعه اتفاقيات اوسلو فى وقت سابق.

إذن نحن أمام نتن ياهو جديد، والفارق الوحيد بينهما أن ذلك على رأس العمل، بينما كان الآخر يترأس تكتل الليكود، وفى المفهوم الاستراتيجى لا فرق بين العمل أو الليكود، فالكل يرفض عودة فلسطين، والكل متمسك بالقدس عاصمة أبدية، وبالمستوطنات كفعل شرعى يجب الحفاظ عليه.. إذن على أى شيء نراهن؟!

سألت نفسى هذا السؤال وأنا أرى أسارير البعض فى أمتنا المصونة وقد انفرجت راحوا يتضرعون أملاً فى فوز باراك، تابعوا انتخاباته عن كثب، بدأوا يستعدون لاستقباله فى بيوتنا، وجهوا إليه الدعوات، وتمنوا عليه القبول، شعروا بنشوة النصر، وكأنهم استعادوا الأرض واستردوا القدس على يديه.

أما باراك الذى أرى فيه وجه ثعبان خبيث، فلم يعطهم فرصة، عاجلهم بلاءاته، لكن حكامنا لا يصدمون، لا ينفعلون، لا يغضبون، لديهم صبر أيوب، قالوا فلنعط الرجل فسحة من الوقت، فلنقابله وجها لوجه وباستثناء موقف الرئيس مبارك الذى انتقد تصريحاته، فالكل منهمكون فى الاستعداد لاستقبال الفاتح العظيم «يهود بن باراك» رضى الله عنه وأرضاه!!

وهكذا علينا أن ننتظر دورة جديدة من الجدل والحوار، علينا أن نترك فسحة من الوقت لتقييم الرجل. مع أن الرجل ذاته أعلن موقفه قبيل الانتخابات وبعدها، لكن أحدا لا يريد أن يرى أو يسمع أو يتكلم، كأننا نبحث عن عذر أو مبرر لسكوتنا وخنوعنا، كأننا نخلى مسئوليتنا عن استرداد الأرض، وانقاذ الأمة.

اننا لسنا دعاة حرب ولا نريد، ولكن من قال إن الصهاينة يمكن أن يتركونا فى حالنا؟ من قال إن قنابلهم النووية ليست موجهة ضدنا؟ من قال إنهم سيكتفون بالأراضى التى احتلوها، وبالمستوطنات التى أقاموها؟ إن الحلم الصهيونى معروف، مكتوب على جدار الكنيست، يعيش فى وجدان كل إسرائيلى، فهل نحن فى حاجة إلى دليل أكثر من ذلك؟

لماذا الرهان على العدو؟ لماذا أصبح نضالنا محصوراً فى متابعة نتائج الانتخابات الإسرائيلية كل أربعة أعوام؟ نتفاءل، ثم نتشاءم، ثم نقبل بالأمر الواقع قهراً، ننتظر الانتخابات الجديدة لعل وعسى، نقدم التنازلات ولا نحصل إلا على الفتات.

لقد قرأت مقالا لكاتب من أتباع حلف الشيطان شهرته حلف كوبنهاجن يحيى فيه «الشعب الإسرائيلى» على خطوته الجبارة وديمقراطيته الرائعة فى إسقاط النتن والمجيء بباراك، وينسى هذا وغيره أن الناخب الإسرائيلى يدرك أنه لا فرق فى الموقف من عملية السلام بين النتن وباراك، وأن ما يجرى ليس أكثر من لعبة توزيع للأدوار، تجرى تحت رعاية وإشراف المؤسسة العسكرية الصهيونية.

إن القضية الأساسية التي يجب أن تحوز الاهتمام، هي الموقف العربي، وكيفية ممارسة الضغط على الحكومة الإسرائيلية، فهذا وحده الكفيل بإرغام الصهاينة على الانسحاب من الأرض، وتفكيك المستوطنات.

إذا كنا حقا جادين في البحث عن سلام عادل، فعلينا أولا أن نعيد تقويم مواقفنا من إسرائيل وأمريكا بما يخدم مصالحنا القومية بالأساس، يجب ألا نسلم لهم ذقوننا، ثم نستجدي بعد ذلك منهم الفتات.

ليس معقولا أن نطلب من الأعداء إعادة بعض من الحقوق إلينا، ونحن عاجزون عن عقد قمة عربية تبحث همنا المشترك، وتسعى إلى إنقاذ ما تبقى من كرامة العرب، إن كان هناك شيء قد تبقى!!

إن الرهان على الخلافات بين الإسرائيليين هو رهان خاسر بالأساس، فليس هناك أحد منهم لديه الاستعداد لأن يقاتل في مواجهة الثوابت الصهيونية، ومن ثم يبقى الخيار خيارنا نحن بالأساس.

نعم الأمة العربية وحدها وبما تمتلك من أوراق ضغط ـ تستطيع أن تجبر باراك وغيره على الإذعان للمطالب العربية المشروعة، أما إذا التزمنا طريق الخنوع والاستسلام للمطالب الإسرائيلية فلن تمنحنا «إسرائيل» أي حقوق، ولن تستجيب أبدا لنداءات السلام.

العدد ١١٩

٢٤/٥/١٩٩٩م

لعبة مكشوفة

مع كل موسم تنطلق ذات الأبواق، تزعق كالغربان، تندد بالوطن، تفتعل الكذب، تروى حكايات من صنع الخيال، والهدف تحريض الغرب ضد مصر وضد الرئيس.

إعلانات مدفوعة، وحملات يخطط لها اللوبى الصهيونى، صحف تكتب وإذاعات وقنوات تليفزيونية تروى القصص، تستند إلى بيانات هى من صنع الذين باعوا الوطن بالدولار، واحتموا بالغرب ووقفوا فى خندق واحد مع الأعداء.

ماذا جرى فى مصر؟ وما معنى هذه الحملة التى بدأت قبيل زيارة الرئيس مبارك إلى واشنطن بأسابيع قليلة؟ ومن هو المستفيد منها؟! أعتقد أن كل مصرى يستطيع أن يجيب عن هذه التساؤلات دون عناء أو مشقة.

عندما وقفنا مع الرئيس مبارك، ورفضنا اللعب على الحبال، كنا ندرك عن يقين حجم الخطر، نعرف أن الرجل هو فى مرمى الهدف

الأمريكى، وأن اللوبى الصهيونى يعمل ضده، وأن دوائر الاستخبارات الأمريكية تتربص بمواقفه، وتجند العملاء لإثارة الغبار حول سياساته، وترديد الأباطيل والمزاعم الكاذبة فى مواجهته.

نعم مبارك ليس رجلهم فى مصر، لا يصلح أن يكون تابعاً لهم، ينفذ الأوامر، ويرضخ للمطالب، إنه يلاعبهم بالبيضة والحجر، يحاول تحقيق أكبر قدر من المكاسب لصالح الوطن والأمة، لكنه لا يقبل أن يكون رقما فى سجلاتهم.

حاولوا كثيرا، حرضوا، أثاروا الزوابع، لعبوا مع عناصر الإرهاب، احتضنوهم فى أكثر من عاصمة أجنبية، سلموهم جوازات سفر بأسماء حركية، أعطوهم الأوامر لتهديد الاقتصاد الوطنى، وضرب السياحة ونشر الإرهاب، ولكن إرادة الله كانت أقوى من كل المؤامرات.

كنا ندرك منذ البداية أن أمريكا تريد تابعين ولا تريد أصدقاء، تتحدث بلسان وتتآمر فى الخفاء، تجيد توزيع الأدوار ولا تخلص إلا لمصالحها ومصالح العملاء.

ولأنها كيان بلا أخلاق، فهى تنتهز الفرصة لتمارس الابتزاز، تدفع برجالها لإثارة الزوابع واختراع الحكايات، تأملوا كل الزيارات التى قام بها الرئيس إلى هناك، الحملات تبدأ قبيل توقيت الوصول، سعى دءوب لتشويه سمعة الوطن، والهدف تركيع مصروإجبارها على الخنوع.

ولأمريكا طابور خامس على أرض مصر، تمده بالمال، ويمدها بالتقارير الكاذبة، وحالات الاضطهاد المزعومة، ينفذون أجندتها

كاملة، يبيعون الوطن بالكيلو والجرام، لا يخجلون، بل يزيفون الحقائق ويتباكون على الديمقراطية المهدرة والأبواب المغلقة.

لقد وقف الناس في حالة ذهول وهم يرون نفراً من أبناء الوطن، يستعدون الأجنبى على بلدهم، يطلبون منه الحماية، لأن الحكومة قررت وضع قانون ينظم ملايين الدولارات التى تدخل إلى الوطن بلارقابة أو حساب.

وها نحن نرى السفير الأمريكي يتبجح، يهدد ويتوعد، عاد بنا إلى زمن المندوب السامى، يتدخل علانية فى شئون بلادنا، يحاسبنا على إهدار الحريات، والعصف بالعمل الأهلى، وكان أولى به أن يبحث حال وطنه والعنصرية السائدة فيه، وانتهاك حقوق الإنسان الذى يجرى على أراضيه.

إن الزوابع التى تنطلق من حولنا، والأصوات المنفرة التى تندد وتهدد وتتوعد، كلها لا تريد خيراً لهذا الوطن، ترفض حقه فى حماية سيادته وأمنه، تريد أن تفرض علينا حكومة موازية من التابعين، تمدهم بالمال،وتدفع بهم إلى الأمام.

إنهم يحتضنون كل من يعادى هذا الوطن، وكل من يخلع رداء الوطنية، ويقبل التبعية لهم، يخترقون المجتمع المدنى برجالهم، يساندونهم بملايين الدولارات التى لها فعل السحر فى شراء النفوس وإفساد الذمم.

اخترقوا أوساط المثقفين بهذا التحالف المشبوه المسمى تحالف كوبنهاجن، ثم راحوا يدفعون ببعض من بقايا اليسار الذين أعلنوا توبتهم

وندمـهـم ليـتـصـدروا سـاحـة العمل الأهلى، يسـتـقـون منهم التـقـارير، ويحرضونهم على أوطانهم، ويسبغون عليهم حمايتهم، حتى إذا ما سقط أحدهم مارسوا الضغط للإفراج عنه وتكريمه وتقديمه على أنه واحد من شهداء حركة حقوق الإنسان!!

وفى هذا الإطار رأينا العجب، منظمات تولد فى أحـضـان جـهـات مرتبطة بأجهزة استخبارات، شبكات عائلية تسيطر وتهيمن، تكتلات معادية لوحدة الوطن تنشأ، وكله باسم العمل الأهلى وحقوق الإنسان.

ووجدنا أنفسنا أمام أناس يفلسفون العمالة المكشوفة ويقدمونها على أنهـا من أدوات المجتـمع المدنى الجـديد فى ظل العولمة، يتـهـمـون كل الحـريصين على أمن الوطن بأنهم «بتـوع» شـعـارات وأنصـار للتـخلف وعدم مواكبة المتغيرات.

اخترقوا جسد الوطن أمام بصر وسمع الدولة، وقفت الحكومة عاجزة أمامهم سنوات، تركتهم يقطعون ويبيعون مصر فى سوق النخاسة، بدأوا ينتـشرون فى ظل حـمـاية أمريكيـة غـربية، مـدوا جسـور التعـاون مع منظمات أخرى مشابهـة فى «إسرائيل» أصبح التمويل هو أقصر الطرق إلى التطبيع، ومع ذلك راحوا يفلسفون الأمر على طريقتهم، مستخدمين كل مفردات قاموسهم اليسارى السابق.

إذا أردتم معرفة ما يجرى فى واشنطن فابحثوا عن أصـحاب التقارير المشبوهة، عن صـاحب البوتيك، الذى زحـف إلـى فـرانك وولـف خـلال زيارته الأخـيـرة للقاهرة ليقـدم له أصـحـاب مـشـاكل عـادية على أنهم

مضطهدون من الدولة لأنهم مسيحيون، ابحثوا عن الشبكة التى تديرها السفارات الغربية فى مصر، ابحثوا عن هؤلاء الذين يقيمون الندوات، ويتحركون بأوامر مباشرة من الملحق السياسى للسفارة الأمريكية بالقاهرة.

لقد أحسنت حكومة الجنزورى كثيراً بإصدارها القانون الجديد للجمعيات الأهلية، والذى أقر معارضوه بأنه أفضل كثيراً من القانون السابق، ولكن المهم فى الأمر هو تطبيق القانون، وعدم التراجع أمام الضغوط، فهذه المعركة ستحدد مصير الوطن لسنوات طوال قادمة، لأنها معركة على من له حق السيادة على أرض الوطن، هل هى حكومة أمريكا أم هى حكومة مصر؟!

إن الحملة الإعلامية والسياسية التى انطلقت فى الخارج، والتى توجت بالأكاذيب التى تزعم اغتصاب المسيحيات على أرض مصر، هى حملة تستهدف الوطن وقيادته، تستهدف عرقلة تقدمه ونموه الاقتصادى، تستهدف ضرب السياحة على أراضيه، تستهدف ابتزازه لمصلحة العدو الصهيونى.

يأيها المصريون، انتبهوا جيداً، فالمؤامرة تدور رحاها منذ زمن طويل، علينا إفساد المخطط وهذا لن يتم إلا بمواقف قوية، ومشاركة الجماهير، وفتح الطريق أمام مزيد من الديمقراطية، ووقف حملات النفاق، واحتكار فئة بعينها شئون الحكم فى البلاد.

إن الوطن أكبر من الجميع، ولهذا فنحن فى حاجة إلى أن نقف صفاً واحداً مدافعين عن الماضى والحاضر والمستقبل، ووحدة الصف لن

تتـحقق إلا بإخـراج الناس من سلبـيتـهم، ودفـعـهم إلى التـمسك بثـوابت الوطن.

العدد ١٢١

٧/٥/١٩٩٩م

الزمن القـــادم

باحلم، من حقى أن أحلم، سأمضى أدق البيوت بيتاً بيتاً، لن استسلم لليأس، لن أخاف السجن، أو السجان، القيود تحطم قلبى، تعتقل الفكرة فى عقلى، تلوى ذراع الحقيقة فى ضميرى.

منذ كنا صغاراً نمضى، نعبث بطين الأرض. كنا نحلم، وبقينا نحلم، وسنظل نحلم.. الحلم أمل، تفاؤل، إحساس بالحياة، اصرار على التواصل، احلموا، لا تحبطوا، سيأتى وقت يتحقق فيه الحلم، يصبح واقعاً، ملموساً، رائعاً، جميلاً كوجه النيل، واضحاً كشعاع الشمس التى تخترق بيوت الغلابة فى الأرياف.

فى ميدان العتبة جلست أرقب وجوه البشر، مغرم أنا بالتلقائية، عاشق لأولاد البلد.. هذه سيدة تمضي وعلى رأسها طبق الليمون، وهذه العيون التائهة أعرفها جيداً، إنها عيون فقيرة تبحث عن أشياء رخيصة عند التجار، وهذا الصعيدى يبدو أنه يزور القاهرة لأول مرة، بدأ بالسيدة والحسين ثم العتبة، ويوم الجمعة سيمضى إلى حديقة الحيوان.. يأيها الغلبان العتبة ليست ملكنا، فلا تجهد نفسك فى القياس والحدود والخطوط، دع الملك للمالك، فنحن خارج التاريخ، منفيون فى عرض

الوطن، دمنا ثقيل، ولا نصلح أن نكون رقماً فاعلاً فى خريطة الحكم والنفوذ.

على جدار الحائط يكتب محمود عبد الرازق عفيفى.. «كلينتون برىء من البقعة الموجودة على فستان مونيكا.. أنا مستعد اشيل القضية».. يتأمل الصعيدى الكلمات، يضحك بحياء، يعيد قراءة العبارة مرة أخرى، يقهقه، يكلم نفسه بصوت مسموع، «عيقول عاوز يشيل القضية.. أما مغفل بصحيح، طيب كان يشيلهالى أنا»!!

دخان الشيشة من حولى يحاصرنى، أصوات الكركرة تجلجل فى المكان، تختصر الزمان، لكنى أرى الوجوه مكفهرة، لا تبتسم، الهموم تطل من العيون، الأزمات تمسك بتلابيب البشر.. الفقراء يملأون الساحة.. حتى سندويتشات الطعمية أصبحت من الكميات عند الكثيرين.

أفتح صفحة الحوادث فى جريدة مصرية، القتل، السرقة، الرشوة، الخيانة.. ياه هل هذه هى مصر؟ أشك.. هذا ليس وطننا، وهؤلاء ليسوا أهلنا.. إنهم أناس قساة القلوب، مرضى، قتلوا ضمائرهم وخانوا تراب الوطن.

اسأل نفسى بحرقة غريبة: ماذا جرى للناس؟ إلى أين نمضى؟ من السبب؟ كنا حتى وقت قريب نحافظ على الكيان، كانت قلوبنا طيبة، كنا نحب بعضنا بعضا، نعلى من قيمة الأشياء الجميلة، ونحاصر السوء.. لا نقبل إلا الشريف وسط صفوفنا.. أما الآن..

وآه من الآن، آه يا وطن، هذه الخيانات، هذا السقوط، هذه النخبة التى قتلت ضميرها، هذا الصحفى الذى باع شرفه، وهذا التاجر الذى خان الأمانة، وهذا القاضى الذى قبل الرشوة..

مساحة الفساد تتمدد، ورقعة الفاسدين تكاد تهيمن، عرى المجتمع تتفكك حلقة وراء حلقة.. أصبحنا نتعايش مع المرتشين والساقطين، اختياراتنا محدودة بين سيئ وأسوأ، كأن لغة الشرف لم يعد لها مكان في قاموسنا.

نسمع كل يوم عن الخناجر التي تغرس في الظهور، عن الكذابين والأفاقين، عن تجار الشعارات الذين يسقطون أمام أول جزرة تقدم إليهم، عن المناضلين الأشاوس الذين إذا ما أمسكوا بالمواقع تحولوا إلى أفسد الفاسدين.

نعم الكرسي يكشف البشر، والنفوس الضعيفة تصيبنا بالإحباط نتعلق بها وبكلماتها، ومع أول اختبار عملي يسقطون في الوحل، يبيعون كل شيء.. تسأل لماذا؟ وما الذي يستأهل في هذه الدنيا؟!

عندما يصيبني الإحباط من البشر وأفعالهم.. ألجأ إلى أستاذي، إلى محمد حسنين هيكل، إلى هذا الذي يصرر على أن يبقى نظيفاً طاهراً حتى آخر العمر.. إلى من تقرأ سيرته، فتشعر بأنك أمام نموذج مختلف، وقيمة لا تقدر بمال.

يأيها الأستاذ الرائع النبيل لقد أحببتك وأنا صغير، تربيت على كلماتك، وهأنذا احتمي بحروفك من طوفان الزمن، وانهيار الأشياء الجميلة التي كانت حتى الأمس من الثوابت والبدهيات.

أشعر بالأمان وأنت تتنفس على أرض الوطن، ودونك اليتم الحقيقي، لكننا لن نتوه وسط طوفان الكلمات الرديئة، لأنك زرعت فينا شيئاً كبيراً.

أترك العتبة وأمضي هائماً على وجهي في شوارع القاهرة، أريد أن أمضي في حواريها ودروبها.. أريد ألمس كل قطعة تراب من هذا

الوطن الغالى.. أمسح دموعاً راودتنى، وأنا اتأمل وجه الأستاذ الذى يبقى خالداً فى الذاكرة إلى الأبد.

الأستاذ يمضى إلى عامة السادس والسبعين.. أنا الآن أمام ضريح الحسين.. أدعو الله أن يحفظه لنا، أن يبقيه للوطن، لكل من أحبوه، ولكل من احترموا كلماته..

يا نبراسنا المضىء فى ظلمة الليل العتيد، اكتب، لا تتوقف، أبعث بكلماتك إلى البشر، بث فينا روح التفاؤل، نحن فى حاجة إليك، أنت بوصلتنا على أرض العروبة..

اكتب عن العراق الأبى، اصرخ فى الأمة كى تصحو من سباتها العميق، حدثنا عن أطفالنا الذين يموتون من جراء الحصار الظالم، قل لنا أين الشرعية الدولية من «إسرائيل»؟.. احك لنا عن العقلية التى تعودت الضرب وإنتهاك السيادة..

حدثنا يا أستاذى ماذا جرى لنا؟ لماذا نصمت؟ لماذا نقبل بالخنوع؟ لماذا نفقد الاهتمام بقضايانا العامة ونلهث وراء التفاهات؟

قل لنا لماذا نترك كوسوفا تموت؟ ولماذا تبدو قلوبنا أكثر قسوة ونحن نرى أطفال المسلمين يموتون بفعل ضربات الناتو ومذابح الصرب؟.. لماذا لم نتحرك عندما سمعنا عن اغتصاب مسلمة مشلولة فى كوسوفا؟.. لماذا لا نبكى، لا نصرخ؟ لماذا نبدو غائبين عن الوعى ونحن نرى شعباً يموت ووطناً ينهار؟

هنا، هناك.. فى فلسطين، وفى كل فلسطين، نحن أمة مكلومة، أصبحنا فى مرمى الهدف الأمريكى ـ الصهيونى، لكننا فى المقابل نمضى إلى المقصلة صامتين، نرى الخطر أمام أعيننا، وتحاصرنا

المخططات والمؤامـرات، ومع ذلك نلهث باتجـاه قـبلتنا الجـديدة فى واشنطن.

يا أستـاذى.. لقـد علمـتنا الأمل، والحلم.. لذلك سنبـقى نحلم، نـحلم بيوم الخروج من الأزمة، نحلم بالحرية فى كل مكان على أرض الأمة، نحلم بالتـحرر من هيمنة الأمـريكان وسـيطرة الصـهاينة، نـحلم بالغـد الآتى..

سيـبقى الحلم رايتنا، سنضـحك رغم الألم، سنتـفـاءل رغم حـصـار التشاؤم، سنلملم الجسد المتناثر ونبنى أنشودة الوطن.. سنظل نقاوم دون ملل أو كلل، سنزحـف إلى أعتاب القدس، وسنمضى إلى طرقات بغداد.. لن نفرط.. لن نبيع.. لن نتراجع.. وستأتى اللحظة.. نعم ستأتى رغم أنف الرافضين.

سنحقق الحلم بالعزيمة والإصرار، بالعناد والاستمرار.. سنبقى نحب هذا الوطن حتى لو جلدونا بالسياط، سنمسك بشعاع الأمل، ولو سجنونا وراء الأسوار.. فاطمئن ياصاحب القلب الجميل.. رسالتك وصلت منذ زمن بعيد.

العدد رقم ١١٨

١٧/٥/١٩٩٩م

التغيير ياريس

أصبح الجمود يسيطر على حياتنا السياسية والوظيفية، الكل فى مكانه حتى إشعار آخر، لا أحد يتحرك، ولا أحد يتقدم أو يتأخر.. الوجوه هى نفس الوجوه، والشخوص هم نفس الشخوص، الملامح واحدة، والسمات مشتركة، تحصنوا فى مواقعهم، تحنطوا فى توابيتهم، كتموا على أنفاس الكراسي فصرخت من الألم!!.

قالوا قديماً: فى الحركة بركة، ولكننا أثبتنا هنا على أرض الواقع المصرى أن السكون ليس جنوناً، وأن فى الحركة إهداراً للطاقة وعبثاً بالإمكانات، وأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان.

كنا زمان نقول إن من فاته الميرى فعليه أن يتمرغ فى ترابه، ولكن واحسرتاه لقد فاتنا الميرى ولم نجد التراب حتى نتمرغ فيه، فقد احتكرت القلة كل المواقع وهيمنت على مقدرات الوطن، وقالت بصوت مجلجل: «اللى موش عاجبه البحر الأحمر يشرب من الأطلنطى».

السادة الوزراء الأفاضل ليس لهم مثيل، جاءوا إلينا من عالم غير العالم، لديهم إمكانات متفردة، وعيون ثاقبة، وعقول حادة الذكاء، إذا

فعل السيد الوزير فلن يستطيع أحد أن يقلد فعلته، وإذا عطس ففى عطسته الخير والنماء، وإذا كح فكحته برد وسلام على الجميع.

والسادة رؤساء المؤسسات الأفاضل عشعشوا ومشمشوا، كروشهم كبرت، وعيونهم إحولت، أيديهم طويلة، وضمائرهم مطاطة، تقارير الجهاز المركزى تدين الكثيرين منهم، ولكن على مين، إنهم قادرون على اللعب بالبيضة والحجر، يخرجون من القضية كالشعرة من العجين، يعرفون الدروب والمسالك ويحولون العزب إلى ممالك.

أما السادة رؤساء بعض مؤسساتنا الصحفية فحدث ولا حرج، باقون، لا تغيير ولا تبديل، لا تحريك ولا تطفيش، صامدون فى مواجهة العواصف والبراكين، مستعدون لدحر كل الخصوم والمتطلعين، لقد خبرناهم وخبرونا، عرفناهم وعرفونا، فلماذا التغيير ولمن التغيير؟!

الكبير يدوس على أنفاس الصغير، والرئيس يسحق المرءوس، الموهبة أصبحت نقمة على صاحبها، والذكاء جرثومة يجب القضاء عليها، والشرف لغة جديدة ليس لها مكان فى القاموس، ويسألونك بعد ذلك عن البديل!!

البديل، البديل، ومن أين نأتى بالبديل؟ لقد سحقتم كل النوابغ، وقهرتم كل المخلصين، واحتقرتم كل الناضجين، وطنشتم كل من يطالبون بحقهم على أرض هذا الوطن..

لقد قضوا على جيل بأكمله، قصفوا عمره قبل الأوان، حطموا طموحاته، حاصروا آماله، سدوا الأبواب وأغلقوا الشبابيك، أصبحت المواقع كلها حكراً عليهم، تأبدوا فيها، وتركوا الأمة كلها على ناصية الطريق..

انتظرنا كثيراً، قلنا إن التغيير سنة الحياة، وإنه يطيل عمر النظام، ويجدد دماءه، قالوا لنا العبرة ليست بالشكل ولكن بالمضمون، صمتنا طويلاً، فإذا بالوطن كله يدخل الثلاجة، وإذا بالإحباط يسيطر على النفوس، بعد أن انصرف الكثيرون إلى مصالحهم الشخصية، فتحولوا إلى حيتان لا تتحملها الكراسى العادية.

استوحش الكبار، وصنعوا من ورائهم وحوشاً صغاراً، جيوشاً من السكرتارية والحراس ومديرى المكاتب، أصبح لكل منهم بزنسه الخاص، وبدأوا يمارسون سلطات ربما أوسع من سلطات المسئول، يتاجرون باسمه، وكثيراً ما يقتسمون الأموال معه، يسخرون الوزارة، ويبنون العمارة تلو العمارة.

أموال البنوك تحت أقدامهم، وتأشيرات الكبار طوع أياديهم، لا أحد يقول لهم لا، ولا أحد يسأل من أين لك بكل هذا؟ المهم أن يهبروا فى هدوء وبعيداً عن الضجيج.

وقانون التأبيدة ليس مقصوراً على الحكومة وحدها، بل أشقاؤنا فى المعارضة شركاء فيه، تأملوا معى الخريطة جيداً، هل يستطيع كائن من كان أن يزحزح رئيس حزب عن موقعه، تجرى الانتخابات وتنعقد المؤتمرات، والنتيجة فى النهاية لا تغيير، وكأن الحزب لم ينجب غير فلان أو علان.

حولوا أحزابنا إلى تكايا وعزب خاصة، أصبحوا ملوكاً بلا سلطان، توجوا أنفسهم أباطرة للزمان والمكان، لا يطيقون سماع الرأى الآخر، احتكروا الحكمة لأنفسهم، وفى النهاية كان طبيعياً أن تنصرف عنهم

الجماهير، بعد أن شعرت بعدم المصداقية، ورأت بعينيها أن الحزب الحاكم والمعارضة فى مركب واحد، وأنه ما أتعس من ستى إلا سيدى!!

وهكذا بدأنا ندور فى حلقة مفرغة، وننتقل من سيئ إلى أسوأ، فانصرف الناس عن السياسة، كفروا بالشعارات، لأنهم رأوا النخبة أمامهم يتساقطون الواحد بعد الآخر، انتشر الحقد بين البشر، أصابتنا لعنة تحطيم الرموز الشريفة، وبدأنا نهيل الثرى على صفحاتنا المجيدة، أصبح أراذل القوم أسياداً، داسوا بأقدامهم الثقيلة أنفاس الشرفاء، وكل من يعشقون هذا الوطن، راح البعض يهرب بجلده إلى خارج البلاد، الناس تريد أن تتنفس هواءً نقياً بعيداً عن عصابات المافيا الجديدة، التى تتآلف وتترابط برباط المصالح والعلاقات الشخصية.

ومن بين رحم هذه الفئات التى تملكت الوطن بدأت الخيوط تتمدد، لتشمل أصحاب المال ورجال الأعمال، فأصبح لكل مسئول شلته، وأصبحت مصالح هذا الشخص لا تقضى إلا إذا دفع المعلوم، بدأنا نسمع عن أرقام خيالية يحصل عليها هذا المسئول أو ذاك، عن حسابات بالخارج وأموال مكدسة بالداخل، والغريب أن كثيراً من هؤلاء يخرجون ليعطونا دروساً فى الشرف والأمانة والأخلاق!!

إن السؤال هنا: هل من مصلحة الرئيس مبارك - الذى نحبه ونقدره - أن يبقى على هؤلاء؟ هل من مصلحة نظامه أن يتشعب الفساد ليصل إلى مساحات واسعة تحرق أرض الوطن، وتدمر كل قيمة نبيلة فيه؟ هل من مصلحته أن يبقى مبدأ التحنيط سائداً، وأن تتوقف الحركة وتتراجع الآمال والطموحات؟!

البعض يقول إن الاستقرار عامل مهم، وأنا مع ذلك، ولكن هل يعنى تجديد دم الوطن وتنقية الصفوف من الفاسدين زعزعة للاستقرار أم تأكيده ؟!

قد يقول البعض إن هؤلاء قد شبعوا فهل يعقل أن نأتى بآخرين يبدأون عملية النهب المنظم منذ البداية؟ وهنا أقول إن الفاسد لا يشبع أبداً، كما أن هذا الطرح معناه أن مصر ليس بها سوى الفاسدين، وأن الشرفاء لم يعد لهم وجود، وهذا ظلم لمصر ولشعبها، فالبلد لايزال عامراً بجيش من المحبين، فقط نحن فى حاجة إلى هزة عنيفة، تبقى على الشرفاء فى مواقعهم، وتبعد أرباب الفساد.

لقد كتبت العدد الماضى وهأنذا أكتب مجدداً بأن خيار حسنى مبارك لنا هو خيار أساسى، ولكننا نأمل فى أن تبدأ المرحلة الجديدة بصفحة جديدة فى تاريخ الوطن، تعطى الأمل للناس فى التغيير، تغلق ملفات الطوارئ والاعتقالات العشوائية، تمنح العمل السياسى دفعة جديدة، وتعطينا الحق فى تداول السلطة.

ليس معقولا أن تظل مصر حكراً على الحزب الوطنى ليبقى هو المهيمن وهو المسيطر، هو الحكومة وهو الدولة، وهو مجلس الشعب وهو مجلس الشورى، هناك كثيرون أيضاً يحبون مصر، ويأملون فى خدمتها، هناك كوادر يفخر بها الوطن، تستطيع أن تقدم وتعطى، لكنها تبقى منزوية أو بعيدة بعد أن تصدر الساحة نهج الفهلوة ورموز الأونطة.

من حق شعب مصر أن يتنفس الصعداء فى عهد مبارك، فهذا الرجل لا يكن حقداً لأحد، ويتعامل مع الجميع على أنهم مصريون

وطنيون، بغض النظر عن مواقفهم ومواقعهم، وأعتقد أن شعب مصر الذى قدم وضحى من حقه أن يطالب بمساواته ببلد مثل نيجيريا أو جيبوتى.

إن الشعب يحب الوطن وترابه، ولكن استمرار الحال على ما هو عليه، يصيب الناس بالإحباط ويجعلهم فريسة لجماعات العنف والتطرف، يدفع الشباب إلى مستنقات الوحل، يهدم منظومة القيم الأصيلة، ويجعل الناس تتكالب على الأشياء الصغيرة فتدوس فى زحمة الصراع الزهور المتفتحة والأحلام النبيلة.

من حقنا أن نحلم ياريس.. كل مصرى يحمل الحلم بداخله، لا تصدق المنافقين الذين تعرفهم واحداً واحداً، نريد إجماعاً على شخصك، أعرف أن الغالبية معك، ولكن حتى هؤلاء المعارضين الذين بدأوا يقودون حملة ضد ترشيحك للمرة الرابعة نحن فى حاجة إليهم، يجب ألا ندعهم هكذا، فلنتحاور معهم، ولنستمع إليهم.

أنت يا سيادة الرئيس لنا جميعاً، وأنت محبوب من الكافة، ولكن من حق هؤلاء الذين أحبوك أن ينعموا بالحرية السياسية التى تمكنهم من تداول السلطة، من حقهم أن يطالبوك بأن ترفع يديك عن الحزب الوطنى، وأن تكون لكل المصريين بلا استثناء، بعيداً عن لعبة الأحزاب، وصراعات الكراسى، من حقهم أن يشهدوا انتخابات نظيفة مع بدايات القرن الجديد، وأن تكف الدولة عن التدخل لصالح هذا المرشح أو ذاك، من حقهم أن يطالبوا بالعدل الاجتماعى والمساواة أمام القانون.

ياسيادة الرئيس، إن آمالنا بسيطة، وأحلامنا متواضعة، نعرف أنك مهموم بنا، وأنك لا تعيش حياتك مثلنا، لكن هذا هو قدرك، فأنت أمل الناس ورجاؤهم، ولهذا نحن نترقب مرحلة ما بعد الفترة الرابعة بفارغ من الصبر.

العدد رقم ١١٧

١٩٩٩/٥/١٠م

انطبــــاعــــات

مازلت أتذكر كل التفاصيل، الرئيس يجلس على كرسى بسيط فى حديقة منزله، الابتسامة تكسو وجهه، ذاكرته تبدو متدفقة، يسقط من أمامك حاجز الرهبة بسرعة، يشعرك على الفور كأنه يعرفك منذ زمن طويل، يسحرك بتلقائيته، يغوص معك فى كل القضايا بلا استثناء، يشجعك على أن تسأل، وأن تطرح كل ما لديك من تساؤلات.

حدث ذلك منذ أكثر من ١٢ عاماً، كان عمرى فى هذا الوقت نحو ٣١ عاماً.. خرجت من هذا اللقاء مفعماً بالأمل، كنت على يقين من حبه لمصر.. إنه يحب الوطن فى صمت وهدوء، لا يحب الضجيج، ولا يسعى إلى زعامة كرتونية، أمنيته هى أمنية كل مصرى، وطن يضم الجميع، يرعى الجميع، يبزغ فجره من جديد، يعود إلى ممارسة دوره، يعبر الأزمات بخطى ثابتة، يواجه التحديات بالنهوض والتعمير.

كان يبدو كأنه قادم لتوه من ميدان القتال، الدبلوماسية لم تخترق ثوابته، يؤمن بالتكتيك شريطة أن يخدم استراتيجيته. يعى تماماً ظروفه الإقليمية، يدرك أن عالم اليوم ليس هو عالم الأمس، يفتح أبوابه

للجميع، يتجول شرقاً وغرباً، لا يلقى بأوراقه كاملة فى حجر أحد، يفخر دوماً بأنه ابن لهذا الشعب، يشعر بهمه، يعرف مشاكله، يتكلم بلغته، يذوب عشقاً فى ترابه.

اثنا عشر عاماً منذ اللقاء الأول، تكررت اللقاءات، لكن مبارك يبقى كما هو لا يتغير ولا يتبدل، وعندما شاهدته فى احتفال عيد العمال الخميس الماضى أدركت أن شخصية الرئيس لاتزال على بساطتها، وأنه وسط العمال كأنه واحد منهم، يكسر كل الحواجز، يخترق كل الخطوط، يحرق المسافات بسرعة كبيرة، ويفتح صدره لكل الآراء ويرد عليها بطريقته البسيطة.

البعض قال منذ البداية إنه امتداد لأنور السادات، ثم جاء آخرون ليقولوا بل هو ناصر جديد، لكنه حسم الأمر مبكراً، وقال: اسمى محمد حسنى مبارك.

نعم نحن نريدك كذلك، سعدنا بالمقولة، ندرك أنك تحمل إرثاً ثقيلاً،ديوناً كبيرة، مليارات لا ندرى كيف جاءتِ ولا أين ذهبت نجحت فى إزاحتها من على كاهل الوطن، كانت تكتم أنفاسه، وفوائدها تزهق أرواحنا، لكنك نجحت فى اسقاط العبء الأكبر منها.

مر الأمر علينا وكأن شيئاً لم يكن، لم نعطك حقك، مع أنك فعلت معجزة، كان بإمكانك أن تمضى فى لعبة القروض، تأتى إلينا بالمسكنات، لكنك أبيت، تحملت وتحملنا معك، انقذت اقتصاداً يتهاوى واسقطت معوقاً كبيراً كان يعوق حركته وتقدمه.

ركزت اهتمامك فى مشاكل الناس، أوقفت فرض أية ضرائب جديدة، أعدت بناء البنية التحتية، صرفت عليها أكثر من ١٨٣ مليارا، الخدمات الاجتماعية لاتزال واحدة من همومك، دخلت فى سباق مع الزمن بمترو الانفاق، توشكى، ترعة السلام وغيرها كثير.

وأنت تدير دفة السياسة الخارجية بذكاء كبير، تفعل ما تريد دون أن تثير الضجيج من حولك، تحافظ على ثوابت الوطن، وترفض أن تكون ألعوبة فى أيدى أحد، مارسوا عليك الضغوط، طلبوا منك أن تسد المنافذ على ليبيا فرفضت، سعوا إلى تحريضك من أجل أن تتورط فى السودان، لكنك أبيت، حاولوا الزامك بالتطبيع الساخن، لكنك وضعت الشروط طلبوا منك أن تغض البصر عن حقوق الفلسطينيين، لكنك لم تتركهم وحدهم، انقذت سوريا من براثن الذئب التركى فى آخر لحظة، تسعى الآن بكل قوة من أجل رفع الحصار عن العراق، هددوا من أجل الافراج عن الجاسوس عزام، لكنك قابلت التهديد بالتحدى، راحوا يقدمون الرجاء إليك ويرسلون بكل قادتهم لكنك احترمت حكم القضاء ورفضت التفريط.

وهكذا أنت تقدر مصلحة الوطن، تحترم الرأى العام فى قرارا تك، يهمك الجوهر أكثر من الشكل، نعجب أحياناً، نعتب أحياناً، لكننا لا نملك إلا أن نحبك وأن نقدرك.

هناك أشياء كثيرة لا تعجبنا، هناك أمنيات كثيرة لم تتحقق، لكننا لا نستطيع أن نحملك وحدك كل النواقص والسلبيات، يكفيك الهم اليومى، يكفيك أنك تتابع فى الصباح الباكر وحتى أواخر الليل.

لكننا ياسيادة الرئيس نحلم معك، نحلم بوطن خال من الاستغلال، بلقمة عيش نظيفة لكل جائع، بشقة لكل شاب يبحث عن الستر.

نحلم بالحرية التى تنهى عهد التزوير، بمنافسة شريفة فى كل المواقع، نحلم معك بزمن الكرامة وقوة الإرادة، نحلم بتوجيه المزيد من الضربات إلى الفساد والفاسدين، بمحاكمة حرامية البنوك والمتاجرين بدمائنا.

نحلم معك باطلاق سراح كل المعتقلين وإغلاق ملف التعذيب بلا رجعة، نحلم معك بعودة العمل النقابى حراً دون مصادرة أو تجميد، نحلم معك بمصر القيادة، بمصر الطليعة، بمصر المحورية.

ياسيادة الرئيس أحلامنا كبيرة، ندرك أنك تعيها وتعرف أبعادها، ولذلك يبقى الأمل فى تحقيقها.

ولأن الناس تعرف من أنت، وكيف تعيش الهم معها، لذلك تجدهم تواقين دوماً إلى تحقيق الحلم.. ينتظرون اللحظة بفارغ الشوق، لذلك لا مجال أمامهم من بديل آخر.

نعم الناس تريدك أنت ياسيادة الرئيس، ولذلك نتمنى من الإخوة المنافقين بتوع كل العصور، كذابى الزفة أن يتوقفوا عن الضجيج، ويتركوا شعب مصر الذى يعى جيداً رسالته ويحدد عن يقين اختياراته.

الناس معك مادمت أنت معها، الناس خبرتك وعرفتك، وهى ترى أن الوطن يمضى قدماً إلى الأمام على يديك، الناس ستخرج إلى صندوق الانتخاب لتقف إلى جانبك، وكلها أمل فى مرحلة جديدة بوجوه جديدة، بمضامين جديدة.

لقد قال الأستاذ والمفكر الكبير محمد حسنين هيكل: لو قدر له أن يذهب إلى صندوق الانتخابات فسوف يصوت لصالحك.. هذا هو هيكل المحاصر سياسياً وإعلامياً فى وطنه.. قالها دون تردد لأنه يدرك تماماً أنك رجل المرحلة وأنه لا بديل لك، فما بالك بنا، ما بالك بالمواطنين العاديين الذين اقتربت من قلوبهم وعقولهم، وتبذل كل الجهد من أجل مصالحهم.

التقدير لك ليس مصرياً فحسب، بل إن الشارع العربى معك أيضاً، نسمع ذلك فى كل مكان، كلمات التقدير والثناء على مواقفك يطلقها الكافة بدءاً من رجال المقاومة اللبنانية المنتمين إلى حزب الله، وانتهاء بمواطن بسيط فى اليمن أو المغرب أو جيبوتى، وهو أيضاً تقدير عالمى وزيارتك الأخيرة للصين وكوريا واليابان خير شاهد وخير دليل.

نريد أن نبدأ مع ولايتك الجديدة عهداً جديداً، هو استكمال لمرحلة سابقة بأدوات أكثر تأثيرا، بحرية تفتح الأبواب أمام الجميع، لا تستثنى أحداً بقرارات جريئة تغلق ملف حالة الطوارئ والمحاكم العسكرية، تمنح الأمل بتداول السلطة فى الوطن بين أبنائه المخلصين، بالسعى الدؤوب من أجل اطعام الجائعين والمحرومين. بمواقف أكثر قوة فى مواجهة من يعبثون بأمن الوطن والأمة، بامتلاك أسلحة الردع التى تخيف الأعداء وتحمى أمننا القومى.

سيادة الرئيس أكتب إليك هذا الكلام من قلبى، وأظن أن الأغلبية الساحقة تشاركنى فيه.. غداً سيمضى التاريخ وتبقى مواقفك وإنجازاتك عرضة للتحليل.. وساعتها لو أبقانا الزمن فسنقول من خلفك ما قلناه فى مواجهتك.

منحك الله موفور الصحة، وحفظك للوطن.. وكل سنة وأنت طيب ياريس.

العدد رقم ١١٦

٢/٥/١٩٩٩م

بيـــان الأطلـسي

أقر حلف الأطلسى، فى ختام اجتماعه بواشنطن، مهمات الحلف خلال القرن الحادى والعشرين.

وقد تضمن البيان الصادر عن قمة رؤساء وحكومات أعضاء الحلف الـ ١٩ مفهوماً استراتيجياً جديداً للحلف يوسع مهامه، ويكلفه للمرة الأولى بإدارة الأزمات على مجمل الأراضى الأوربية، بل ويسمح بتنويع مهامه بحيث تشمل الحد من انتشار الأسلحة النووية، ومكافحة الإرهاب ورعاية حقوق الإنسان.

وكما هو واضح من البيان الصادر مساء أمس الأول فإن أمريكا نصّبت من نفسها حاكماً واحداً ووحيداً للعالم، هى صاحبة القرار الأوحد فيه، وهى وحدها القادرة على تأديب من ترى أنهم عصاة جناة.

وهذا البيان يعنى ببساطة وفاة الأمم المتحدة بعد عمر مديد، ويجعل من حاميها حراميها، ويفتح الطريق أمام البلطجى العالمى ليرسم الخطى على هواه، يحاصر من يشاء، ويؤدب من يشاء.

والسيطرة الأمريكية على الحلف تبدو متفردة، حيث تحول قادة أوربا وجيوشها إلى مطية فى يد السيد الأمريكى الذى يصر على أن يكون أحد رجاله قائداً أعلى لقوات الحلف، وأن يظل هذا الأمر حكراً على واشنطن وحدها.

إن خطورة المرحلة الجديدة فى حياة العالم بعد بيان الأطلسى تتمثل فى أن أحداً لن يستطيع أن يقول لا، وأن الكل لابد أن يركع لمطالب أمريكا ومفاهيمها عن حقوق الإنسان والإرهاب.

وسوف يكون بمقدور أمريكا أن تبدو أكثر بجاحة فى مطالبها تجاه ما تسميه امتلاك بعض الدول أسلحة الدمار الشامل، وساعتها فلابد من أن تجاب مطالبها على الفور، ولابد من أن يستجيب قادة هذه الدول للنصيحة، وأن يذعنوا لها، وإلا فالعصا لمن عصا.

وما يحدث الآن ضد يوغوسلافيا هو بروفة جديدة بعد العراق، لطريقة اتخاذ القرار وسبل المواجهة، وهو نموذج سيطبق على الكثير من دول العالم التى لاتزال تصر على اتخاذ مواقف مستقلة بعيداً عن هيمنة واشنطن وسيطرتها.

ويفتح هذا الإعلان الطريق واسعاً أمام افتعال الأزمات مع الدول الرافضة، وحث الأطراف الأخرى - بمقتضى الاتفاق - على اتخاذ مواقف مؤيدة أو محايدة على الأقل من الاجراءات التى سيضطر الحلف بزعامة أمريكا إلى اتخاذها ضد هذه الدولة أو تلك.

ولا يستطيع أحد أن يرتكز إلى معايير محددة إزاء مواقف الحلف فى الفترة المقبلة، فكل الأبواب مفتوحة، وكل الطرق يمكن أن تؤدى إلى

تحقيق الهدف، ومن يرفض الخضوع سلماً فسوف يتم إلزامه عن طريق القوة المسلحة.

خذ عندك مثلاً.. ماذا إذا خرجت علينا أمريكا ببيان يتهم الحكومة المصرية بمخالفة قانون الاضطهاد الدينى كما هو حادث فعلاً، وطالبت بإجراءات تمثل تدخلاً فى السيادة المصرية، واعترضت مصر على هذا التدخل؟!

إن السيناريو المتوقع هنا هو حصار تتلوه على الفور ضربات عسكرية موجعة، ومؤامرات مكشوفة تستهدف أمن البلاد ووحدتها الوطنية.

هناك أيضاً موضوع أسلحة الدمار الشامل، بالقطع ليس متصوراً لجوء أمريكا إلى معاقبة إسرائيل، لكن الوارد هو ممارسة الضغط على بعض الدول التى تقول واشنطن إنها تمتلك مثل هذه النوعية من الأسلحة.

والاتهامات الأمريكية هنا تطال مصر وإيران وكوريا الشمالية وباكستان والعديد من الدول الأخرى.. إن واشنطن تريد تعميم نموذجها فى العولمة الاقتصادية والثقافية بقوة السلاح، وهو أمر تسعى من خلاله إلى تنصيب نفسها فعلياً رئيساً لمجلس إدارة الكرة الأرضية.

إذن نحن أمام قوة لا تستند إلى شرعية، وهى وحدها التى تفسر القانون تبعاً لمصالحها، ومصالحها تتعارض بالتأكيد مع مصالح الغالبية من دول العالم.

لكل ذلك أقول إن أى دولة لن تسرع بامتلاك السلاح النووى الذى تدافع به عن وطنها وشعبها فسوف تلقى مصير العراق أو مصير كوسوفا أو مصير يوغوسلافيا ذاتها.

نعم ليس هناك من خيار سوى الاستعداد لملاقاة العدو الذى نصب نفسه سيداً على الجميع، ومواجهته دفاعاً عن الاستقلال وعن الهوية.

أما الذين يظنون أنهم بعيدون عن المخطط فهم واهمون، لأن المخطط يستهدف فى مقدمة ما يستهدف - أمتنا العربية ودور مصر بالأساس، حتى يفتح الطريق واسعاً أمام السيطرة الصهيونية والأمريكية كاملة على الأمة وثرواتها وبترولها.

إن على أمتنا أن تفيق قبل فوات الأوان، لأن لغة الصمت والخنوع لن تجر علينا إلا المزيد من الويلات والمصائب.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

العدد رقم ١١٥

٢٦/٤/١٩٩٩م

من يحمى ظهورنا

لا تيأسوا لا تقنطوا من رحمة الله، لملموا جثث الشهداء، ادفنوهم فى مقابر جماعية، واكتبوا على مقابرهم، هؤلاء ذبحوا لأنهم مسلمون!!

لا تذرفوا الدموع، لا تسلموا أوراقكم لأحد، فالكل أعداؤنا، والكل يريد الثأر منا، جميعهم يريدون بناء حضارتهم الجديدة على جماجمنا.

نحن أمة مكلومة، تدفع كل يوم مزيداً من الشهداء، تسدد الفاتورة كاملة مع أننا لسنا مدينين لأحد، يطردوننا من أرضنا، يفرضون حصار التجويع على أطفالنا، يطلبون منا أن نزحف، وأن نقدم فروض الطاعة والولاء!!

لم نكذب خبراً، لم نرفض، بل ذهب الكثيرون منا إلى هناك، لكن الغرب اللعين يريد أن ينهى وجودنا من الأساس.

القرار الدولى الذى أجمع عليه الكافة هو: لا مكان للمسلمين والإسلام فى القرن الجديد.. دعكم من اللعبة التى تجرى حالياً فى البلقان، إن لأمريكا مصالحها، ومصالحها لا تلتقى مع مصالحنا، هى

تخوض الحرب ولكن لحسابها، وإلا فلماذا تركوا الصرب يفرغون كوسوفا من أهلها؟!

ماذا فعل حلف الناتو؟ الإجابة لا شيء، مزيد من التطهير العرقى، ومزيد من المذابح، ومزيد من الموت والدمار وحرق البيوت، كل ذلك يجرى تحت سمع الناتو وبصره!!

إذن اللعبة الثنائية لها هدف واحد، واستراتيجية مشتركة، حتى وإن لم يجلس الطرفان على مائدة واحدة، الصرب لا يريدون للمسلمين موطئ قدم، والناتو وجدها فرصة ليتخلص من قوة يوجوسلافيا، ويمنحها المبرر لممارسة المذابح وعمليات الطرد الجماعى ضد المسلمين.

إن المعلومات التى وصلت إلى أكثر من دولة عربية أكدت أن واشنطن ودول حلف الناتو اتفقت على تفاصيل خطة جديدة أطلقت عليها «مهمة القرن» هدفها شن عدد من العمليات العسكرية ضد كل الدول الإسلامية الحائزة على أى من أسلحة الدمار الشامل.

وهذه الخطة - التى بدأت بوادرها تلوح فى الأفق - لن تستثنى أحداً، فكلنا فى نظر أمريكا حائزون على أسلحة الدمار الشامل حتى وإن كنا لا نمتلكها، وجميعنا يستحق العقاب حتى وإن أبدينا الولاء وزحفنا إلى أعتابهم.

إنها حرب عقدية بالأساس.. إنه صراع الحضارات الذى بشرنا به صمويل هينتنجتون، صراع لا يأخذ طابع الحوار بل الآلة العسكرية التى تفرض أمراً واقعاً على شعوبنا وحضارتنا.

والغرب يبـرر فعلته، بأنه لا يريد أن يكرر خطأ تعامله مع الحركة الشيـوعية عندما تركـها تنمو وتتملك الأسلحـة النووية، ثم عـجز عن مواجهـتها فى بداية الأمر، ولذلك هم يرون الآن أن اللحظة قد حـانت لضرب الجميع وتركيع الكافة دون استثناء.

تأملوا ما يجرى فى العراق، حرب الاستنزاف الأمريكية ـ البريطانية لا تريد أن تتوقف، الضربات تكاد تكون يومية وهى ضربات أصبحت روتينية، كما وصفها د. أسامة الباز.

تأملوا مـخطط أمـريكا المعلن لإسـقـاط نظام الحكم فى بغـداد وتخصيص عشرات الملايين من الدولارات لبعض العملاء كى ينفذوا المهمة تحت إشراف البنتاجون والمخابرات الأمريكية.

تأملوا المؤامـرة التى تجـرى حـاليـا فى جنوب السـودان، إن هناك معلومات تقول إن حركة جون جارانج العميلة، ربما تسعى خلال الأيام المقبلة إلى ضرب خطوط أنابيب البترول الذى يفترض أن يبدأ السودان فى تصديره مع بدايات شهر يونيو المقبل.

وهذا المخطط هو صنيعة غربية ـ صهيونيـة، لأنه يسعى إلى تمزيق وحـدة الوطن السـوداني، وتهـديد الأمن الاسـتـراتيـجى المصـرى من الجنوب، والتحكم فى منابع نهر النيل.

إننـى لا أريد أن أعـدد بقع التـآمـر المتـفـجـرة فى عـالمنا العـربى والإسـلامـى، لكننى أظن أن أحـداً لا يـستطيع أن ينكر وجـود مـؤامـرة منظمة هدفها إنهاء كل بؤر المقاومة العربية والإسلامية، وتجريد العرب

والمسلمين من كافة أسلحتهم الفاعلة، وإجبارهم على التسليم والرضوخ لكافة المخططات الأمريكية والصهيونية.

بقي أن نقول : وما العمل؟ كيف يمكن أن نحمى ظهر العرب والمسلمين؟ وإلى متى سنقف هكذا متفرجين انتظاراً للدور الذى سيحل علينا بكل تأكيد؟!

والإجابة هنا لا تحمل سوى صيغة واحدة.. لابد من إنشاء جيش إسلامى ينبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، وتكون مهمته الدفاع عن الإسلام والمسلمين فى مواجهة الخطر الذى يحيق بنا جميعاً.

هناك قوة ردع إفريقية، وهناك حلف الناتو، وهناك أحلاف عسكرية عديدة، فلماذا لا تجتمع الدول الإسلامية وتكون قوة ردع إسلامية لن تعتدى على أحد، لكنها تحمي ظههورنا، وتحافظ على وجودنا الذى بات مهدداً فى الصميم؟

وقوة الردع هذه يجب أن تضم وحدات أولية من كل دولة إسلامية مشاركة، مجهزة بأسلحتها، وقادرة على خوض المهام الدفاعية عن المسلمين فى شتى أنحاء العالم. ويجب أن تكون لقوة الردع قيادة عسكرية من فريق متخصص من ذوى الخبرات والكفاءات العسكرية التى تزخر بها أمتنا العربية والإسلامية.

ويجب أن تفتح قوة الردع أبواب التطوع الاختيارى أمام كل مسلمى العالم، حتى نعلى من قيمة الجهاد، دفاعاً عن الإسلام والعقيدة، وأن نوجه بذلك طاقات الشباب المحبط، وأن نبعده عن التورط فى عمليات إرهابية تستهدف الأوطان والبشر.

وهذه القوة يجب أن تتطور فى المستقبل لتنافس قوة الأطلنطى فتحدث بذلك توازناً استراتيجياً مهماً، لا يمكن واشنطن من الانفراد وحدها بتقرير شئون الكون، أو يسمح لها بإذلال المسلمين وضرب إمكاناتهم العسكرية.

إن إمكانات المسلمين البشرية والعسكرية تستطيع دون موارية، إذا ما خلصت النيات، تحقيق هذا الهدف الدفاعى فى أسرع وقت ممكن، خاصة أن الكل الآن أصبح على يقين بأنه لا خيار أمام المسلمين سوى البحث عن آلية مشتركة تحمى أوطانهم وعقيدتهم من الاندحار.

إن إمكانات باكستان النووية ودول الاتحاد السوفيتى الإسلامية كفيلة وحدها - بأن تردع أى محاولة تستهدف أمن الأمة، وأمن المسلمين فى شتى أنحاء العالم.

صحيح أن هذا الاقتراح سوف يلقى مقاومة عنيفة من الولايات المتحدة ودول حلف الناتو، ولكن أمننا القومى والإسلامى يجب أن تكون له الأولوية على أى شيء آخر.

إن العالم الغربى لن يتركنا وشأننا، ولذلك علينا أن نتحرك وبأقصى سرعة قبل أن يجتاحنا الطوفان، وينهى على ما تبقى من أمتنا وشعبنا.

إن ما يجرى فى كوسوفا والعراق هو سيناريو سيجرى تعميمه على كافة البلدان العربية والإسلامية، التى لاتزال مصرة على أن تكون لها حريتها وقوتها، ولذلك أصبح الجميع فى مرمى الهدف ولم يعد أمامنا خيار.

بقى أن أقول إن منظمة المؤتمر الإسلامى مطالبة فوراً بالتحرك وعقد اجتماع عاجل لتدارس الصور، واتخاذ القرار المناسب فى هذا الصدد قبل فوات الأوان.

العدد رقم ١١٤

١٩/٤/١٩٩٩م

اكـــــتب يا تاريخ

محاصرون فى إفريقيا محاصرون، فى آسيا، محاصرون فى أوربا، محاصرون..

محاصرون فى كل مكان وكل زمان، هل ذنبنا أننا مسلمون؟!

اشهد يا تاريخ أن دماءنا أضحت مستباحة، وأننا مستهدفون فى ديننا وأوطاننا، وأن الكل يتكالب علينا..

اشهد يا تاريخ أن ما يجرى فى كوسوفا هو حرب مقيتة ضد الإسلام، وأن صواريخ أمريكا تساعد ميلوسيفيتش على تحقيق أهدافه.

اكتب يا تاريخ عن أطفالنا الذين دفنوا أحياء فى البوسنة والعراق وفلسطين وجنوب لبنان وكوسوفا.

جلل صفحاتك بالسواد، خط كلماتك بحبر الدم عن شعب يموت فى العراق، وعن عمليات تهجير وتطهير عرقى تجرى فى العلن وليس فى الخفاء.

اكتب يا تاريخ.. أننا ممنوعون من الجهاد، ممنوعون من الكلام، ممنوعون من الصراخ، فالجهاد إرهاب، والكلام تحريض، والصراخ رجس من عمل الإرهاب.

اكتب أن دماءنا تغلى، وأننا لم نتبلد، وأننا أمة حية لن تموت، لكننا ممنوعون من الفعل حتى إشعار آخر.

اكتب عن هؤلاء الذين يذبحون كالخراف، وتقطع أوصالهم.. اكتب عن هذا الشيخ الذى يذبح، وهو يردد الشهادة لتدوى فى عنان السماء.

اكتب أن هناك قراراً بالثأر من تاريخنا، ومحو العقيدة من ذاكرتنا، وأن الكل فى ذلك سواء بسواء الصرب والأمريكان، الغرب والصهاينة.

اكتب أن من تركوا مليونا ونصف مليون عراقى يموتون من الجوع، لن يتحركوا دفاعاً عن شعب مسلم يجرى تمزيقه وإبادته وإنهاؤه من خريطة الوجود.

اكتب أن أمريكا تخوض حرب البلقان لمصلحتها بالأساس ولمصلحة نظامها العالمى الجديد، وليس إنقاذاً لشعب مسلم غدر به الجميع بلا استثناء.

اكتب يا تاريخ أن أمتنا أضحت مستباحة وما عادت تخيف أحداً.

اكتب أن نموذج ما يجرى فى كوسوفا سينتقل إلى بلدان عربية وإسلامية أخرى مادمنا ارتضينا الخنوع وبقينا على هذا الحال .

اكتب أننا لم نسمع إدانة من أحد، وأن لغة الشجب شطبت من قاموسنا، وأن كلماتنا أصبحت باردة برود الثلج.

اكتب يا تاريخ أن الهزيمة دخلت إلى ديارنا، وأن فوهات المدافع موجهة إلى رؤسنا، لكننا لن نستسلم ولن نركع إلا للواحد القهار.

اكتب عن أمة كانت ملء السمع والبصر، حملت الراية لقرون، لكنها يوم أن تفرقت أصبحت لقمة سائغة لوحوش العالم الجديد.

اكتب أن الحررب المجرمة لن تزيدنا إلا قناعة، وأن المشانق التى تنصب لنا لن ترغمنا أبداً على الاستسلام.

اكتب أن عنواننا الوحيد من اليوم هو «الجهاد ضد الكفرة الظالمين»، وأن الفكرة الحية فى العقول سوف تجد غداً طريقها إلى الواقع.

اكتب وبحق كل شهيد سقط غدراً فى أرض العرب والإسلام أننا سنعيد لهذه الأمة مجدها، وأننا سنرسم ملامح الغد الآتى بدمائنا، وأننا لن نترك القتلة يهنئون.

اكتب أن السلام لن يتحقق إلا بامتلاكنا مقدرات القوة، وأننا لن نشعر بالأمان إلا إذا امتلكنا السلاح النووى، ودون ذلك سنصبح مطية للجميع.

اكتب وسجل أنه برغم الألم والانكسار فالغد الآتى أكثر إشراقاً، والزمن القادم هو زماننا نحن، ضعفنا سينقلب إلى قوة، وهزيمتنا ستتحول إلى نصر ساحق، فالإيمان قادر على صنع المستحيل «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين».

صدق الله العظيم

العدد رقم ١٢٣

١٢/٤/١٩٩٩م

بين كوسوفا وإسرائيل !!

ما رأى السيد كلينتون فى «إسرائيل»؟!

يقال - والله أعلم - إنها احتلت دولة اسمها فلسطين، وإنها قامت بعمليات تطهير عرقى ضد سكانها الآمنين، وإنها ظلت فى حروبها ضدهم أكثر من خمسين عاماً ولاتزال، وإنها زادت على ذلك باحتلال أراض عربية أخرى!

وقد علمت أنها تستهين بكل الاتفاقات، وتدوس على كل التعهدات، ولا تعطى اهتماماً لقرارات مجلس الأمن، ولا تعبأ بأحد من أطرافه الرئيسيين، ومع ذلك تبقى هى الدلوعة، الأمورة، التى لا يستطيع أحد أن يرفض لها طلباً!!

هل هذا صحيح يا سيد كلينتون؟!

أنا لا أريد إجابة منك، لأنى أخاف أن تكذب، وأن تحنث باليمين كما فعلت مع ربيبة العفاف والفضيلة مونيكا ابنة لوينسكى، ولكن اسمح لى أن أطرح بعض علامات الاستفهام أمام فخامتكم..

لقد قيل - والله أعلم - إن هناك تشابهاً بيناً بين ما يقوم به النازيون الصرب ضد مسلمى كوسوفا من عمليات طرد وتهجير جماعى، وما قام به النازيون الصهاينة فى عام ١٩٤٨، ومع ذلك تحركتم هنا، ولم تتحركوا هناك.

ويقال أيضاً إن فلسطين شهدت ولاتزال تشهد مذابح بشعة بدءاً من كفر قاسم ودير ياسين، وليس إنتهاءً بمذبحة الحرم الإبراهيمى، وهى مذابح تشبه بالضبط ما يجرى فى بريشتينا، وغيرها من مدن كوسوفا، فلماذا تحركتم هنا، وترفضون التحرك هناك؟.

ويقال - والله أعلم - إن الصرب أفشلوا اتفاق رامبوييه، وإختلفوا حول بعض تفاصيله. أما إسرائيل فهى مزقت اتفاقات كانت أمريكا طرفاً فيها، وإنها تركب دماغها منذ عام ١٩٤٨، وترفض تنفيذ ولو قرار واحد من عشرات القرارات التى أصدرها مجلس الأمن دفاعاً عن حقوق الشعب الفلسطينى، والشعوب العربية الأخرى، ووجهت لعناتها للمجلس ولقراراته، ولم يجرؤ أحد على معارضتها.

وإذا كنتم تقولون يا سيد كلينتون إن حرصكم على الأمن والاستقرار فى أوربا هو الذى دفعكم إلى شن الغارات وإطلاق الصواريخ على يوغوسلافيا، إذن فكيف تفرطون فى أمن واستقرار منطقة حيوية كالشرق الأوسط تعرفون أن بها بترولاً، وأن إسرائيل تهدد هذا الأمن وذاك الاستقرار؟.

إننى أدرك يا مستر كلينتون حرصكم على الشرعية الدولية، ولكن ألست معى فى أن هذه الشرعية الدولية يجرى تفصيلها حسب المزاج

والأهداف الأمريكية، وأنها تغض البصر فى حالات، وتفتح عيونها على حالات أخرى؟

لقد طالبنا سلفك مستر جورج بوش، الذى شن حرب الخليج دفاعاً عن الشرعية، بأن ينظر خلفه ناحية البحر المتوسط ليرى كيف تهدر الشرعية، ساعتها قالوا لنا هذه نقرة وتلك نقرة أخرى، صمتنا وعلى مدى أكثر من ثماني سنوات فإن الشرعية لم تعرف طريقها إلا نحو العراق فقط.

يا سيد كلينتون.. إذا أردت أن تقنعنى بأنك صادق فى دفاعك عن مسلمى كوسوفا، وأن حربك ضد الصرب هدفها الانتقام من جرائمهم ضدنا، فأعلن من الآن أن حلفك الأطلسى لن يستثنى أحداً ممن يعبثون بالشرعية، ويمارسون القهر واحتلال الأراضى وتشريد الآمنين.

قل لنا بصراحة رأيك فيما تقوم به إسرائيل، وعما إذا كان فى نيتك أن تتحرك أنت وحلفاؤك؟!

أعرف أنك لن ترد علىّ بكلمة واحدة، فدعنى أقل لك الحقيقة التى تعرفها جيداً..

هذه الحرب يا مستر كلينتون هى حرب لمصلحة قيادة أمريكا للعالم الجديد، وترسيخ قيادتها للحلف الأطلسى والخروج به عن أهدافه الدفاعية ليصبح أداة لتأديب المارقين خاصة من العرب والمسلمين.

وهذه الحرب هدفها عزل مجلس الأمن وحصاره وغل يديه عن أداء دوره وإسقاط مفهوم الفيتو بداخله.

وهذه الحرب تهدف إلى تحطيم جيش يوغوسلافيا باعتباره أقوى سادس جيش فى العالم، ليس لمصلحة المسلمين، وإنما لمصلحة حلف الأطلسى والنظام العالمى الجديد، خاصة أن هذا البلد لايزال يرفض القبول بمبدأ الهيمنة الأمريكية.

وهذه الحرب هى رسالة للجميع بأن مفهوم سيادة الدولة والأمة قد إنتهى، وأن قوات الأطلسى مستعدة للتحرك ضد أى دولة تنتهك ـ كما قالت أولبرايت مؤخراً ـ القيم التى تؤمن بها دول الحلف.

وهذه الحرب هى تحد صريح لروسيا واختبار لقوة الصين عملاق القرن القادم، وحتى الآن فإن أداء الطرفين يبدو عاجزاً عن الفعل الحقيقى.

لقد كان من نتيجة هذه الحرب تشريد ٣٢٠ ألف مسلم من كوسوفا، هربوا من الجحيم لينضموا إلى نصف مليون طردوا أو أجبروا على الرحيل فى وقت سابق.

وهكذا حققت الحملة أهدافها.

أفرغت كوسوفا من ثلث شعبها والبقية تأتى.

أطلقت يد الصرب لارتكاب مجازر بشعة ضد السكان العزل، بينما إنهمك الأطلسى فى توجيه ضرباته إلى مواقع الدفاع الجوى بعيداً عن كوسوفا.

ماذا استفاد أهل كوسوفا من هذه الحرب؟ الإجابة: لقد خسروا كل شىء، حتى أصبح الناس يقولون: يبدو أن هناك تحالفاً غير معلن بين

الأطلسى وميلوسيفيتش لإفراغ كوسوفا من سكانها ليحل الصرب محلهم على الأرض.

لو كانت هناك نية حقيقية للدفاع عن سكان كوسوفا لاتخذت الحرب مساراً مختلفاً وتوازى انطلاق الحرب البرية مع تدمير الدفاعات الجوية.. ولكن أمريكا تهتم بتحطيم دفاعات الجيش اليوغوسلافى أكثر من اهتمامها بحماية المسلمين وأمنهم.

إن هدف الحرب المعلن هو إجبار الرئيس ميلوسيفيتش على العودة إلى مائدة المفاوضات فقط، ولكن أحداً لا يتحدث عن حق كوسوفا فى دولة مستقلة، وهكذا بمجرد أن يعلن جزار الصرب موافقته فسوف تتوقف الحرب بلا رجعة، وسوف تبقى هيمنة الصرب على كوسوفا باقية كما هى.

إذن الهدف واضح، والأزمة تحولت إلى كارثة حقيقية على الأرض، والمسلمون يموتون فى العراء، الحدود أغلقت فى وجوههم، والصقيع يقتل أطفالهم، والمجاعة تنتشر فى صفوفهم.

قولوا لى بالله عليكم ماذا نفعل؟!

المؤامرة كبيرة، والهدف المشترك للجميع منع إقامة دولة مسلمة فى أوربا.. الهدف هو إذلال المسلمين فى شتى بقاع الأرض، عرباً كانوا أم ينتمون إلى أى قوميات أخرى.

تأملوا مواقفهم وأنتم تدركون الحقيقة، حتى تركيا التى ركعت وأعلنت عداءها لكل ما هو إسلامى، حتى هذه مرفوض دخولها فى الاتحاد الأوربى.

إذن ما هو الحل؟

الحل هو فينا نحن، علينا أن نتحرك لمواجهة الذئاب التى تزحف على الأرض، علينا بإمتلاك كل عناصر القوة، وفى مقدمتها السلاح النووى..

دون السلاح النووى ستأكلنا الذئاب الجائعة، وإذا ما قارنا بين أمتنا وشرعيتهم الدولية فلتذهب هذه الشرعية إلى الجحيم، فأمتنا هو الأهم.

اصنعوا القنبلة النووية ولو على حساب كل شىء وأى شىء.. مستعدون أن نموت جوعاً، لكننا لسنا مستعدين لأن نتحول إلى كوسوفا جديدة فى يوم ما..

من يمتلك السلاح النووى هو القادر على فرض إرادته، أما السلام واتفاقاته فهذا مجرد هراء فى ظل نظام عالمى لا يعرف سوى لغة المصالح.. ومن المؤكد أن مصالح الغرب وإسرائيل لن تلتقى أبداً مع مصالحنا.

العدد ١١٢

٥/٤/١٩٩٩م

تذكـــــــــروا

لا تنسوا أن لكم أشقاء يتضررون جوعا، ويذبحون بيد أعداء الأمة وأعداء الدين فى العراق وفلسطين وكوسوفا..

تذكروا أن هناك مليونا ونصف مليون عراقى ماتوا من الجوع، منهم أطفال صغار لم يرتكبوا جرما فى حق أحد، ومنهم مواطنون أبرياء كل جريمتهم أنهم يعيشون فى هذه البقعة من الأرض العربية.

لا تنسوا ما يجرى فى فلسطين، حيث الإذلال والهيمنة، حيث فرض الأمر الواقع وقتل الشباب الفلسطينى، حيث المستوطنات وتهويد الأراضى حيث قمعوا بالتهديد حلم الدولة الفلسطينية المستقلة رغم أنها دولة بلا جيش وبلا سيادة.

تذكروا القدس وما يجرى فيها من تأميم للأرض والمقدسات.. هذه القدس أصبحت بفرمان صهيونى العاصمة الموحدة «لدولة إسرائيل».

لا تنسوا المؤامرة على السودان ومخاطر التقسيم، فهذه لعبة كبرى ضد بلد عربى شقيق هدفها حصار مصر من الجنوب وإنهاء دولة السودان وتفتيتها إلى كيانات ضعيفة..

تذكروا ليبيا الشقيقة التى فرض عليها الحصار ظلماً وعدواناً، وعليكم أن تتأملوا فى بقية السيناريو الذى سوف يبدأ بمجرد تسليم المواطنين الليبيين لمحاكمتهما أمام محكمة اسكتلندية في هولندا.

لا تنسوا كوسوفا وما يجرى على أرضها من مذابح وتشريد للآمنين تعيد إلى الأذهان مذابح البوسنة والشيشان.

تذكروا فقراء الأمة الذين يعانون الحرمان والقهر الاجتماعى ويعجزون حتى عن توفير لقمة العيش لهم ولأبنائهم.

لا تنسوا أن أمتنا تعيش حالة من التردى والتخلف وأنه لا خيار أمامنا سوى التعاون المشترك على طريق الوحدة للقضاء على كل مشاكلنا المزمنة.

تذكروا أننا عاجزون عن عقد قمة عربية وأن بداية الخروج من الأزمة تبدأ بعقد القمة وارتفاع الجميع فوق مستوى الخلافات.

لا تنسوا أن الغرب يسعى لتشويه إسلامنا الحنيف وأن المؤامرة التترية تستهدف الدين والوطن.

تذكروا أن العولمة خطر موجه ضد أمتنا وأنه لا طريق للمواجهة سوى بامتلاك كل أدوات العلم والتكنولوجيا.

لا تنسوا أن هناك عشرات الآلاف من المعتقلين فى سجون الأمة بلا ذنب وبلا جريمة وأن سجنهم عار على جبين كل فرد يعيش على هذه الأرض.

تذكروا أن الطريق إلى الحرية لن يتحقق بالكلمات والشعارات، وأن تحقيق حلمنا العربى لن يتم إلا بالجهاد والكفاح والنضال، وأن تحرير

أرضنا السليبة لن يتم إلا عن طريق القوة بعد أن أثبتت «إسرائيل» أنها والسلام نقيضان...

لا تنسوا شهداءنا الأبرار، وتذكروا شرفاء الأمة الذين رفضوا السقوط وظلوا صامدين كالجبال الشاهقة.

وجهوا لعناتكم إلى الخونة والمارقين، ادعوا بأن ينتقم الله من رموز الفساد والفاسدين، وأن يثأر لنا من الظالمين الذين استباحوا المحرمات واعتدوا على المقدسات.

وأخيرا كونوا على يقين من أن النصر حليفنا، وأن الله سوف يستجيب لدعائنا، وأن الأمة ستعود لتتبوأ موقعها بين الأمم، وأن الله لن يمكن الصهاينة وسادتهم وعملاءهم من هدم مسجدنا الأقصى وتشريد ما تبقى من شعبنا.

ادعوا بعلو الصوت أن يرفع الله الكرب عن أشقائنا فى العراق وفلسطين ولبنان والسودان وكوسوفا.

ادعوا بعلو الصوت أن ينقذ الله أجيالنا من خطر الغزو الثقافى وأن يكشف العملاء والمرتزقة الذين يخربون الوطن لمصلحة الأعداء.

وكل عام وأنتم بخير.

العدد ١١١

٢٩/٣/١٩٩٩م

لحظة تأمل

كانت الساعة قد جاوزت الخامسة بقليل، أقتنص بعض الوقت، أجلس على شاطئ النيل، أتأمل هذا القادم من الجنوب، السطح ساكن، صامت كصمت المصريين على الظلم، المياه تمضى ببطء إلى الشمال، لكنها تمضى ولا تتوقف، تتقدم ولا تتراجع.

أغوص بعينى، وكأنى أحاول استكشاف عمق النيل، تبدو صورة أهل الفقراء فى صعيد مصر قادمة مع الأشعة الذهبية للشمس فى لحظات الغروب، هذا أبى لايزال يعلمنا معنى العيب، وتلك أمى امرأة صعيدية لاتزال ترتدى جلبابها الأسود الأبدى، لم تنجح العولمة فى تغيير معالمها، لم يخترق مسلسل «الجرىء والجميلات» عقلها، أراها تغلق التليفزيون فى وجوهنا رافضة الخلاعة بكل أنواعها.

من هنا أسمع صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمت يرتل آيات الذكر الحكيم، يطلب أبى منا الصمت جميعاً، نصطف كتلاميذ صغار، تنشرح قلوبنا، وعندما نسمع الأذان نزحف معاً إلى جامع كبير يسكن أطراف قريتى.

كنا صغاراً، لكننا كبار فى سلوكنا، نقطع أيدينا لو امتدت إلى الحرام، نخاف الكذب، ولا نعرف إلا طريق الصدق، نكره الرياء، نشتاق إلى الأحبة والأصدقاء، نبنى بيوتاً صغيرة من الحب والكبرياء.

يوم أن يفارقنا أحد نرتدى الحزن أربعين يوماً، نغلق فيها المذياع والتلفاز، نعيش الهم معاً، نقف جميعاً نتلقى العزاء، تتحول قريتى إلى سرداق كبير، نذرف دموعاً حقيقية على الفراق، نكتب اسم الراحل فى قلوبنا، نخلده فى ذاكرتنا.

كانت طموحاتنا أن نعيش مستورين، نشعر بالعزة والكرامة، لا يدوس لنا أحد على طرف، لا نتنازل عن قيمة، ولا نبيع شرفنا فى سوق النخاسة، ليس مهماً أن نأكل طعاماً متميزاً، المهم أن يكون الطعام حلالاً، ليس مهماً أن نعيش فى بيوت مترفة، المهم أن نعيش متحابين تحت سقف واحد، ولو كان من الطوب اللبن.

يأ يها النيل الجنوبى، ذكرنى، احك لى قصة أهلى معك، خبرنى ماذا جرى؟ ولماذا يتحول الناس؟ لماذا يتخلون عن كل شىء جميل؟ لماذا نرضخ لشهواتنا ونزواتنا؟ لماذا نبيع كل شىء من أجل المال واللذة، من أجل عالم بلا قلب، وزمن بلا تاريخ؟.. لماذا تتغير صورة الناس والوطن؟ لماذا تسقط الحصون، وتنهار البيوت الأسمنتية؟!

في لحظة الصمت الأبدى، يبدو شعاع الشمس الذهبية، وكأنه ينقل لى أخبار العالم الآخر، يحدثنى عن الزمن الجميل، عن نسمات الهواء النقى والقلوب الصافية، عن حب مفقود فى زمن المادة ولغة الملايين، عن ضوء القمر الغائب، عن ليال رائعة حكينا فيها قصة الوطن على مصطبة فقيرة فى النجوع والكفور.

تؤلمنى أخبار الجريمة كل صباح، قتل وسرقة، حرق واغتصاب، الابن يقتل أباه، الزوجة تتآمر مع العشيق، تزحف إلى البيوت لغة البلطجة، تتزين شوارعنا بلغة الدم.. وتدريجياً عودنا أنفسنا بعد أن نسينا لغة التقزز والاشمئزاز!!

عصابة تذبح وتخنق أسرة فى زفتى.. قتلوا أيضاً أطفالاً فى عمر الزهور، وهذا الوحش «المعلم الفاضل» ينتهك عرض طفلة صغيرة لعدة أشهر، مافيا تخترق المجتمع تتاجر بأطفال صغار، فى أشهر قليلة يختفى ٢٥ طفلاً لقيطاً من إحدى الجمعيات، يخرج المحافظ ليبرر بدلاً من أن يقدم استقالته.. ستة تلاميذ يتحرشون جنسياً بأستاذة الفصل!!

أسأل نفسى وأنا غارق فى مثاليات الأيام الجميلة ماذا جرى لنا؟ ماذا حدث بالضبط؟.. من المسئول؟ لماذا أصبحت قلوبنا قاسية؟ لماذا لم تعد ترتجف؟ لماذا أصبحنا نتحلى بلغة الصمت القاتل؟ لماذا لا نغضب؟ لماذا لا نثور؟!

أراك أيها النيل مثلنا، هل أصبحت أنت أيضاً ترضى بالأمر الواقع؟ لا وحياة أبيك، مازلنا نأمل فيك خيراً، لا تلتزم الصمت طويلاً، اخلق لنفسك أمواجاً، امخر فى الصخور وأراضى طرح النهر، دع المساحة تتسع، وهامش حريتك يكبر، لا تترك المجرى على حاله، فهذا زمن المحيطات الكبيرة والبحار الثائرة، أخاف عليك من الضياع والجفاف!!

لا تكن مثلنا، نقدم رؤسنا صاغرين على أعتاب البيت الأسود، نتطوع بالتحريض على أشقائنا، يا نيل، يا مجرى محفور فى جسد

الوطن وتاريخه، أشعر بمرارة العلقم، كأننى مجرد من الرجولة، أطفالى يموتون جوعاً فى العراق، سمائى مفتوحة للقاذفات وطائرات الشبح.

يا نيل أريد أن أكتب على وجهك قصيدة وما أنا بشاعر، أريدها صرخة تمضى مع مياهك المتدفقة .. أريدها سؤالاً يحتاج إلى إجابة، علامة استفهام فى زمن القرية الصغيرة. لماذا تصمتون على ما يجرى للمسلمين فى كوسوفا؟.. ولماذا شرعيتكم لا تعرف الطريق إلى «إسرائيل»؟ لماذا تذبحنا كل يوم عشرات المرات؟!

الظلام بدأ يحل تدريجياً، أشعر بوحشة أليمة، بوحدة قاتلة، بعزلة فى زمن الضوضاء والضجيج، بضيق فى التنفس، بانفجار قادم فى الرأس، بسكتة قلبية قد تحل فى أى لحظة. هذا الجو خانق، أريد أن استأنس بآخرين، أريد أن أهرب من هنا، لكننى لا أستطيع!!

أصبح الوطن كخرم إبرة، أراه يضيق على أبنائه الشرفاء، أسمع صرخات المظلومين، رموز الفساد تكتم على أنفاس الموظفين، حرامية البنوك يمرحون، صنعوا من أنفسهم سادة للزمن الجديد، زمن اللصوص المحتمين بالملايين، هنا تتحدث لغة المال، ابنى لم يعد يحلم بأن يكون طبيباً أو مهندساً، إنه يحلم بأن يكون صاحب ثروة تهبط من السماء، يركب الشبح، ويأكل من مكسيم، ويتزوج نجمة إغراء، ويداعب مونيكا لوينسكى، وهذا يشدو لإسرائيل يحدثنا عن سلام لا نراه ويطالبنا بالتطبيع، يبيع شرفنا لحسابه، ويتاجر فى أمننا القومى لحساب آخرين، وإذا مات تنكس لأجله الرايات وتكتب فيه أجمل الكلمات، هو الصح ونحن الخطأ، هو الوطنى ونحن التجار فى موكب رسمى يتصدره

الوزراء، وكبار المسئولين، تنشر عنه حكايات وحكايات وتعد عنه البرامج واللقاءات، فطوبى لك يا محمود نور الدين ويا كل الشهداء!!

فى وسط الظلام الذى أرخى سدوله على جانبى النيل، تنطلق مصابيح الخمسة نجوم، مصابيح صناعية، لا تنير القلوب، ولا تفتح الطريق أمام الضمائر الميتة، تواق إلى مصابيح الصحوة والإيمان، إلى شموع تضىء ظلام الوطن، تمنحنا الأمل والقدرة على الحياة.

معذرة لهذه اللغة المتشائمة فى الكتابة، اسمحوا لى أن أفضفض، واعذرونى فأنا أشعرر بأن ضمير كثير من الأصدقاء والأعداء يموت، أشعر بحصون كنت أظنها شاهقة تتحطم، بخيانات للنفس والوطن والضمير، برجالات ضحوا كثيراً لكنهم يئسوا، وبدلاً من الصمت للحفاظ على التاريخ، راحوا يزايدون فى البيع والسقوط على الآخرين.

أشعر بكيانات وهمية تطفو على السطح، تدوس على أنف البشر، تعتلى المواقع وتتشبث، أشعر بحبل محكوم عليه أن يبقى مكانه، لا يتزحزح قيد أنملة، بنماذج شريفة تضيع وسط الزحام، بآلام الفقراء تستصرخ من ويلات الخصخصة، بصناعة وطنية تحذر من خطر «الجات»، بأشخاص يملأون جيوبهم بالمال الحرام، ببقايا يسار مضى يتاجر بعرض الوطن لدى خصوم الأمس. يا سادة أنا لا أستطيع أن أكون جزءاً منكم، لا أستطيع أن أخون أهلى الفقراء، وقريتى الصغيرة، ووطنى الكبير، لا أستطيع أن أخرس لسانى وأقصف قلمى وأشقائى يموتون جوعاً، لا أستطيع أن أكون رقماً بلا فاعلية، والفساد يزحف إلى كل رقعة فى بلدى.. لا أستطيع ولا أستطيع ولا أستطيع.. ما أسهل

السقوط، وما أصعب الصمود.. نحن نحب مصر يا سادة، نعشق كل ذرة تراب على أرضها، لو مزقونا إرباً فلا نستطيع أن نكره، نحن نحب هذا البلد، مهما تكن مساحة الظلم، ومهما تبدلت منظومة القيم.

نعم ستأتى لحظة نفتح فيها الأبواب، نربى فيها أطفالنا على الأمل، نشطب فيها من خريطتنا جيش الأفاقين والسماسرة، نعيد تنظيم الصفوف، نواجه بقوة كل الأعداء، ونطرد الخونة والجواسيس من بين الصفوف. المؤامرة على الوطن كبيرة، خيوطها متشابكة، خطة من الداخل وأخرى من الخارج، تمزيق الداخل يفتح الطريق أمام ما يحاك لنا فى الخارج، ولذلك نحن فى حاجة إلى العودة إلى الأصول، فى حاجة إلى تنشيط الذاكرة الوطنية، إلى الالتفاف حول مشروع قومى يعيد لملمة الصفوف.

هذا السقوط المدوى يجب أن يتوقف، هؤلاء المنافقون يجب أن يغربوا بعيداً عنا، مراكز القوى الجديدة فى المجتمع خطر شديد على الكيان وعلى النظام، منظومة القيم الأصيلة يجب أن تعود ويجب أن تبقى، مؤسسة الأسرة يجب الحفاظ عليها قوية فاعلة.

نحن نريد مشاركة حقيقية للناس فى صنع القرار، لا تغيبوا الشارع عن الفعل، أعيدوا للنقابات المهنية فاعليتها، أسقطوا قرارات التجميد العقيمة، دعوا الزهور تتفتح، نحن لسنا أقل من نيجيريا أو غيرها من البلدان التى تهب عليها رياح الحرية، نحن بلد يضرب بجذوره فى حضارة سبعة آلاف عام مضت، أليس من حقنا أن نحلم، وأن نطلب من الرئيس الذى أحببناه مزيداً من المشاركة فى عهده ومزيداً من الحريات فى فترة حكمه الرابعة؟

الحرية هنا ليست مزيداً من الأحزاب الفارغة، ودكاكين أصحاب المصالح التى تسىء إلى الوطن، لكنها إحياء للوطنية المصرية، وتعضيد لفكرة الانتماء القومى، وتوفير لقمة العيش للجائع، وإطلاق لحرية المعتقلين والمعذبين، وإعادة النظر فى حياتنا السياسية ليكون الشعب وبحق هو مصدر صناعة القرار، وإلغاء لحالة الطوارئ التى تسىء إلى التجربة، وردع حاسم للفساد الذى استشرى، وفتح الطريق أمام الأجيال الجديدة، وتنحية من عفا عليهم الزمن.. أنا لا أضع النظام هنا فى مقارنة مع آخرين، فما يجرى داخل خنادق أخرى لا يسر عدواً ولا حبيباً، ومن هنا أجدنى متعاطفاً مع الرئيس فى ظل الظروف الصعبة التى يحكم فيها، متعاطفاً معه لأننى أعرف جوهره عن يقين، لكن من حقنا أن نرفع الصوت عالياً لنطالب بالمزيد، لأن فى المزيد إنقاذا للوطن وحفاظاً على النظام.

ما أسهل الكلمات الجميلة والعبارات الفضفاضة، ولكننى أعتقد أن الوطن والنظام فى حاجة إلى أصوات صريحة. تقول الحق والحقيقة، الشعب مل النفاق والمنافقين، الناس تريد أن تتنفس هواء نقياً، تريد إصلاحاً حقيقياً، تريد الحفاظ على هويتها وثقافتها ومصالحها الوطنية والقومية..

اترانى حلمت بعيداً عن الواقع، أم أن هذا الحلم حتماً سيجد طريقه لأنه يسكن الذاكرة، ويعبر عن أمانى الملايين؟!

يمضى نهر النيل ساكناً، يتراجع وجها أمى وأبى إلى الخلف قليلاً تبدو صورة مصر بأهلها كلوحة إبداع لم أر لها مثيلاً.. تخطف قلبى

وبصرى على السواء، تبث بداخلى معانى نبيلة، أرى وسط الزحام شعاعاً من الأمل، يكبر، ثم يكبر، يضىء اللوحة الجميلة، تبتسم مصر فى رزانة تحسد عليها، تعود إلى القلوب ضحكات صافية اختفت منذ حين، يعود إلىّ فؤادى المخطوف، أشعر الآن بالأمان المفقود ومنذ حين، أهتف من أعماقى: تحيا مصر، تشرق وجوه الغلابة، يتراجع اللصوص والخونة مذعورين، يعود الشرفاء إلى مواقع عملهم، تفتح السجون أبوابها، نجلس جماعات جماعات نعلم أبناءنا معنى الانتماء وحب الوطن.

العدد ١١٠

١٩٩٩/٣/٢٢م

نحن والعولمة

الأسبوع الماضى دعانى طلاب الجامعة الأمريكية إلى الحديث أمام الجلسة الافتتاحية لمؤتمر التوعية والتدريب، الذى ينظمه منتدى الشباب العربى، بالجامعة تحت عنوان «الهوية العربية فى ظل صراع الثقافات».

وأشهد أن العنوان مغرٍ، وأن طلاب الجامعة الأمريكية الذين خرجوا إلى الشارع يعلنون رفضهم للعدوان الأمريكى ـ البريطانى على العراق يستحقون كل التقدير، وكل الاحترام.

وكان من دواعى السرور أننى شاركت بالحديث فى الجلسة إلى جانب الصديق المبدع أسامة أنور عكاشة ود. إبراهيم عبد العزيز حجازى الأستاذ بالجامعة الأمريكية، وعدد من طلاب الجامعة.

والحقيقة أن موضوع العولمة خصوصاً فى جانبها الثقافى، هو موضوع يستحق النقاش والاهتمام، لأن هذا الجانب تحديداً يستهدف تطويع العقل ومحو الذاكرة.

ربما يقول البعض: كفاكم تخلفاً، دعونا نلحق بركب الحضارة العالمية، ونحن لسنا ضد ذلك، لكن ما يجرى الآن ليس انتقالاً طبيعياً من الثقافات الوطنية والقومية إلى العالمية أو الكونية، بل هو للأسف فعل اغتصاب واختراق ثقافى، واعتداء صريح على سائر الثقافات الأخرى.

إننا لا نقول إن الغرب «شر» كله ولكن المخطط الراهن يريد تعميم نماذج الثقافة الأمريكية، وفرض هيمنتها علينا جميعاً، يريدون ألا تكون للإنسان قيمة ولا ذاكرة ولا منظومة للقيم، بل يسعون من خلال هذا النموذج إلى خلق عالم فى حالة سيولة كاملة، تختفى فيه الحدود والهوية والمسئولية أيضاً.

وهذه العولمة مثار الحديث هى نظام يتجاوز دائرة الاقتصاد والمال والتسويق إلى مجال السياسة والفكر والأيديولوجيا.

لقد كانت الأيديولوجيا فى زمن الصراع الأيديولوجى هى وسيلة تشكيل الوعى، أما الآن فى زمن العولمة فوسيلة السيطرة على الإدراك، هى الصورة السمعية البصرية الموجهة، والتى تسعى إلى تسطيح الوعى وحجب العقل.

وبالسيطرة على الإدراك يتم التشويش على منظومة القيم، وتكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع، تشكل فى مجموعها ما يمكن أن نسميه ثقافة الاختراق.

وهذه الثقافة لا تستند إلى هوية واضحة، وهى لا تستطيع أن تبنى كياناً، أو تعمق فكراً، بل تهدف إلى تسطيح الوعى ومحو هوية الآخرين، ودفعهم إلى فقدان الشعور بالانتماء للوطن والحضارة.

وإذا كنا نؤمن بأن للفرد خصوصية داخل الجماعة الواحدة، وبأن للجماعة هويتها المتميزة فى إطار الهوية الثقافية المشتركة للأمة، فمن باب أجدى القول إن لكل أمة تميزها عن الأمم الأخرى، وإن ثقافة الأمم تغتنى بتجارب أهلها ومعاناتهم وتطلعاتهم وباحتكاكهم بالثقافات الأخرى وليست معطىً جاهزاً يمكن تقبله بسهولة.

وهذا الاختراق الثقافى هو أسلوب استعمارى جديد، يلجأ إلى الإغراء بديلاً عن القمع، وإلى تفكيك المجتمعات من الداخل بديلاً عن عمليات المواجهة والتدمير العسكرى المباشر، فالهدف واحد حتى وإن تعددت الأساليب.

من هنا لجأت أمريكا والغرب إلى عمليات إفساد ورشوة واسعة لبعض المثقفين، خاصة اليساريين منهم فى منطقتنا العربية ودول العالم الثالث، فتحوا أمامهم الخزائن تحت زعم دعم منظمات المجتمع المدنى وحقوق الإنسان، أسبغوا عليهم الحماية، ومارسوا الضغوط على الأنظمة حتى تبقيهم أحراراً يعيثون فى الأرض فساداً.

ومن عجب أن بعضاً من هؤلاء اليساريين الذين كانوا ضحايا السجون والمعتقلات، والذين رفعوا شعارات متشددة، وناضلوا من أجل مصالح الطبقة العاملة، أو قوى الشعب العامل، كلٌّ حسب توجهه، لم يترددوا فى الزحف على بطونهم إلى خزائن الدولار، ولأنهم مازالوا يحتفظون فى الذاكرة ببعض مفردات اليسار، فقد راحوا يبحثون عن مبررات يظنون أنها مقنعة للرد على من يسمونهم أصحاب الشعارات البالية، الذين يتحدثون عن أوهام الكرامة والعزة والاستقلالية، فى ظل النظام العالمى الجديد.

وليت هؤلاء توقفوا عند هذا الحد، بل راحوا يعبثون بالأمن القومى للوطن، يقبضون الشيكات من السفارات المعادية، ويقدمون المعلومات إلى الكونجرس الأمريكى، والجهات المرتبطة بأجهزة المخابرات الغربية، وإذا ما ألقى القبض على أحدهم، فهى مؤامرة أمنية مدبرة لاغتيال نشطاء حقوق الإنسان!!

وهكذا أضحت هذه النخبة الفاسدة بمثابة رأس رمح فى مخطط تفكيك الدولة الوطنية، وضرب مؤسساتها للإحلال محلها بمنظمات وهمية تضم مجموعة من التجار العاطلين، الذين باعوا أنفسهم للغرب وراحوا يروجون لمؤامراتهم على الوطن والأمة.

وإذا كان العمل المدنى التطوعى هو لازما ومهما للمجتمع بسبب الانتهاكات التى تجرى على أراضيه، ولكن ذلك العمل يجب أن يمارس بعيداً عن الغرب، وأجندته وأمواله.

بقى أخيراً أن نتساءل: ما العمل؟ هل نستسلم، أم ننكفئ على أنفسنا، أم أن هناك طريقاً ثالثاً؟!

إذا كنا نتفق منذ البداية على أن الأمة مستهدفة، فعلينا أن ندرك أن مقاومة الهيمنة والاختراق، يجب أن تنطلق أولاً من الثقافة العربية نفسها، لأن فلولا الضعف الداخلى لما استطاع الآخرون أن يمارسوا تأثيرهم بالصورة التى تجعل من هذا التأثير خطراً على الكيان والهوية.

إن العولمة ليست قضاءً وقدراً، ولكن من المهم علينا الاستفادة من كل الإمكانات التى توفرها العولمة، خاصة فى مجالات العلم

والتكنولوجيا، لأن أى شكل من أشكال المقاومة الثقافية سيفقد فاعليته ما لم يتسلح بالأدوات التى تساعده على المواجهة العلمية والفكرية.

إن الدفاع عن الهوية ليس نوعاً من الهوس والتجارة بالشعارات كما يحاول البعض تصويره، كما أن الحديث عن الاختراق الثقافى ليس شماعة نعلق عليها عجزنا واخفاقنا، بل إن أوربا نفسها تعتبره خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها وهويتها الثقافية.

لقد رفضت فرنسا مثلاً توقيع البنود الخاصة بالسلع والمواد الثقافية فى اتفاقية الجات، كما نددت اليونان بمواقف الولايات المتحدة التى تسعى إلى نشر الثقافة الأمريكية على حساب البنية الثقافية الوطنية للآخرين.

وإذا كان ذلك هو موقف الدول المتقدمة من العولمة خاصة فى جانبها الثقافى، فكيف إذن موقفنا نحن الذين تحاصرنا الأزمات من كل اتجاه؟ ناهيك عن تخلفنا التكنولوجى قياساً بدول الغرب والولايات المتحدة؟

إن الانفتاح والتواصل الثقافى على قاعدة الحوار مع الثقافات الأخرى هما سببان من أسباب نماء الثقافة وتطورها، ولكن هناك فارقاً كبيراً بين أن نسمح بسقوط الحصون والمحرمات وأن نتعامل بمنظور أننا موجودون، وأن لنا خصوصيتنا وثقافتنا ومنظومة القيم التى تحكم أداء مجتمعنا.

بقى سؤال أخير: أى ثقافة رائدة تلك التى تسمح لأبنائها وصناعها بقتل الأطفال فى العراق، وحرمانهم من الغذاء والدواء، وفرض حصار الجوع على أكثر من ٢٠ مليون عربى أكثر من ثمانى سنوات؟

أى ثقافة تلك التى تمارس الظلم ضد الشعوب المقهورة، وتساند الصهاينة والصرب، وكل من يمارسون الظلم ضد أمتنا العربية والإسلامية؟.

إننا فى حاجة إلى حوار داخلى يعيد إلى الأمة وجهها المشرق، يذكرها بالماضى الذى تسعى العولمة إلى محوه، ويفتح أمامها طريق المستقبل لتكون رقماً فاعلاً فى حضارة القرن القادم.

العدد ١٠٩

١٩٩٩/٣/١٥م

رسالة إلى القذافى

معمر القذافى على أرض مصر.. نعتب عليك، وتعتب علينا، تشتد لغة الحوار بيننا، ترفض الواقع المرير ونرفضه معك، لكنك جزء منا، قطعة من فؤاد القلب، لا تستطيع أن تولى ظهرك لنا، ولا نسمح لك أبداً بأن تبتعد عن صفوفنا.

هذه الأمة يا معمر، حلمك، حلمنا، وحدتها، أملك، أملنا، كيانك جزء من كيانها، وروحك جزء من جسدها. هل أذكرك بمعارك الاستعمار وأذنابه ضدك وضدنا؟ هل أقص عليك كيف اجهضوا خطواتك وعرقلوا مسيرتك؟ أنت تدرك الحقائق ربما أكثر من الآخرين.. تعرف أن المؤامرة تعدت حدود الوطن، لتصنع فى تل أبيب وواشنطن رأساً.. إنه مخطط لاستعباد الأمة من جديد..

كنت أدرك منذ البداية أن علاقتك بهذه الأمة تتعدى حدود كلمات العتب، لا أصدق أنك تستطيع أن تنسلخ من جسدها، حتى لو رأيتك بعينّى تمزق خريطة الوطن لتحل محلها خريطة القارة، كل ذلك لن يقنعنى بشىء، لن ينسينى وينسى ملايين الشباب العرب أنك واحد ممن آمنوا بهذا الحلم القومى فى الحرية والاشتراكية والوحدة.

قد تغضب من الأمـة، وقد تغضب الأمـة منك، لكننا على يقين لا يقبل الشك، ولو لقيد أنملة، أنك واحد ممن جسدوا هذا الحلم على مدى ما يقارب الثلاثين عاماً هى عمر ثورة الفاتح، التى تفجرت فى وجه قوى الاستعمار والتخلف على أرض ليبيا الشقيقة.

من حقك أن تغضب يارفيق الدرب عندما تجد قلب إفريقيا أقرب إليك من قلب الأشقاء، من حقك أن تتهمنا بأننا أصبحنا عبيداً لهذه الشـرعـيـة الدوليـة الظالمة، وأننا نعطى الأولوية للرضـا السـامى الأمـريكانى، من حقك، من حقك، ومن حـقك. ولكن من حـقنا عليك أيضاً أن نبقى معاً فى الخندق، إلى أن نعيد إلى الأمـة وجهها المشرق، وأن نغلق أبوابنا فى وجه المستعمرين والمتصهينين.

سبع سنوات وليبيا الشقيقة تعانى الحصار، سبع سنوات فى القفص ظلماً وعدواناً، ولكن من قال إننا لم نكن محاصرين معك؟ من قال إننا لم نعان مثلما عانيت، الهم واحد يا معمر، فى العراق والسودان وليبيا ومصر واليمن والمغرب وسوريا والخليج.

كم تألمت نفسياً وأنا أراك تطل من شاشة إحدى الفضائيات العربية تتهم العروبة بالعنصرية، تجلدنا جلداً عنيفاً، بينما وقف واحد من دعاة التطبيع والأمركة فى مواجهتك يدافع عن العروبة..

تألمت لأننى أعرف أن من يتحـدث ليس هو معـمـر القـذافى الذى أحـببناه ورفـعناه فـوق الأكـتـاف، ليس هذا هو الذى كـتـبنا عنه أحلى الكلمات، وانتظرناه على قارعة الطريق مصباح أمل بعد رحيل جمال عبد الناصر.. نعم ليس هذا ولن يكون..

معـمر القذافى الذى نعـرفه هو شـعلة لا تخـمد من الحـماس للأمـة وللوحـدة، هو الذى نـظر إلى مـشـروعـهـا القـومى، وكـتـب عنه مـجلداً

ضخماً، لاتزال الجامعة العربية تغلق عليه أدراج مكاتبها، لذلك بقيت أشاهد الحدث وأسمع الكلمات، وأنا على يقين بأن قلب وعقل معمر القذافى يقولان غير هذا الذى أسمعه بلسانه.

نعم لن تقنعنى بأنك كفرت بالفكرة القومية، وأنك تستطيع الانسلاخ بليبيا بعيداً، لن تستطيع لأن حقائق التاريخ والجغرافيا ستتصدى لذلك، ولأنك لن تقنع أحداً بأنك كنت على خطأ، فالشارع العربى لن يقبل منك ذلك أبداً.

كنت أرى فى عينيك حزناً عميقاً على هذه الأمة، كان الغضب والعتاب يبدوان واضحين متسللين إلى مفرداتك الجديدة، لكننى لم أصدق ولن أصدق.

انزع خريطة الوطن العربى، اشطب اسم الإذاعة التى ارتبطت بعقولنا وقلوبنا، اطلق الكلمات كما تريد، لكنك تبقى دوماً معمر القذافى، الثائر، الوحدوى، المناضل، الذى لايزال يحلم وسط صفوفنا.

يا أخى فى العروبة، أستطيع أن أصمت كما يصمت غيرى، استطيع أن أقول فيك أحلى الكلمات، وأن أؤيد توجهك الجديد، أو أجد صيغة توازنية تخارجية أضحك بها على الناس، لكننى أنأى بنفسى، لأننى أتحدث معك بقلب مفتوح، لا يعرف سوى طريق الصدق، وصديقك من صدقك..

يا معمر أمتنا فى حاجة إليك، فى حاجة إلى ثوريتك وحنكتك وحكمتك، فى حاجة إلى كلماتك التى تخرج كطلقات الرصاص،

لتكشف الحقيقة، وترفض المذلة، لذلك يصعب علينا أن نراك تشطب وزارة الوحدة من التشكيل الوزارى فى ليبيا، يصعب علينا أن يستخدم الرجعيون كلماتك عن الأمة، وأنت الذى قاتلت فى الخندق المضاد لتوجهاتهم.

أدرك عن يقين أن ضميرك الحى لن يسكت، فهأنذا أراك تتفاعل مع كل قضايانا فى فلسطين والعراق ومصر والسودان، فى الخليج الذى تسعى قوى الشر إلى الهيمنة عليه، واستنزاف آخر قطرة من بتروله، فى تركيا التى تحولت إلى رأس حربة ضد الأمة فى لبنان، حيث انتفاضة الشباب العربى فى أرنون، ها هو حلمنا وحلمك يتجسد ولو فى بقعة بالجنوب اللبنانى.

هذه الأمة حية يا معمر، لا تموت، ولا تسقط أمام جحافل المستعمرين، إنها أمة مصممة على البقاء.. مصممة رغم أن المخطط الاستعمارى - الصهيونى ليس سهلاً، مصممة برغم الألم الذى يكتوى الجسد بناره، مع كل قنبلة - وصاروخ يسقط على أرض العراق.. هذه الأمة ستبقى صامدة، وغيرها سيندثر.

هل أرحب بك فى مصر، أحب البلدان إلى قلبك؟ كيف نرحب وجماهير الوطن خرجت تستقبلك حشوداً لتقول لك إنك معنا ونحن معك، وإنك امتداد لنا وإننا امتداد لك، قلوبنا مفتوحة لك قبل العقول، ومن يدخل القلب فهو يدخل العقل.

أدرك أن الأيام القادمة صعبة عليك وعلينا، فها هو الإنذار يتجدد، مطلوب منك أن تسلم مواطنيك للمحاكمة، أنت الأقدر على تحديد

المواقف، وأظن أن الرئيس مبارك هو من أقرب الناس إليك، وأنه في سبيل ذلك تلقى طعنات عديدة من أعدائك وأعدائنا. لكل ذلك أقول أنت نجحت في إدارة معركتك، وحققت مكاسب مهمة لمواطنيك المتهمين ظلماً وعدواناً، لذلك لا تعطهم فرصة لذبح ليبيا كما ذبحوا العراق..

إن العاهر كلينتون يتحين الفرصة، فانزع فتيل الأزمة بحكمتك ودعهم يكشفوا حلقات مخططهم حتى النهاية..

لقد كنا نعارض قبل ذلك تسليم المواطنين الليبيين لمحاكمتهما في اسكتلندا، أو أمريكا، لكنك نجحت في إجبار واشنطن ولندن على تعليق العقوبات بمجرد تسليم المواطنين لمحاكمتهما أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي، حققوا لك بعض شروطك لصمودك وقوتك في المواجهة، فلا تدعهم ينفذوا المؤامرة ضدك وضدنا.

أقول لك هذا الكلام وأنا أتمزق من داخلي، أقول لك هذا الكلام وأنا أرفض الانصياع للأمر الواقع، لكن المؤامرة كبيرة وأطرافها متعددة، ورأسك - أنت تحديداً - مطلوب على أعتاب الكنيست والبيت الأبيض الأمريكي.

غداً يأتي يوم يا معمر، ننفث فيه كل ما في صدورنا، نثأر فيه من هؤلاء الذين أذلونا، نعيد فيه القدس إلى أحضاننا، ننقذ فيه العراق من مؤامرة التقسيم، نسقط فيه الرايات الغربية عن أراضينا، نؤدب فيه الخونة الذين تاجروا بأحلامنا، وارتهنوا سيادتنا.. هذا يوم قريب وليس ببعيد.. وهو يوم نتمنى أن تكون أنت أحد صناعه.

العدد ١٠٨

١٩٩٩/٣/٨م

لحظة لا تنسى

تشرق الشمس على عقولنا من جديد، أشعر بانتعاشة فى الذاكرة، استدعى رموزاً طوتها صفحات التاريخ، أتفرس الوجوه، أحفظها عن ظهر قلب، أضمها إلى فؤاد القلب، وأغرس قدمّى فى تراب الوطن.

مضى بنا الأتوبيس مسرعاً مخترقاً صحراء سيناء، كان الوفد مكوناً من نحو ستين من الفنانين والإعلاميين والكتّاب ورموز العمل النقابى والسياسى، التقت مصر كلها على قلب رجل واحد، وقررنا أن نذهب إلى البطل فى عقر داره.

دفعت برأسى إلى الخلف قليلاً، عيناى تنظران إلى هناك، كانت صورته تتصدر زجاج الأتوبيس الذى يمضى بسرعة كبيرة إلى العريش، وأوبريت الحلم العربى يدغدغ مشاعرى، يأخذنى إلى هناك، إلى أشقائى فى فلسطين وليبيا والعراق، إلى جنوب لبنان وأرض السودان، إلى كوسوفا التى تحترق بنار الصرب..

منذ الصباح الباكر مضينا، كأننا على موعد مقدس لا يمكن تجاهله.. وجوه مألوفة، وشباب يحلم بموعد اللقاء، نرسم صورة ذهنية لبطل عائد بعد اثنين وعشرين عاماً فى سجون الاحتلال.

قبل أن نمضى إلى هناك، كنت فى صراع كبير مع من يأتى ومن ينتظر؟ العشرات الذين علموا بالأمر، استحلفونى، لكن العدد كان قد اكتمل، كثيرون من هؤلاء الذين شاركوا سهروا حتى الصباح حتى يلحقوا بالأتوبيس الذى قرر المضى مبكراً.. جاءت سهير المرشدى ولم تكن قد ذاقت طعم النوم، بينما حمدى أحمد وأحمد بدير ظلا مستنفرين ينتظران اللحظة.

عندما تحدثت مع صديقى د. حسن راتب، ومع عدد آخر من رجال الأعمال والمثقفين، نجحنا فى ساعات قليلة فى الحصول على مبلغ مائة ألف جنيه، لم يتردد أحد منهم فى أن يرد جزءاً من جميل طوق به محمود السواركة أعناقنا جميعاً.. كان الحماس متدفقاً، والكلمات تنطلق من الأفواه أبلغ من أى تعبير.

جاءت الفكرة فى منزل المذيع اللامع طارق علام، تحادثنا معاً - أنا والصديق الفنان سامح الصريطى - لماذا لا نذهب إلى هذا البطل فى عقر داره ؟ لماذا لا ندعو الناس والفنانين والرموز؟ إن ذلك أقل واجب يقدم إلى هذا الإنسان الذى أمضى أكثر من ثلث عمره وراء الأسوار.

كنت أشعر - وغيرى كثيرون - بأن ضميرنا لن يصمت إذا ما صمتنا، كنت أشعر بوجع يجتاح هذا الضمير، فالسلبية هنا تعنى نكران الجميل، تعنى أننا لم نعد نحب هذا الوطن، ولا رموزه التى تضحى.

الآن بدأنا نشعر بالراحة عندما تحرك الأتوبيس إلى هناك.. أمسك طارق علام بالميكرفون، ودعا كل المرافقين إلى التعبير عن مشاعرهم

تجاه البطل المغوار، انطلق الجميع فى سباق، سمعت فى هذا اليوم أحلى الكلمات وأجمل العبارات، كأننا هنا فى حضرة محمود السواركة.

ذكرنا الصديق حمدى أحمد بالبطل الشهيد محمود نور الدين، بكل الذين ضحوا، التاريخ - كما قال سامح عاشور - سلسلة واحدة، أو هو بتعبير المخررج فهمى الخولى تجسيد حى لنضالات الشعوب والرموز.

عند القنطرة شرق كان ينتظرنا الصديق عبد القادر السواركة، راح عبد القادر يشرح لنا فى الطريق إلى العريش بعضاً من سيرة وبطولات هذا البطل الفذ، سألناه عن بيته قال إنه لا يمتلك بيتاً، وأنه يعيش فى منزل شقيقه، ثم عرفنا بعد ذلك أنه لم يتسلم بعد الشقة التى وعد بها..

شعرت بألم نفسى كبير، وأنا استمع إلى الحالة المعيشية لهذا البطل.. قالت سهير المرشدى: وهل هذا معقول؟. أسابيع عديدة منذ قرار الافراج والسواركة يبحث عن شقة تجمعه مع زوجته وابنته.. رغم صدور قرار للمحافظ بهذا الشأن.

الآن اقتربنا من أرض العريش الطاهرة، الفنان التشكيلى مصطفى بكير، وماهر اسماعيل فى انتظارنا، دقات القلب تسرع، تنتظر اللقاء على أحر من الجمر، إنها اللحظة التى حلمنا بها، واشتقنا إليها، وأعددنا العدة من أجلها.

إذن هذا هو محمود

السواركة.. وجه طفل برىء، ملامح مصرية أصيلة، عيون تخبئ بداخلها تراب الوطن، تسعة وخمسون عاماً، لكن السجن نال من كل

شيء إلا إرادته، إنه أسد عجوز قادم من وراء الأسلاك والزنازين الموحشة.

أشعر كأننى فى محراب مقدس، نسمات العليل تلفح وجوهنا، اتأمل هذا الجالس أمامى، وكأننى أعرفه منذ زمن بعيد، اسأل نفسى: وهل يعقل أن صاحب هذا الجسد النحيل هو هو ذاك البطل الأسطورة، الذى أحرق جنوداً صهاينة بسياراتهم، زرع الألغام، وانتقم لشرف مصر من هؤلاء الذين دنسوا أرضها؟

منذ دخلت قاعة التكريم وقلبى يخفق بسرعة كبيرة، وساعة أن احتضنته شعرت بالأمان والدفء والطمأنينة.. أدركت أن الوطن بخير، وأن لهذا الوطن رجالاً فى كل أرض، يحبون مصر بلا ضجيج، لا يسعون إلى الإعلام والشهرة، يضحون فى صمت، لا يبغون من الدنيا شيئاً سوى راحة الضمير.

قلت لمحمود السواركة: اثنان وعشرون عاماً وراء الأسوار، ألم تشعر بلحظة ندم؟!

قال محمود: وهل يندم الإنسان عندما يدافع عن أرضه وعرضه؟ أنا لم أقدم شيئاً، هذا دين فى رقبتى لمصر.. لقد قالوا لى إننا سنبادلك بالجاسوس عزام، رفضت الخروج من السجن، وقلت لو حدث هذا لقتلت نفسى حتى لا يفرج عن هذا الجاسوس.

يالك من بطل مغوار فى زمن يسقط فيه الكثيرون بلا ثمن، يا أبى يا أخى يا أستاذى، أنت مصر الحقيقية، أنت وعاء هذا الوطن، مثلك لا

يعرف الزيف، لا يعرف التسلق أو النفاق، مثلك لا تحركه لغة المصالح، مثلك لا ينطلى عليه السلام المزيف، ولا الرهانات الخاسرة، مثلك يلعن كل المتصهينين الذين أصبحوا عنواناً لهذا العصر الردىء.

أنت العنوان الحقيقى، أنت الأمل، أنت الرجل والبطل، أنت القائد فى ميدان المعركة، أنت الحلم فى عقول أبنائنا الصغار، وشيوخنا الكبار، وشباب يحلم بيوم تتحرر فيه القدس، ويرفع فيه الغبن والظلم عن العراق.

أنت يا محمود، يا هذا الجالس أمامنا، أنت رمز نبحث عنه فى زمن الضياع، نحتاج إلى صدقك التلقائى، إلى كلماتك الجميلة، علمنا يا بطل حب الوطن، علمنا كيف هانت عليك نفسك من أجل تراب سيناء.. قل لنا بحق الله والأرض عن شعورك وأنت تنتزع بعد أيام قليلة من زواجك ليزجوا بك إلى غياهب السجون!

قل لنا يأيها البطل معنى أن تصمد فى مواجهة التعذيب، معنى أن ترفض مبادلتك بجاسوس صهيونى، أو تاجر مخدرات.. كان يمكن أن تكون لديك مبررات ومبررات، لكنك أبداً رفضت، بل وهددت بقتل نفسك إذا ما حدث ذلك.

نعم.. بك يا محمود وبأمثالك يعيش الوطن، أنت لست وحدك، أنت واحد من ملايين يذوبون عشقاً فى الأرض والنيل، أنت جزء من كيان صمد آلاف السنين، تحدى الجبروت والظلم والطغيان، امتلك قدرة عجيبة على التضحية والتواصل والإصرار على الحياة شامخاً.

جئنا إليك هنا، لنؤكد لك أنك لست وحدك، وأن كل الوطن يقدر تضحيتك.. نحن لا نخاف الصهاينة، ولا نعترف بسلامهم المنقوص، واتفاقياتهم المذلة، نحن ندرك أن ساعة النصرر قادمة مادام أمثالك صامدين..

من رحم الأمة يولد الأمل، ومن رحم الليل يولد الفجر، تأمل معى هذا الطفل الذى تحتضنه، ترى كم هو سعيد بك، كأنك تبث إليه رسالة نعرف تفاصيلها، وتزرع فيه انتماء ندرك مغزاه.

هذا الطفل سيكبر غداً، سيعى الدرس جيداً، سيمسك بتراب الأرض رغم أنف الأعداء، سيحتفظ بهويته رغم أنف العولمة، سيميز بين الحق والباطل، رغم الدعايات الزائفة، سيعلى من راية مصر والأمة، سيحتفظ بصور الشهداء والرموز فى ذاكرته.. لذلك لن يسقط الوطن ولن يقهر الإنسان.

أما أنت أيها البطل فثق بأنك ستبقى معنا، وأنك مُكرم فى كل بيت على أرض الأمة من محيطها إلى خليجها، وأن صورتك معلقة فى أذهاننا وبيوتنا، وأننا جميعاً من حولك نشد من أزرك، لأننا فى حاجة إليك وإلى أمثالك.

العدد ١٠٧

١/٣/١٩٩٩م

هـــواجـــس

طلبت أمريكا من لبنان عدم استقبال وزير الخارجية العراقى محمد سعيد الصحاف، غداً يطلبون منا الحصول على موافقة مكتوبة قبل الدخول إلى غرف نومنا!!

عندما يُمجد الخونة، وتكتب أحلى العبارات فيمن تاجروا بالوطن، فعلينا أن نتحسر على الشهداء وعلى القيم النبيلة التى أهدرت فى الزمن الردىء!!

استولى الكيان الصهيونى على قرية جديدة فى الجنوب اللبنانى، ما رأى هؤلاء الذين يتهمون حزب الله بأنه حزب إرهابى مأجور؟

عندما تطارد تركيا الأكراد فى شمال العراق فهذا عمل شرعى يستحق التقدير، وعندما يسعى العراق إلى فرض شرعيته على أراضيه فتلك جريمة لا تغتفر!!

عبد الله أوجلان إرهابى لأنه يطالب بحق الأكراد فى تركيا، أما البرزانى والطالبانى فهما يلقيان الدعم الأمريكى والغربى حتى يتمكنا من تمزيق العراق، وإقامة دولة كردية على أراضيه!!

صمدت ليبيا على مدى سنوات طوال فى مواجهة الحصار الظالم، رفضت التفريط في كرامتها وسيادتها، فلم تجد أمريكا وبريطانيا سوى الاستجابة للعديد من الشروط الليبية كسبيل لحل الأزمة.. ورغم الانتصار الدبلوماسى الذى حققه العقيد معمر القذافى فإننى أخاف من مرحلة ما بعد المحاكمة.. الخطط جاهزة، وأطراف التآمر مستعدة لتكرار درس العراق!!

رغم أنها ستكون دولة بلا جيش، وبلا سيادة حقيقية، فإننى أطلب من ياسر عرفات عدم التراجع عن موعد إعلانها فى الرابع من مايو المقبل.. أدرك أن التهديدات كبيرة، والإغراءات ليست بالهينة، ولكننا فى حاجة إلى الصدق مع الجماهير، وتحدى الأعداء ولو مرة واحدة، كفانا كلاماً عن العقلانية وضبط النفس، دعونا نتحدث مرة واحدة بجدية عن حقوقنا المهدرة ومطالبنا المشروعة.

ما يحاك ضد اليمن مؤامرة أطرافها متعددة.. إنهم لا يريدون الاستقرار لهذا القطر العربى الشقيق، فشلوا فى ضرب وحدته بالتحريض والدعم واصطياد العملاء، والآن جاءوا ليتآمروا على أمنه واستقراره، من يقرأ الاعترافات التى أدلى بها الإرهابيون يستطع أن يشير بإصبعه إلى الجهات التى تدعم، والتى تساند، والتى تحيك الخطط فى الظلام!!

انتزع ياسر عرفات ملف القدس من السيد فيصل الحسينى ومنع الدعم عن بيت الشرق الفلسطينى فى المدينة.. أليس هذا هو ما تريده إسرائيل؟!

بعد فشل الرهان الأمريكى على مدى أكثر من ثمانى سنوات فى العراق، راحت المخابرات الأمريكية تتآمر لإثارة الأزمات الداخلية، وإشعال حرب عرقية وطائفية بين أبناء الشعب العراقى، من هنا نفهم عملية اغتيال آية الله العظمى محمد صادق الصدر أحد كبار رجال الدين الشيعة ونجليه!!

ما يجرى فى كوسوفا تأكيد جديد أن الشرعية الدولية لا تعرف الطريق إلى أزمات العرب والمسلمين، وهكذا يمنح الصرب فى كوسوفا المهلة تلو المهلة بينما المجازر لا تتوقف.. حقاً إذا لم تستح فافعل ما شئت!!

مواطنة أمريكية جديدة تدعى «جوانيتا برودريك» ٥٥ عاماً اتهمت أمس الأول الرئيس الأمريكى بيل كلينتون بأنه اغتصبها فى عام ١٩٧٨ بغرفة فى أحد الفنادق، عندما كانت تعمل ضمن فريق حملته الانتخابية لمنصب حاكم ولاية أركنسو.. السؤال متى يتقدم بعض العرب ببلاغ عن اغتصاب كلينتون لهم فى وضح النهار؟ أعتقد أنهم لن يتقدموا لأن ذلك يتم برضاهم للأسف!!

عجائب

سمير غريب يجلس على كرسى توفيق الحكيم رئيساً لدار الكتب، هل رأيتم المقارنة؟

الجمود والسكون قضى على جيل بأكمله، أسقطوا شعار «فى الحركة بركة حولوا مصر إلى عزبة»، أهدروا كل الطاقات، وتعاملوا بمنطق الشلة، إذا بلغت الستين فأنت باق.. باق، إذا جاوزت السبعين فأنت

لديك قدرة على العطاء.. تحت مزاعم الاستقرار، قضوا على جيل بأكمله، قزموا طموحات البشر، الشرفاء لا مكان لهم، والأغبياء والأفاقون واللصوص يصعدون بسرعة الصاروخ، متى يفيق النظام ويدرك أن السخط يعم النفوس، وأن الناس تغلى، وأن الكل يدرك أن مصر العظيمة أصبحت إقطاعية خاصة إننا نريد تدخل الرئيس، نريد عودة الأمور إلى نصابها الصحيح، الكيل طفح والناس أصيبت بالإحباط والقنوط، وهكذا بدأ الناس يفقدون الولاء والانتماء، بعد أن رأوا بأعينهم المعايير وقد تبدلت، والثوابت وقد تحطمت.

تراجع الحديث عن حركة تغيير بعض المحافظين.. ومن الواضح أن كل شيء مؤجل إلى حين الاستفتاء على الولاية الرابعة للرئيس فى أكتوبر القادم.. نتمنى تغييراً كبيراً فى كل المواقع المعلومات .. تشير إلى أن المرحلة الجديدة للرئاسة ستشهد مفاجآت مهمة. نتمنى أن يتحقق ذلك فنحن فى حاجة إلى كل المخلصين.

عندما يتحول كاتب يسارى «سابق» إلى محلل للمرتشين والعملاء، الذين يقبلون التمويل الأجنبى من حكومات ومخابرات أمريكا وبريطانيا وكندا ودول الغرب، فأكيد أنه واحد من المستفيدين، والحقيقة تؤكد أن العائلة كلها أضحت مستفيدة، فابشر يا هذا بالدولارات، لكن الثمن هو فقدانك مصداقيتك؛ ولو كان لديك ضمير لشعرت بالعار، وتوقفت عن الكتابة والأعمدة المسمومة التى تكتبها فى صحف الحكومة والمعارضة والمستقلة والخليجية.. حقاً اللى اختشوا ماتوا!!

آخر التقاليع: جهات غربية تؤكد أنها عازمة على تمويل الصحف والأحزاب فى مصر وغيرها دعماً للديمقراطية وحقوق الإنسان..

اقرأوا الخريطة جيداً، ودعونا نتساءل عن سر الملايين التى وصلت للبعض.

صحيفة الشعب «بح» صوتها، وجهت اتهامات بالخيانة العظمى إلى يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة، الكل يلتزم الصمت، لا أحد يريد أن يعلق أو يتكلم.. لو كنت مكان يوسف والى لقدمت استقالتى إذا لم تتضامن معى الحكومة، وتعلن عن الحقائق كاملة، ولكن الصمت المريب يجعلنا نتساءل إيه الحكاية بالضبط؟!

هل يكون الكاتب الكبير جلال عارف ضحية جديدة من ضحايا ثروت أباظة، لقد جرى تحويل الزميل إلى محكمة الجنايات بتهمة سب ثروت أباظة، الذى تخصص فى حبس الصحفيين، إننا يجب أن نتضامن جميعاً لوقف هذه المهزلة، وإلغاء عقوبة الحبس التى ربما تكون أيضاً فى انتظار الزميلين عباس الطرابيلى ومحمد عبد العليم، وقبل ذلك تم تحويل الزميل خالد محمود بـ «الأسبوع» إلى الجنايات فى قضية خاصة بثروت أباظة، والملف متخم، فأين أنت يا نقابة الصحفيين؟!

فزورة.. ذهب إلى المجلس الأعلى للشباب والرياضة ثم عاد إلى مكتبه، ثم اشتعلت الثورة فى المجلس الأعلى للشباب والرياضة.. إذا عرفت الإجابة فاعرف كيف تتخذ القرارات!!

هل من تسىء إلى مصر وتصور شعبها بأنه مجموعة من العملاء للصهاينة، وتشوه صورة الوطن أمام العالم كله تستحق أن يشاد بها فى صحيفة قومية.. إنها فضيحة حقاً.

قد نختلف مع الفنان عادل إمام، قد نرفض بعض أفلامه وأقواله، لكن يجب ألا يساء إلى هذا الفنان الكبير بأسماء وهمية وبكلمات يعاقب عليها القانون، لا تسيء إلى عادل إمام فحسب، لكنها تسيء إلى الفن المصري كله.

العدد ١٠٦

١٩٩٩/٢/٢٢م

غدًا يأتى الفجر..

فى ظل الانكسار، والليل الطويل، أرى على البعد مصباح الأمل، اشتم رائحة الهواء النقى، تهتز مشاعر الوجدان، وأعزف نوبة صحيان من جديد.

يا أطفال العراق اليتامى، ويا جيلا يرزح تحت الاحتلال فى الجولان، وياشيوخا طردوا من بيوتهم فى فلسطين، ويا وطناً يمزق فى السودان، وياشعباً ينتظر المقصلة فى ليبيا، ويا أشقاء يقتلون فى كوسوفا.. بوادر الفجر تلوح فى الأفق..

اليأس يقتل فينا الأمل، فلا تيأسوا ، قاوموا، قاتلوا، فالغلبة للمجاهدين. دعكم من المرتزقة والخونة والعملاء المرتشين، دعكم من الجبناء والمترددين، انظروا إلى الغد الآتى المحمل بتراث الوطن وأبنائه المخلصين.

ثوروا على هذا الواقع الردىء، لا تتركوا أعداء التاريخ، وأعداء العرب يسحقون عظام أطفالكم، ويدمرون حضارة شعبكم، فالنهاية نكتب للشعوب الخانعة وأنتم أمة لا تعرف الخنوع.

لكننا فى حاجة إلى التماسك والتوحد، فى حاجة إلى مراجعة الأوراق، وإبعاد الخونة من بين الصفوف.

الفجر القادم.. فجر عربى خالص، أمة محكوم عليها بالتوحد، شعب يريد الخلاص من الهيمنة، وهو قادر على ذلك، غدٌ تصرخ فيه سيدة عربية (وامعتصماه) فتهب الأمة من المحيط إلى الخليج تدافع..

الغد القادم هو غد الحرية، غد التخلص من الصهاينة المجرمين، غد السلام الحقيقى الذى يعيد الأرض، كل الأرض، ويحقق الاستقلال، كل الاستقلال، وينهى الفرقة إلى غير رجعة..

لا تفقدوا الأمل، لا يجب أن تخيفكم قنابلهم النووية، وصواريخهم المصوبة إلى الرءوس، فهؤلاء جبناء، أما نحن فروح التضحية لدينا بلا حدود.

نحن لم نعتد على أحد، لم نغتصب حقاً لأحد، لكننا نحن الذين نعانى المذلة والهيمنة، ولهذا يجب ألا يكون أمامنا سوى خيار المقاومة.

والمقاومة هى مشروع يجب أن ينطلق من كل بيت عربى، قاوموا التطبيع، قاطعوا بضائع الأمريكان والبريطانيين، وكل أعداء الأمة، والمتحالفين معهم، اكشفوا مخططاتهم، أعلنوا عن أسماء عملائهم، لا تتركوهم يدمرون البقية الباقية من كياننا القومى.

مشروع المقاومة يجب أن يكون شعارنا الدائم، وطريقنا الوحيد للرد على السفهاء وعاهرهم الأكبر الذى قرر تمزيق العراق - ومن ثم الأمة - أوصالاً.

ارفعوا أعلامنا على بيوتنا الفقيرة من طنجة إلى الشارقة، ارسموا ملامح القدس فى عقولكم، تذكروا أن هناك شعباً يباد بالصواريخ والجوع ونقص الدواء، لا تناموا، لا تخلدوا إلى الراحة وهناك عربى يئن من الألم.

يا أمة العرب.. أنت أقوى من كل الأعداء.. ولذلك فالنصر حيلفنا مهما طال الزمن، فقط يجب أن نبدأ وأن نتعلم الدروس من أطفال الانتفاضة وشباب حزب الله.

العدد ١٠٤

١٩٩٩/٢/٨م

يا صلاح الدين

أكتب إليكم من أمام قبر صلاح الدين.. هأنذا أقف في ساحة المسجد الأموي، أخيراً جاء اللقاء، أشتم رائحة حطين من هنا، أرى وجه صلاح الدين مبتسماً على أرض القدس.. هل تشعرون بما أشعر به، هل تدركون ما أدركه الآن؟!

أمضي حول المقبرة، ألمسها بيديّ، أتذكر كلماته عندما عاد منتصراً إلى دمشق، وبنى له أحدهم قصراً ليسكنه، قال: «هذا منزل لا يصلح لمثلي أبداً، وإن منزلي دائماً خيمة تعصف الرياح من خروقها، وإنها لأحب إلى نفسي من هذا القصر وغيره من زخارف الدنيا».

صدقت يا صلاح الدين، وفسرت سر انتصارك على أعدائك الصليبيين.. الآن أنت ترقد في المقبرة، لكنك تعيش في قلوبنا وعقولنا وذاكرة التاريخ.. لم تترك في خزانتك سوى دينار و ٤٧ درهماً، لكنك تركت لنا كنزاً عربياً نتغنى به في زمن الهزائم والانكسارات.

أتراك تشعر اليوم بما نشعر به، من مذلة وإذلال، واستباحة للمحرمات، وصواريخ توجه إلى رؤوس الأطفال، وتجويع للشعوب وتدنيس للمقدسات؟

القدس تئن ياصلاح الدين، تستصرخ الأمة، ولكن لا أحد يجيب، اليهود فرضوا سطوتهم، أشعلوا النار لمرات فى المسجد الأقصى الأسير، وها هم يعدون العدة لهدمه فى القريب.

لو عدت إلينا من جديد، ربما تهجرنا إلى عالم آخر، ستقول هذه ليست أمتى، وهؤلاء ليسوا رجالها.. هل تعرف ياموحد العرب أننا نعجز حتى عن عقد قمة عربية نبحث فيها أمورنا؟ وهل تدرك أن القرار الأمريكى هو الذى يخطط لنا مستقبلنا، ويرسم لنا ملامح حياتنا؟!

لقد قلت فى يوم ما للصليبيين: «إن وجودكم بيننا عار على شرفنا ولن يغمض لنا جفن، أو يرتاح لنا قلب حتى تجلوا عن هذه الأرض».. أما الآن ياسيد العرب فقد رحنا نتفنن فى البحث عن شرعية للوجود الصهيونى على أرضنا، بدأنا بتقسيم القدس، وانتهينا بتسليمها كاملة إليهم.

عقدنا الاتفاقيات بأوامر أمريكية، جاءوا بالجانى والضحية، ليتهم وقفوا على الحياد، بل أجبرونا نحن على دفع الثمن، انتزعوا من عقولنا ذاكرة التاريخ، ودفعونا دفعاً للإقرار بجغرافيا كاذبة تمنح إسرائيل الأرض، وتمنحنا مجرد وعود سرعان ما تبددت.

نحن الآن يا صلاح الدين نعيش الزمن العربى الردىء، حيث الهيمنة والسيطرة، حيث خزائننا المسلوبة بأيدى أعداء العروبة، وأعداء الدين، حيث المؤامرة تتشعب كالأخطبوط لتخنق الأمل فى نفوس الملايين.

هل تدرك الآن ياقائد العرب أن فى أمتك خونة يهدمون الثوابت، ويتحدثون بلسان الصهاينة، يصفون المقاومين والمجاهدين بأنهم إرهابيون، يقطفون الزهور من بستانها ويقدمونها هدية إلى المحتلين؟

فى مجتمعك العربى الجديد يُكرم الخونة الذين فرطوا فى أوطاننا، وقدموا الأسرار لأعدائنا، وتواطأوا علانية مع قتلة أهلينا، أصبحوا أبطالاً قوميين نتغنى بأمجادهم فى السلام والوئام.

يا صلاح الدين، نحن نتمزق ألماً على واقع عربى مرير، ولكن لتثق بأن النخوة لم تمت فينا ولن تموت، لكن قلوبنا موجوعة، ودماءنا تغلى وتحترق حسرة على أمة كانت ملء السمع والبصر.

الآن ياسيدى أصبحنا فى مرمى الهدف، ألعوبة فى يد الحاكمين والطامعين، عزبة ورثوها عن آبائهم، يعاملوننا وكأننا خيال مآتة، يجب أن نساق إلى المذبح والمصير فى صمت، ودون أن يسمح لنا حتى بمجرد الصراخ.

الآن يا صلاح الدين نحن محاصرون بالكروز، وطائرات الشبح، والموت جوعاً، ليس لنا حق الكلام، وليس لنا أن نطلب حبة دواء، فالسيد الأمريكى يقف على الأبواب ينهب ثرواتنا ويعبث فى سمائنا ويجرب أسلحته الفتاكة فينا.

هل تدرك يا صلاح الدين وأنت فى قبرك منذ مئات السنين أن شعباً عربياً على بعد كيلو مترات معدودة منك يموت ويفنى؟! لقد وصل رقم الضحايا إلى مليون ونصف مليون، ومع ذلك تبقى الأزمة مستمرة، وتبقى المشانق معلقة حتى آخر مواطن على أرض العراق الأبى.

لقد حولوا حياتنا إلى محزنة دائمة، دموعنا تحجرت بمضى الزمن وكثرة الألم والبكاء، ومع ذلك نعجز حتى عن الدفاع عن حقنا فى الحياة، كأننا نسلم الرؤوس طائعين صاغرين.

اسألك الآن يا سيد العرب.. ما العمل؟!

أعرف إجابتك مقدماً، أدرك أن الدماء تغلى فى عروقك، أشعر بروحك ترفرف غاضبة، لذلك أقول لك الحل هو أن تعود..

نعم نحن فى حاجة إليك يا صلاح الدين، فى حاجة إلى غيرتك ونخوتك، فى حاجة إلى حسمك وعنادك، فى حاجة إلى قلبك الرحيم وعواطفك الجياشة، فى حاجة إلى زهدك ونزاهتك وطهارتك وإيمانك..

ربما تشعر بالغربة بيننا، ربما تبحث عن تضاريس تعرفها ولن تجدها، ربما تختلط الوجوه أمامك فلا تعرف الصهيونى من العربى، ربما تقرأ قصائد إنشاد فى خونة تاجروا بعرض الوطن، وأصبحوا أبطالا وأساتذة على يد الأفاقين، لكن كل ذلك لن يمنع عنك الحقيقة التى تعرفها عن الأمة وشعبها.

ليس أمامك يا صلاح الدين إلا أن تشهر سيفك لتطهر الأوطان من رجس الشيطان، بالضبط كما بدأت، وحدت العرب ثم خضت الحرب فى مواجهة الأعداء.. لم تستسلم ولم تتراجع أمام الدسائس، لم تخف من مؤامرات القتل التى كادت تنال جسدك الطاهر، بل أقدمت على المضى فى طريقك دون خوف أو فزع.

كان لديك هدف واضح ورؤية شاملة، كانت لديك عزيمة لا تلين، لأنك تدرك عن يقين أن الحرية وقودها التضحية، وأن رسالتك فى الحياة هى حماية الأمة التى وليت عليها، والدفاع عن العقيدة والدين.

نحن فى حاجة إليك حتى تبث الحماس فى قلوبنا من جديد، فقد بدأنا نتعايش رويداً رويداً مع الأزمات، أصبحنا نؤجل معاركناحتى نرضى سادتنا، فإذا بالأمر يصبح مجرد إدمان.

نعم لقد أدمنا السكوت، رضينا بالمذلة لسنوات طوال، فتحنا أبوابنا للقتلة وحثالة البشر، تركناهم يتحكمون فى مصائرنا، ويفرضون قوانينهم علينا، تدخلوا فى كل شئوننا، وعبثوا بكل خصائصنا.

الهدف هو أن ننسى جذورنا وعروبتنا، هو أن نسلم أمرنا لأعدائنا، يديرون لنا بطريقتهم حياتنا، كأنهم ينتقمون منك، ويقولون لك من جديد ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين.

نعم لقد عادوا، قرروا الانتقام للمرة الألف، ذبحوا أهلينا فى البوسنة وكوسوفا، وها هم جاءوا إلى المنبع لاجتثاث الجذور، وهدم التاريخ، ومحو الذكريات والمقدسات.

الأمة كلها تتمزق يا صلاح الدين، النار وصلت إلى البيوت وغرف النوم، الأعداء تحالفوا ضدنا، طوقونا وحاصرونا من كل اتجاه، فهل لديك مخرج لنا؟!

نحن أمة حية لا تموت، أنت خير من يعرف حقيقتنا، لكننا فى حاجة إليك لتعبر بنا إلى بداية الطريق، إلى الحرية فى العيش على أرضنا، إلى حقنا فى حماية مقدساتنا، والحفاظ على استقلالية أمتنا وصون كرامة شعبنا العربى، من المحيط إلى الخليج، إلى الدفاع عن المسلمين فى كل مكان.

لا تتردد يا قائد العرب.. عد إلينا، فلن يصد الطوفان القادم، ولن ينقذ الأمة المكلومة إلا أنت.. نعم إلا أنت، وإلى أن تعود سندرس سيرتك العطرة لأطفالنا، سننقش على ذاكرتهم خريطة الأمة غير منقوصة، سنقول لهم إن القدس عربية، وإن شعب العراق عربى، وإن كل حبة تراب تنطق بلسان عربى..

عد يا صلاح الدين، فنحن فى حاجة إليك ولا تتردد..

العدد ١٠٥

١٥/٢/١٩٩٩م

درس الأستاذ

كأننى أسمعك من جديد، كلماتك تدوى فى أذنى.. «إننى لا أتصور لنفسى عملاً ولا بيتاً ولا قبراً خارج مصر»، ياه... سنوات مضت والتاريخ يطوى صفحاته، وأنت كما أنت، لا تتغير ولا تتبدل، ثوابتك، مواقفك تزرع فينا العناد والصمود، تمنحنا الأمل، تدفعنا دوماً إلى الأمام.

خمسة وعشرون عاماً مضت على خروج الأستاذ من «الأهرام».. أنت الآن أكثر توهجاً، أقرب إلينا من أى وقت مضى.. نقرأ كلماتك رغم الحصار، نمضى إليك، ندخل على محرابك، نحتاج إلى دفئك فى زمن البرودة والصقيع.

لا تبتئس فأنت تعيش فى قلوبنا، كلماتك تسرى مع دمائنا، إذن فأنت ملء السمع والبصر، حتى ولو اطفأوا كل الأضواء وكل المصابيح..

هل تتذكر يوم أن قلت إن كل مشتغل بالشئون العامة، تواجهه فى حياته لحظة تحتم عليه فيها أن يقف دون تردد أو تلعثم ليجعل صوته

مسموعاً مفهوماً، ثم ليكن بعدها ما يكون؟.. أنت ياسيدى لم تفعل غير ذلك، كان صوتك مجلجلاً دفاعاً عن الحقيقة.

ثمانية عشر عاماً وأنت تقود «الأهرام»، انتشلته من واقع إلى واقع، راهنوا على عدم قدرتك على الفراق، حاولوا إغراءك بالسلطة، لكنك لم تر فى نفسك إلا كاتباً فمضيت إلى حضن الوطن، وتركت لهم كل شيء.

عندما قرر السادات تعيينك مستشاراً له أو نائباً لرئيس الوزراء، كنت تدرك أبعاد اللعبة، كنت قوياً ولم تهتز كهؤلاء الذين يبيعون كل شيء من أجل الكرسي.. كان ردك أيضاً حكيماً كالعادة «إننى استعملت حقى فى التعبير عن رأيى، ثم إن الرئيس السادات استعمل سلطته، وسلطة الرئيس قد تخول له أن يقول لى أترك «الأهرام»، ولكن هذه السلطة لا تخول له أن يحدد لى أين أذهب بعد ذلك، القرار الأول يملكه وحده، والقرار الثانى أملكه وحدى».

لقد كان بإمكانك أن تنصاع لأوراق الضغط، وأن تستجيب للعبة السياسية وما فيها من قوة الإدمان، لكنهم لم يعرفوا أنك كنت مدمناً لها حين كانت المنطقة «مسرحاً للتاريخ»، أما حين تحولت المنطقة إلى «مسرح للعرائس» فقد وجدت نفسك أمام لون من الفنون له جمهوره بالتأكيد، لكنك لم تكن تحسب نفسك فى عداد هذا الجمهور.

مضيت إلى منزلك تراقب الأوضاع، تسجل الأحداث، تحلل ما يجرى، وعندما شعروا بحجم الخسارة وأنت بعيد، راح السادات يطرح عليك العودة من جديد إلى الصحافة، كما تريد وبشرط واحد هو الالتزام.

مفهومك للالتزام تجسد في كلماتك التي ردت بحسم يومها «سيادة الرئيس إنني لا أعرف ما هو بالضبط ما تطلب مني أن التزم به، ولا أتصور أنه في مقدور أحد أن يلتزم خارج قناعاته، وقد كتبت ما كنت مقتنعاً به، واعتبرته جوهر التزامي، ولكنك غضبت، ثم إنني لا أظنك ترضى لي وأنا بالطبع لا أرضى لنفسي أن أخرج بقرار ثم أعود بقرار.. قد أخرج بقرار، ولكني أظل صحفياً بالمعنى الذي أفهمه».

كان مّحمد حسنين هيكل من المؤمنين بأن التاريخ لا يكرر نفسه، وإذا فعل فإن المرة الأولى تكون دراما مؤثرة. وأما المرة الثانية فإنها تصبح ملهاة مضحكة، كان يعرف أن عودته تعني ظلاً باهتاً لما كان عليه ذات يوم، كان يدرك أنه لو عاد فسوف يعود وفي وجدانه رواسب ما حدث، متردداً فيما يفكر وفيما يكتب.

كان الأستاذ يرى أن حرية الصحافة بالمعنى الحقيقي هي حرية مناقشة صنع القرار، والعوامل المؤثرة فيه، والمناخ المحيط به، والنتائج التي يمكن أن تترتب بعدها. أما غيره فقد كان يرى عكس ذلك تماماً، لذلك كان الفراق حتمياً.

لايزال الناس يتذكرون يوم أن تسلمت مقاليد «الأهرام» في عام ٥٧، كان التوزيع يومها لا يزيد على ٦٨ ألف نسخة، وبعد سبعة عشر عاماً بالتمام والكمال كان التوزيع يزيد على ثلاثة أرباع مليون نسخة يومياً، صعدت بـ «الأهرام» لتكون واحدة من الصحف العشر الكبرى في العالم، فحققت المعجزة التي عجز غيرك عن تحقيقها.

خمسة وعشرون عاماً جرت خلالها مياه كثيرة في النهر، انطفأت شموع، وتبدلت مواقف، ذهب كثيرون، وجاء كثيرون، سعوا إلى

تشويهك بكل ما يمتلكون، أخضعوك للتحقيق أمام المدعى الاشتراكى فى يونيو ٧٨، ثم اعتقلوك فى سبتمبر ١٩٨١، لكن ذلك لم يزدك إلا قوة، فالخلاف من جانبك خلاف فى الموقف، لهذا بقيت على موقفك ثابتاً دون تراجع أو إنكسار.

لم يكن بك خوف على الحقيقة، لأنك كنت تدرك أن الشمس سوف تشرق فى يوم من الأيام، وأن حركات التغيير الإنسانى كلها لم تتأكد إلا بمحاولة نفيها.. كنت أمام لحظة انحسار تاريخى لابد لها أن تأخذ مداها، لكن مرحلة الانحسار لاتزال مستمرة رغم مضى وقت طويل من الزمن..

أعرف أنك متفائل دائماً، لكننى أشعر بنوع من المرارة، فى كل ما تقول وخلال الآونة الأخيرة، فالأزمة عاتية، والمؤامرة متعددة الأطراف، ونحن سلمنا كل الأوراق ليد أمريكا، تعبث فى جسدنا العربى، تمزق أوصاله، تحاصرنا وتمنع عنا الدواء، وتبقى مع ذلك هى السيد والحكم وصانع القرار..

لم تكن فى يوم ما مغالياً فى كلماتك.. كنت ومازلت موضوعياً، صادقاً، يلهث وراءك الغرب قبل الآخرين، مقالاتك تنشرها مئات الصحف، قنوات التليفزيون العربية والدولية تطاردك فى كل مكان أما هنا فى وطنك فأنت ممنوع حتى من اللقاء بجمهورك الذى ينتظرك سنوياً فى معرض الكتاب.

من يصدق أن حرية مصر تسمح للسفير الأمريكى بأن يدخل إلى أرض المعرض، ولا تسمح حتى بمناقشة كتاب للأستاذ محمد حسنين هيكل!!

إنهم يعرفون أن وجود السفير مرفوض من الأساس، وقد رأوا كيف تظاهر الجمهور ضده، ومع ذلك وجهوا له الدعوة. أما هيكل الذى ينتظره الناس بفارغ الصبر فيجب أن يظل محاصراً لسنوات أخرى قادمة. ندرك أنكم تخافون كلماته، ونفهم عمق تأثيره فى الناس، لكنكم بهذا التصرف تشوهون وجه الحرية، وتؤكدون أنها حرية المنع والمنح، وثقوا بأن حصار الأستاذ نحن الخاسرون من ورائه.

إننا ونحن على أبواب الولاية الرابعة للرئيس حسنى مبارك فى حاجة إلى إعادة صياغة مواقفنا من جديد بحيث تأتى متواكبة مع أمانى الناس فى الحرية والتحرر. إن سياسة الحصار المفروض حول بعض الرموز الفكرية والقوى السياسية يجب أن تتوقف، يجب أن ندخل إلى القرن الجديد بمفاهيم مختلفة، ورؤى تزيل عنا الكآبة والإحباط، وتجعلنا طرفاً مهماً فى صنع القرار..

إن أحداً لا يستطيع أن يصمت أمام احتكار فئة معينة للحياة السياسية والفكرية والسيطرة على وسائل الإعلام فى البلاد، نحن فى حاجة إلى عهد جديد تفتح فيه النوافذ والأبواب حتى نشعر بالأمل فى التغيير السلمى، ومناقشة كل قضايانا فى الهواء الطلق.

إن الشعوب المتخلفة طرقت أبواب الحرية، وتذوقت طعمها، ونحن شعب السبعة آلاف عام حضارة مازلنا نحبو فى الطريق، وكأننا شعب غير مؤهل للممارسة واتخاذ القرار.

إن الحديث عن الأستاذ هيكل يدفعنا إلى أن نطلب من الرئيس مبارك أن يتعهد فى أولوياته للولاية الرابعة بمزيد من الحرية لكل

الشعب، فالحرية هى الضمان لنهضة المجتمع، وهى العاصم له من الأخطاء.

العدد ١٠٣

١/٢/١٩٩٩م

كلمـــــات

- قال ويليام كوهين وزير الدفاع الأمريكى: إن بلاده تسعى إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات، وإنه لا يستبعد توجيه ضربة جديدة إلى العراق، ما رأى حزب الردح؟ ألا يدرك أنه يمهد بذلك الطريق أمام الأمريكان لتنفيذ مخططهم الإجرامى؟!
- كل الآراء تجمع على أن الضربة بعد عيد الفطر.. آخرالأنباء تؤكد أن الضربات ستبدأ فى الجنوب هذه المرة، تمهيداً لفتح الطريق أمام دخول حشود من المرتزقة إلى الجنوب، تمهيداً لإقامة دولة شيعية، ويبدو أن الأخوة فى إيران لن يعترضوا على ذلك!!
- تركيا طلبت إمدادها بصواريخ باتريوت.. هل عرفتم السبب؟.. إنها تعلم أن المخطط يستهدف الاستيلاء على الشمال العراقى، وإقامة دولة كردية انفصالية بموافقتها، ومن ثم محاصرة بغداد من الشمال والجنوب، ولأنها تتوقع اشتعال معارك الصواريخ فهى تطلب الباتريوت تحسباً!
- الرئيس مبارك قال: إن مصر تعارض أى انتهاك لسيادة العراق وشئونه الداخلية، ويطالب برفع المعاناة عن الشعب العراقى. أما

بعض كتابنا الأشاوس فى الصحف القومية فيطالبون باستمرار العقوبات، وضرورة إسقاط نظام صدام حسين.. باسم من يتحدث هؤلاء؟ وهل هم حقاً يترجمون مواقف الرئيس ترجمة صحيحة؟!

- عارضت دول مجلس التعاون الخليجى مشاركة العراق فى اجتماعات مؤتمر وزراء الخارجية العرب، أو القمة العربية فى حال إنعقادها.. هل عرف الإخوة العراقيون الآن أن مصر بريئة من تأجيل عقد القمة؟.. وهل عرف كل من تطاولوا على مصر أنه لا سند حقيقيا لهم إلا مصر؟

- أريد أن أحيى هنا مجدداً مواقف وزير الخارجية عمرو موسى، وأدرك تماماً أنه قادر على أن يتحدث بلسان كل مصرى.. كما أن الأزمة الأخيرة التى شهدتها العلاقة المصرية ـ العراقية أكدت أن الدبلوماسية المصرية تضع المصلحة القومية فوق كل اعتبار.

- ضغط الدم يرتفع لدى كلما قرأت مقالاً لعبد العظيم رمضان، لذلك قررت الامتناع، وأظن أنه وحده الذى يقرأ مقالاته.. السؤال متى تتوقف صحيفة «الأهرام» عن نشر هذا الغثاء الذى يسىء إليها وإلى تاريخها؟

- لطفى الخولى، عبد المنعم سعيد، صلاح بسيونى زاروا «إسرائيل» والتقوا ببعض قادتها خلال الأيام الماضية ألا يخجلون؟!

- عبد الرحمن الأبنودى سافر إلى الولايات المتحدة لإجراء عملية جراحية، كل قلوب المصريين والعرب معه، كان عبد الرحمن شجاعاً وسوف يعود إلينا معافى إن شاء الله، كل عام وأنت بخير يا صديقى العزيز..

● كان الله فى عون د. سمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب من مؤامرات هذا الخبيث الاستراتيجي الذى راح يسعى لدى المسئولين ويقدم نفسه على أنه الأصلح لرئاسة هيئة الكتاب.. حقا أنه زمن الأقزام.

إذا لم تستح فافعل ما شئت، واتق شر من أحسنت إليه.

● المذيع اللامع طارق علام يكفيك دعاء الغلابة، وما تقوم به ياصديقى لك أن تفخر به، وأن نفخر به جميعاً.

أسامة أنور عكاشة.. بعض الذين يتطاولون عليك هم الحاقدون الذين تشتعل قلوبهم بالغيرة مع كل عمل درامى رائع يلتف الناس حوله.. رائعتك التليفزيونية هذا العام وسام على صدرك وصدر التليفزيون المصرى.

● سامح عاشور.. اجماع المحامين حولك هو تأكيد للقيم النبيلة، والمشاعر الأصيلة، وحفل الإفطار الذى حضره أكثر من ألفى محام جاءوا يطلبون منك ترشيح نفسك لموقع نقيب المحامين هو تعبير عن رأى كل الفعاليات السياسية والمهنية فى مصر.. فقد أثبت أنك بار بهذا الوطن ومدافع أصيل عن قضاياه.

● راغب علامة ظهر فى البرنامج سيىء الصيت «سر التفوق» وهو يضع العلم الأمريكى فوق رأسه، هل يستحق هذا المطرب أى تعاطف من الشعب العربى بعد ذلك؟.. قاطعوا أشرطته وأغنياته، فأمثال هؤلاء ليسوا منا.

● احتفلت القوات المسلحة بيوم الإعلام العسكرى. تحية إلى المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع، وتحية إلى الرجل الذى يعمل في صمت، ويرفض الضجيج اللواء سمير فرج مدير الإدارة العامة للشئون المعنوية، الذى طور الأداء الإعلامى العسكرى بطريقة تستحق التقدير والإشادة.

● يوم الجمعة الماضى وافق ذكرى ميلاد القائد الزعيم جمال عبد الناصر.. تحية إليه فى ذكرى الميلاد، وذكرى الثورة، وذكرى الرحيل.. عبد الناصر لايزال يعيش فى دمائنا، وكلماته ومواقفه ستبقى خالدة فى عقولنا.

وعبد الناصر ليس حكراً على أحد، بل هو ملك للجميع، أما الذين يتاجرون باسمه فهؤلاء هم أول من يسىء إليه، لأنهم يقدمون صورة مشوهة غريبة عن أذهان الناس.

● سألت نفسي: ماذا بعد مبارك؟.. تأملت الوجوه والأفعال والمواقف، وقلت ربنا يعطيك الصحة ياريس، الخلاف معك أرحم بكثير من الخلاف مع الأقزام الذين نسمع منهم شعارات جوفاء ونرى مواقفهم المتناقضة وفسادهم الذى استشرى، فندعو لك بدوام الصحة والعافية وأن يحفظك الله من كل سوء.

العدد ١٠١

١٨/١/١٩٩٩م

نـداء من الـقلـب

أكـتب، وما قيمـة الكتـابة، لكننى مضطر أن أكتب، أريد أن أفـرغ شـحنة تؤلمنى، تكاد تمسك بروحى، تـخنقنى، تقـهر ذاتى، تشـعرنى بالمهانة، والمذلة، تعتـصر رجولتى لتحيلها إلى جسد بلا روح، تغمس رأسى فـى الوحل الأمـريكى القـذر، أشـتم هواء نتناً رغـم أنفـى، وفى الصباح أقرأ كلاماً هو الإفك بعينه.

فى الزمن الجميل الذى مضى علمونا أننا أمـة واحـدة، جسد واحـد، إذا اشتكى له عضو تداعـى له بقية الأعـضاء بالسهر والحمى.. الآن يا سادة يكاد يبتر منا عضو أصيل فى جسد يعانى المرض والهزال.. الآن افـتونا بحق الدين والوطن عن رأيكم فى أطفـال يموتون فى اليـوم ألف مرة، وجسد تمزق أوصاله إرباً، وشعب يقصـف فى رمضان ويسقط منه الآلاف.

سألت نفسى كـثيراً سـألت الآخرين هل منكم من يشك فى عـروبة العراق؟ هل هؤلاء الذين يموتون أشقاء أم أعداء؟.. قولوا لى بحق الله.. الناس قالت كلمتها ، الدماء تغلى فى العروق، صرخاتنا المكتومة تكاد تفتك بالجسد وتذهب بالعقل..

يأيها العرب.. يا خير أمة.. نحن الآن نقف طابوراً طويلاً أمام المقصلة، أراكم منكسى الرؤوس منصاعين إلى حيث يجب ألا ننصاع، راضين بقدر الموت على الشريعة الأمريكية، كأنكم حيارى وما أنتم بحيارى.. هل منكم عاقل رشيد يجيبنى على سؤال لا يجد الاجابة ؟!

فى زمن الردة، زمن الدولار والعهر، زمن كلينتون ومونيكا لوينسكى، زمن الخزائن المفتوحة، والضحك على الذقون، أجد قلبى موجوعاً، أشعر كأننى لست بأنا، أريد أن أخوض ألف حرب وحرب، أدرك أن السهام قد تمزق أوصالى، وأن الجراح قد تقصف عمرى، فأعود القهقرى من جديد، أكتب بحساب يؤلمنى، أكاد أتنفس بصعوبة بالغة.

أدرب نفسى، لكنها تأبى، تستصرخنى من الداخل، تماسك، كن قوياً ولا تسقط، أشقاؤك هناك يموتون، أطفال العرب، يزنى فيهم هذا العاهر كلينتون، ماجدات العراق يبحثن عن لقمة خبز، وسط أكوام الصواريخ المكدسة فى شوارعنا، وحقولنا، وبداخل منشآتنا المهدمة..

من هنا، من قاهرة العرب، أشتم رائحة الدماء الزكية، هاتف يصرخ فى أذنى هل تدرك معنى أن الدم يسيل فى بغداد؟.. لسانى يتلعثم، لكن قلبى ينطق، يقتلعه الصوت الحزين البائس ويذهب به إلى هناك إلى النجف، وكربلاء، إلى عاصمة أراد المغول قهرها منذ مئات السنين، إلى بابل حيث الحضارة والتاريخ..

يا قلبى يا مشتاق، اقفز على الأسوار، لا تصدق الكذابين، امض إلى هناك، إلى حيث الجثث التى تبحث عن مدافن، إلى مليون ونصف مليون شهيد قتلناهم بأيدينا، إلى جباه ظلت تتحدى الطواغيت، والآن يطلب منها أن تمتص رحيق النجاسة الأمريكية..

لا أدرى كلما سمعت أزيز الطائرات، يخفق قلبى وينعقد لسانى، كأننى انتظر ضربة غادرة أو صاروخا موجهاً بالكمبيوتر إلى بيوتنا الفقيرة فى صعيد مصر، أتلو الشهادة بسرعة البرق، وانتظر الموت بعد أن أصبح عادة يومية يمارسها سادة النظام الهبابى الجديد.

ولماذا يموت العراق؟.. ولماذا يطنطن البعض لموته؟ لماذا نرتهن أرضنا العربية وثرواتنا الطبيعية؟ لماذا نحول بلادنا إلى قاعدة تنطلق منها الطائرات وصواريخ الموت؟ نحن ندرك الحقيقة كاملة، لكن الحقد يعمى أبصارنا، ليتنا نحقد على إسرائيل بمقدار عشر حقدنا على العراق.

قولوا بالله عليكم من هى إسرائيل؟ ومن هى العراق؟.. إسرائيل يا سادة تعربد فى أرضنا منذ عام ١٩٤٨، قتلت خيرة شبابنا، ذبحت أطفالنا، هدمت البيوت على رؤوسنا، قتلت المصلين فى مساجدنا، عبثت بالأقصى، هددت أمننا، وخربت بيوتنا..

لماذا لا تأخذكم النخوة وتعلنونها حرباً؟ «بلاش الحرب»، لماذا لا تدينون وتصرخون وتطالبون وتقاطعون؟.. وكيف تفعلون ذلك وأمريكا دخلت إلى بيوتكم، وتملكت أموركم، واستولت على خيراتكم بإرادتكم وعن طيب خاطر منكم؟!

أمريكا ياعينى تضرب شعب العراق وتقول إنها متعاطفة معه، لكنها تفرق بين الشعب وصدام، نسأل وكيف نمد أيدينا إلى الشعب؟ وهنا تأتى الإجابة: لن يرفع الحصار إلا بعد سقوط صدام.. ولكن كيف يسقط صدام؟.. والاجابة يجب أن يسقطه الشعب وإن لم ينجح فإذن الشعب يستحق العقاب..

والعـقـاب هنا مـوت بالجـوع والحـصـار وأيضـاً مـوت بـ «الكروز» والدمار، وفى النهاية الموت واحد.. إذن نحن ندفع العراق إلى اليأس، وحذار من اليائس الذى يشعر بأنه لم يعد أمامه سوى خيار الموت كخيار واحد ووحيد.

بعد الدمار الأخير والصواريخ التى تحمل إهانات موجهة ضد الإسلام، خرج الناس فى الشوارع، هؤلاء الناس قال عنهم المؤرخ إياه إنهم مأجورون يقبضون من صدام حسين، خرجوا ليعلنوا التضامن مع الشعب الذى يعانى، لم يرفعوا صور صدام أو يهتفوا بأسمه.. القضية يا سادة أكبر من صدام، وأكبر من كل الحكام.. القضية شعب يموت وحضارة تدمر ومذلة تسود.

أرجوكم لا تحولوا القضية وتحصروها فى شخص صدام، لا تفتحوا الطريق أمام الأمريكان، ولا تشجعوهم على الاستمرار فى غيهم، فالخاسر ليس العراق وحده، الخاسر هو الأمة ومصر فى المقدمة.

منذ أن ورطنا صدام فى غزو الكويت ونحن نعانى، ربما نعانى أكثر مما يعانى، لكن ما العمل؟ قولوا لى ما العمل؟.. هل نقتل شعباً بأسره؟ ولماذا تبدو إيران التى دفعت مليون قتيل أكثر عروبة منا وأكثر شفقة على شعب العراق من أهله؟.. لماذا نست إيران ولم ينس البعض منا؟..

صدقونى القضية ليست تأديب صدام، بل تأديب الأمة من المحيط إلى الخليج.. هل تتذكرون يوم أن حذر مبارك صدام.. قال له فى هذا الوقت إن أحداً فينا لن يستطيع أن يرفع رأسه.

نعم لقد جاء اليوم وبأسرع مما نتوقع، ولكن إلى متى ستبقى رؤوسنا منكسة، وآذاننا لا تسمع إلا كل ما هو أمريكي؟.. أليس لهذا النفق المظلم من نهاية؟.. وهل من المروءة أن نترك شعباً عربياً يموت؟ وهل هناك حجة يمكن أن تقنعنا بأن قتل شعب شقيق هو خير وسيلة لردع صدام؟.

إنها حجة بالية، وكلمات كاذبة، وسعي دءوب للبحث عن مخرج لهؤلاء الذين حاصرتهم الجماهير في كل مكان.. والضحية هنا أمة بأسرها. الكلمات تحوى سماً فى العسل، كل حرف يحفر قبراً لطفل عربى جديد، كل كلمة تقصم ظهرنا، كل جملة تفتت صفوفنا، ملعونة كل الكلمات وكل الدينارات، ملعونة تلك التعليمات التى تصدر من واشنطن فتلوث عقولنا وتسمم أبداننا وترغمنا على ارتكاب المحرمات فى كل أشهر العام.

بعض الذين عاتبونى على مقال «الأسبوع» بالعدد الماضى ذهلوا عندما حكيت لهم مضمون الكاريكاتيرات التى تنشرها جريدة «بابل» التى يشرف عليه عدى صدام حسين، لماذا كل ذلك؟ وهل يتصور البعض أننا سنصمت عندما يشتم رئيس مصر؟ قد نختلف على أرض الوطن، لكننا يجب ألا ننسى أن مبارك هو رمز لهذا الوطن، و أن السكوت عن البذاءات الموجهة إليه معناه أننا نؤيد ذلك أو نخجل من الدفاع.

إننى لا أقر أبدا بمبدأ الحرب الكلامية المشتعلة هنا وهناك، لأن ذلك استنزاف لجهد يجب أن يوجه لتعميق الوعى القومى والبحث عن حل لأزماتنا المتفاقمة، لكننى وقد تابعت الكاريكاتير الذى نشر مجددا خلال الأيام الماضية أعود وإسأل: هل هذا هو جزاء الرئيس على مواقفه؟ وهل هذا هو رد الجميل للشعب العربى المصرى؟..

لقد كان الرئيس مبارك كبيراً فى موقفه من تلك الأزمة، بالضبط كما عودنا دائما، كان بإمكانه أن يغلق الملف وأن ينفض يده، لكنه وبحسه القومى يدرك أن معاناة العراق تؤلم كل عربى، وأن أزمته الطاحنة تؤرق كل المهمومين بالأمن القومى العربى..

إن مبارك لايعرف التآمر على أحد، وما يقوله فى العلن هو بالضبط ما يفعله فى الخفاء، ولكن يبدو أن البعض اختلط عليه الأمر وراح يخلط الأوراق وينتشر شائعات كاذبة ويوجه إلى مصر قنابل كلامية بذيئة فتشتعل الحرب هنا وهناك..

إننى أجد نفسى هنا منحازاً إلى الحقيقة، والحقيقة فحسب، كما أننى لا أخجل من الدفاع عن رئيس وطنى أمام نباءات تنشر فى صحيفة «بابل» تصيبنا بالتقزز والحسرة، وأشهد أنه رغم اعتراضى الشديد على ما تنشره بعض صحفنا إلا أن أحد منها لم يصل إلى ١ ٪ من وقاحة ما تنشره الصحيفة العراقية ضد الرئيس..

لكل ذلك أقول: إن تعامل الرئيس مبارك الموضوعى مع الأزمة يعلى من شأنه لدينا، ويزيد من رصيده لدى الشارع العربى، وهو ما يشجعنى على أن أتوجه إليه بنداء يطالبه بالتدخل لإغلاق هذا الملف المتفجر..

لقد تعودنا منك يا سيادة الرئيس السمو والقفز على الجراح، حدث ذلك مع السودان وغيره، ولكل ذلك نناشدك أن تبقى على موقفك الداعم للعراق، القضية بالنسبة لنا ليست صدام حسين، لكنه العراق الأبى، العراق الشعب والحضارة والتاريخ.. العراق الذى يجب ألا نتركه فريسة لأعداء الأمة.

هذه القضية فى عنقك يا سيادة الرئيس.. ونحن ندرك أنك أهل لها.. الحرب الكلامية مصيرها إلى زوال ووقاحات البعض سوف نلقى بها فى مزبلة التاريخ، لكن الباقى هو علاقة أبدية وقيادة طبيعية لهذه الأمة..

نعم ما يربطنا بالعراق أكبر من كل الخلافات، وأقوى من كل المؤامرات، لذلك نأمل تدخلك، ومواقفك حتى لا يستباح العراق من جديد..

إن صوتك العاقل فى هذه الأمة، كفيل بمنح العراق الأمل فى غد ينهى فيه الحصار، لكل ذلك نطلب تدخلك لإنهاء الأزمة وعقد القمة لأن الصورة التى نراها فى العراق الآن هى صورة اليائس الذى يريد أن يهدم المعبد على رأسه وعلى رؤوس الآخرين مادام ظهره للحائط ولا يشتم سوى رائحة الموت.

إن تمزيق العراق واسقاطه من الخارطة العربية هى هدف صهيونى - أمريكى سوف تدفع الأمة العربية كله ثمنه، لذلك نرجوك وبحق وطنيتك وقوميتك وعروبتك أن تتدخل، فتدخلك هو وحده الكفيل بردع المارقين والمعتدين.

العدد ١٠٠

١٩٩٩/١/١١م

وقاحة

يافرحة أمريكا وعملائها فى المنطقة، إنهم لايريدون أكثر من ذلك، وأظنهم الآن فى غاية السعادة والانبساط، بعد أن وجد لهم السيد طارق عزيز، مخرجاً من الأزمة التى عاشوها خلال الأيام القليلة الماضية .. نعم كانت تصريحات طارق عزيز، وبعض ممن أصيبوا بمرض الغباء السياسي في العراق، هى بمثابة طوق النجاة لمن حاصرتهم لعنات الشعوب، وهددت مصالحهم الآنية والاستراتيجية فى الصميم، خاصة بعد أن عرف العالم بأسره، والشعب العربى فى المقدمة أن أمريكا تصر على عقاب الشعب العراقى، وإعادته قروناً إلى الخلف.

خرجت الجماهير العربية في كل مكان، تعلن التحدى، وتمد أيديها للأشقاء، ترفض الإذلال والهوان، تهتف باسم بغداد العروبة، وتعلن الحرب على الأعداء وتطالب بالثأر..

وفى مصر العربية، خرج طلاب جامعة القاهرة من مدينتهم الجامعية إلى الشارع بعد دقائق معدودة من سماعهم نبأ العدوان الأمريكى - البريطانى على العراق .. لم يجد الطلاب وقتاً لارتداء

ملابسهم، خرج الكثيرون منهم بالبيجامات، لم ينتظروا تعليمات من أحد، ولم يمنعهم البرد القارس من الخروج دفاعاً عن عراقنا العربى.

وتوالت المظاهرات والمؤتمرات والتجمعات، تهتف فى صوت واحد تلعن الواقع العربى الردئ، وتطالب بحشد كل الإمكانات لمواجهة الخطر، وتعلن رفضها الحصار الظالم على شعبنا العربى الشقيق.

وقد نختلف حول طبيعة الرد المصرى الرسمى والدور المطلوب من مصر كقيادة للأمة وطليعة لها، إلا أن أحداً لايستطيع أن يقول إن مصر كانت راضية عن العدوان، أو أنها صمتت كما صمت آخرون، بل أدانت العدوان عبر أكثر من مؤسسة وعبر أكثر من مسئول، كما أنها لم تتردد فى إذاعة أنباء المظاهرات والمؤتمرات الشعبية، فى إشارة إلى تعاطف واضح ومعلن مع أشكال الرفض الشعبى للعدوان الغادر على العراق..

ولم تتردد العديد من المؤسسات الرسمية فى إبداء قلقها من استمرار الحصار المفروض على العراق، ورأت أن ماجرى يكشف أبعاد المؤامرة، ويوجب على المجتمع الدولى، إعادة النظر فى موقفه من استمرار هذا الحصار الظالم لأكثر من ثمانى سنوات.

وشهدت الساحة السياسية المصرية، موقفاً رسمياً واضحاً على لسان وزير الخارجية المصرى عمرو موسى ينتقد فيه دور ريتشارد بتلر رئيس لجنة التفتيش على أسلحة الدمار الشامل، حتى وصل الأمر بوزير الخارجية إلى المطالبة بتغييره بعد أن ثبت أنه عميل ومغرض..

وقبيل العدوان الغادر بساعات قليلة، جاء إلى القاهرة وزير الخارجية الأردنى فى زيارة سرية وغير معلنة، والتقى بالرئيس مبارك وعدد من

كبار المسئولين المصريين وأبلغهم نبأ الضربة العسكرية المتوقع حدوثها ضد العراق، بعد أن أبلغت واشنطن الأردن بالموعد المحدد.

يومها سعت مصر بكل ماتملك من أجل وقف العدوان المتوقع، ووصلت الرسالة إلى بغداد، مما دفع الرئيس العراقى وأركان حكومته للنزول إلى الملاجئ قبيل بدء العدوان بساعة واحدة، وكانت مصر هنا منحازة إلى العراق ورافضة العدوان.

وصدر بيان من رئاسة الجمهورية يطالب كافة الأطراف بالاحتكام إلى الحل السياسى وإبعاد شبح الحرب عن المنطقة، وكانت مصر تعلن بذلك لأمريكا وبريطانيا والعالم أجمع عدم موافقتها على توجيه أى ضربات عسكرية إلى العراق.

ومع بدء العدوان بدأت مصر تكثف من اتصالاتها وضغوطها من أجل وقف العدوان.. ولعب الرئيس مبارك شخصياً، دوراً مهماً على صعيد الاتصالات مع الدول الكبرى الأعضاء فى مجلس الأمن، خاصة روسيا وفرنسا والصين، للمساعدة فى الجهود التى تبذلها مصر من أجل وقف العدوان الهمجى وغير المبرر على العراق..

وشهدت الساحة الصحفية المصرية، ربما للمرة الأولى منذ غزو العراق للكويت، وحدة فى الموقف السياسى تجاه مايجرى ضد العراق، وأكد الجميع رفضهم أهداف السياسة الأمريكية، بل وطالبت أقلام بالصحف القومية بسرعة إعادة العراق إلى القمة العربية ورفع الحصار الظالم المفروض عليه.

إن من يقرأ انتقادات الصحف الكويتية للمواقف المصرية، والحملة التى شنت ضد شيخ الأزهر، يدرك عن يقين أن مصر لم تكن فى الخندق المعادى للعراق، كما أن الرئيس مبارك كان جاداً فى التحذيرات التى أبلغها للرئيس الأمريكى بضرورة وقف العدوان..

وليس سراً أن واشنطن أبدت امتعاضها من الموقف المصرى، الذى تعتبره حجر الزاوية فى كل معضلات المنطقة، وسعت بكل ماتملك من أجل إصدار بيان مصرى يحمل الرئيس العراقى مسئولية ماحدث..

كان بإمكان الرئيس مبارك أن يفعلها، لكنه رفض لأنه يدرك عن يقين أن ذلك ليس هو الحقيقة، وأن واشنطن تستفز مشاعر الجميع، وأنها تمارس البلطجة بعيداً عن الشرعية الدولية وفى غيبة منها.

وقبل ذلك كان موقف القاهرة واضحاً من الحصار، إذ طالب الرئيس مبارك برفع المعاناة عن الشعب العراقى أكثر من مرة، بل وأرسل عدداً من كبار المسئولين إلى بغداد لبحث سبل إمداد العراق بالدواء والغذاء، فسافر إلى هناك وزير الصحة، ثم وزير التموين وقدم إلى القاهرة عدد من كبار المسئولين العراقيين ووقعوا اتفاقات للتبادل التجارى والسلعى وغيرها من الاتفاقات، وكانت الأمور تمضى باتجاه إعلان إعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين.

ورفض الرئيس مبارك أكثر من مرة مسألة تغيير نظام الحكم بالقوة فى العراق، وطالب أمريكا والغرب بعدم التدخل فى الشئون الداخلية، وأرجع الأمر إلى الشعب العراقى، ورفض استضافة أى من مؤتمرات المعارضة العراقية التى تهدف إلى إسقاط نظام الرئيس صدام حسين.

كان هذا هو موقف مصر المبدئى، وكنا دائماً نقول إن هذا الموقف لايرضى كل طموحاتنا، ولايعكس كل مطالبنا، وكنا ندرك عن يقين أن الرئيس مبارك يود هو قبل الآخرين أن ينتهى هذا الحصار الجائر، وأن يعود العراق إلى الساحة العربية حتى فى ظل قيادة الرئيس صدام حسين.

وقد خرجت من بغداد إشادات متعددة بمواقف الرئيس، وتبادل مبارك وصدام الرسائل فى كل الأزمات، وشهدنا تنسيقاً مصرياً عراقياً حتى وإن كان غير معلن فى مواجهة كافة الأزمات.

وفجأة عدنا إلى النقطة صفر من جديد.

نعم عاد بنا السيد طارق عزيز، وبعض أركان الحكم العراقى إلى حيث يريد الأمريكان. حرباً مشتعلة، وإجهاضاً للنتائج الإيجابية الشعبية والرسمية التى تحققت بفعل العدوان الأخير ورداً عليه.

كانت البداية هى هذا الحديث الذى أدلى به الرئيس مبارك إلى سمير رجب رئيس تحرير جريدة الجمهورية والذى أكد فيه أن الرسالة التى بعث بها إلى الرئيس كلينتون كان لها دور كبير فى وقف العدوان على العراق.

ياسيدى العزيز أنت مخطئ فى ذلك من الألف إلى الياء، لأن الشارع المصرى بمختلف قواه السياسية والاجتماعية يرفض هذا الفصل الجائر وغير المنصف، ويرى أن تدخلكم السافر فى هذا الشأن يمنح الآخرين مشروعية فى القول بأنكم لاتعبرون عن الشعب العراقى، ويعطيهم الحق فى المطالبة بإسقاطكم من الحكم..

إننى لست كاتباً حكومياً، كما أن موقفى مع الشعب العراقى الشقيق لا يقبل المزايدة من أحد، ومع ذلك أقول لكم إن أحداً فى مصر لايقبل بهذه اللغة الوضيعة في الخطاب السياسى مع رئيس مصر، والذى نقف خلفه صفاً واحداً مهما تكن الخلافات، أو التباين فى وجهات النظر.

إننى أنأى بنفسى هنا عن استخدام قاموس الشتائم للرد على البذاءات التى نشرتها صحيفة نجل الرئيس العراقى، ضد الرئيس مبارك، لكننى أقول لك وبإخلاص حقيقى. لقد خسرتم كثيراً وأثبتم مجدداً أنكم لم تعوا الدرس، ولم تتصرفوا بعقلانية تفرضها عليكم طبيعة الظروف ويفرضها عليكم انتماؤكم القومى وإدراككم أهمية دور مصر ودور الرئيس مبارك..

إننى أدرك عن يقين أن الحرب الكلامية التى تشن هنا وهناك لن تنال من علاقة الشعبين الشقيقين، خاصة أننا نفصل تماما بين مواقفكم تلك ومشاعر الشعب العراقى تجاه مصر، هذه المشاعر التى صفق لها العراقيون كثيراً، والتى ندرك أنهم يشعرون بأنها مشاعر صادقة سواء كانت على المستوى الرسمى أو الشعبى.

نعم لقد نجحت يأستاذ طارق أنت ونجل الرئيس العراقي فى دفع الكثيرين إلى اعتبار قضية الحرب الكلامية معكم لها الأولوية فى الحديث عن معاناة الشعب العراقى الصامد، وعن توقعات العدوان الذى لاأشك فى أنه قادم وهذا هو عين المنى لأمريكا وحلفائها..

إننى أريد أن أقول لك إن رهانك على الفصل بين الشعب والسلطة فى مصر، رهان خاسر، لأن الشعب المصرى أدرى بقائده من أى منكم.

قد نختلف معاً، قد يعلو صوتنا وصرخاتنا، ولكن ثق بأن أحداً منا لن يسمح بالتطاول على رمز الوطن من أى كائن كان.. بل إن الصمت فى هذه الحالة يرقى إلى درجة الخيانة، خاصة أننا ندرك حقيقة الموقف وأبعاده..

وأعلم ياسيدى أن هذه المواقف الرعناء لن تجعلنا ندير ظهرنا للشعب العراقى الشقيق، بل سنقف معه فى الخندق فى مواجهة كل أعدائه الذين تآمروا عليه، وعلى أمنه، لأننا لن نأخذ الشعب بجريرة من ورطوة وورطونا فى أزمة فتحت الطريق أمام الأمريكان والصهاينة لأستعبادنا وفرض المذلة علينا..

إن الأمة كلها تدفع فاتورة جريمة غزو الكويت، لذا نرجوكم «أن تتفطونا بسكاتكم»، حتى نبحث عن حل يعيد للأمة عافيتها ووحدة موقفها، لنتمكن من التصدى للخطر الذى يحيط بنا جميعاً.

إن المطلوب هو وقف الحملات الإعلامية فوراً، والتفرغ للحديث فى بحث وقف العدوان وحصار الجوع الذى قتل حتى الآن أكثر من مليون ونصف مليون عراقى.

أما إذا كنت ترى أنت وغيرك أن الحرب ضد مصر ورمزها هى أم المعارك الجديدة، فنحن نقول لك إنها أيضاً معركة خاسرة تضاف إلى سجل الهزائم التى منيت بها الأمة من وراء مواقفكم.

صحيح أن الرئيس انتقد مواقف الرئيس العراقى وهذا أمر ليس بجديد فقد سبق أن أعلنه الرئيس أكثر من مرة، إلا أن مبارك أبدى تعاطفه الشديد مع الأشقاء العراقيين ومع معاناتهم، وتحدث عن أسباب

تأجيل اجتماع وزراء الخارجية العرب إلى الرابع والعشرين من شهر يناير الحالى..

وإذا كنا نختلف مع كل الدعاوى التى طالبت بتأجيل القمة إلا أن أحداً لايستطيع أن يحمل مصر مسئولية التأجيل، لأن التأجيل جاء بقرار سعودى شاركت فيه بعض الدول الأخرى، وأبلغه الأمير سعود الفيصل فى زيارته غير المعلنة إلى القاهرة، وخلال لقاء له مع الرئيس مبارك.

كانت مصر واليمن والإمارات هى التى تقود التحرك نحو عقد القمة، وأظن أن ذلك كلام معلن ومعروف، لكن السيد طارق عزيز راح يحمل مصر مسئولية تأجيل الاجتماع، وراح يسخر من مواقف الرئيس فى صورة تستفز المشاعر الوطنية لأى مصرى مهما يكن حجم تعاطفه مع العراق الشقيق..

لقد كنت أتوقع ـ كما توقع كثيرون غيرى ـ أن يكون أهل الحكم فى العراق قد استوعبوا دروس الماضى، وأدركوا أن أمريكا تراهن على إفساد العلاقة المصرية ـ العراقية التى بدأت تنمو وتعود إلى سابق عهدها، إلا أن السيد طارق عزيز وأمثاله أبوا إلا أن يقدموا جثة هذه العلاقات على طبق من ذهب إلى سادة البيت الأسود وتابعيهم، فمكنوا بذلك الثعابين السامة من أن تخرج من جحورها وتحدث التخريب فى ملف العلاقات، ليفسحوا بذلك المجال أمام الأمريكان وتابعيهم لإعادة ضرب العراق من جديد.

ومساء أمس الأول بثت وكالة الأنباء الفرنسية برقية من بغداد ترصد فيها هذه الاساءات البالغة التى وجهتها صحيفة بابل التى يملكها ويدير شئونها عدى نجل الرئيس صدام حسين إلى الرئيس مبارك، وهى

إساءات لاأظن أن هناك مصرياً غيوراً على هذا الوطن يمكن أن يتفق معها، حتى لو كان هناك خلاف يصل إلى حد التناقض بينه وبين نظام الرئيس مبارك..

إننى هنا لاأريد أن أردد هذه الوقاحات التى تثير الغثيان، ولا أريد أن أعلم الناس بالكاركاتير القمئ الذى يسئ إلى رمز مصر، لأنه أمر يخرج عن كل القيم والأعراف، لكننى أجد نفسى هنا فى حالة غليان مستمر أمام نكران الجميل..

لو كانت لدى العراق حرية صحافة لقلنا إن ذلك يجرى من وراء ظهر الدولة، أو هو تعبير عن حرية الكاتب والصحيفة، لكننا ندرك جميعاً أن أحداً فى العراق لايستطيع أن يغنى خارج السرب، وأن كل كلمة تكتب فى صحيفة عراقية هى تعبير عن وجهة نظر النظام، فما بالك والأمر يصدر عبر صحيفة نجل الرئيس العراقى نفسه؟!

فى مصر ياسادة هناك من يهاجمون، وهناك من يدافعون، لذلك لايستطيع أحد أن يقول أن ماينشر فى صحافة مصر من تطاول أو دفاع هو تعبير عن رأى أهل الحكم أما فى العراق فنحن نأخذ مانشر على أنه وجهة نظر الحكومة العراقية.

وإذا كانت حكومة العراق تملأ الدنيا ضجيجاً أمام كل من يحاولون التفرقة بينها وبين الشعب العراقى، فكيف يعودون لممارسة ذات اللعبة مع مصر حين يحدثنا السيد طارق عزيز عن الفارق بين الشعب المصرى ورئيسه؟!

العدد ٩٩

١٩٩٩/١/٤م

فريسة جديدة

بعد العراق جاء الدور على ليبيا..

العاهر لاينتظر، لم تجف دماء العراقيين بعد، أطلق تصريحاً وجه فيه إنذاراً إلى ليبيا، المهلة فقط حتى فبراير القادم، ليس أمام القذافى سوى تسليم المواطنين المتهمين ظلماً وعدواناً.. المحاكمة تجرى وفقاً للقانون الاسكتلندى، ليس هناك أى ضمانات لمحاكمة عادلة، الحصار مستمر حتى إشعار آخر، وهكذا ليس أمام ليبيا سوى الخضوع والخنوع.

من الآن أستطيع أن أحكى لكم تفاصيل ماسيحدث خلال شهرين من تاريخه، ليست لدى معلومات، لكن لدى معرفة بطبيعة هؤلاء القتلة ومخططاتهم، إنهم ينفردون بنا الواحد تلو الآخر، وسوف يتوجون خطتهم بحصار مصر والسعى إلى تمزيقها وتركيعها..

مع نهاية فبراير المقبل سيجتمع مجلس الأمن لمراجعة العقوبات المفروضة على ليبيا، سوف تعلن واشنطن وخادمتها بريطانيا الصغرى أن الجماهيرية ترفض الاستجابة لقرارات الشرعية الدولية، وترفض

تسليم المواطنين الليبيين المتهمين فى حادث لوكيربى، وأنه ليس أمام المجلس إلا تشديد العقوبات من أجل إجبار القذافى على التسليم.

قد يوافق المجلس على الاقتراح الأمريكى - البريطانى كما هو أو قد يُحسن من بعض بنوده، ولكن فى كل الأحوال وكما تعودنا، فسوف تنجح أمريكا فى جر كافة أطراف مجلس الأمن بالتهديد، أو الترغيب إلى إتخاذ إجراءات معادية للجماهيرية الليبية.

بعدها مباشرة سوف تتوالى الإنذارات والتهديدات من قبل واشنطن ولندن إلى ليبيا، وهنا سوف يجد القذافى نفسه أمام المقصلة، قد يتحدى ويرفض وساعتها ستبدأ الغارات وتطلق الصواريخ من الأسطول السادس ويجرى تنفيذ مؤامرة هدفها تنصيب عميل أمريكى - صهيونى على رأس الحكم فى ليبيا، بعد أن ينجحوا فى هدم الجماهيرية على رؤوس أبنائها.

أما إذا سلم القذافى واستسلم للشروط فعليه أن ينتظر لعدة أشهر قليلة حتى تقرر المحكمة الدولية إدانتها للمواطنين الليبيين بغض النظر عن وجود أدلة تبرِّئ ساحتهما.. سيخرج علينا كلينتون أو بديله ليعلن أمام العالم أن المواطنين الليبيين اعترفا أن القذافى وقيادات الحكم وراء عملية التحريض، وأنه ليس أمامه هو ورجاله إلا أن يسلموا أنفسهم لهيئة المحكمة حتى تقرر مصيرهم فى ضوء الاتهامات المسندة إليهم..

هنا سيرفض القذافى هذا المطلب بالتأكيد، وساعتها لن يكون أمام أمريكا وبريطانيا إلا توجيه الضربات ضد ليبيا حتى تركع وتستجيب.

باختصار هذا هو السيناريو المتوقع للمؤامرة الجديدة التى أعد لها فى البيت الأسود والكنيست على السواء، وهى مؤامرة لاتستهدف ليبيا فحسب، بل تستهدف الأمة بأسرها ومصر فى المقدمة منها.

لاتقولوا لى إن المجتمع الدولى سوف يرفض أو أن الرأى العام العالمى قد يستهجن، إن أحداً لن يتحرك من هؤلاء إلا ببعض الخطب والبيانات الكاذبة، خاصة أن العدوان الأخير على العراق الشقيق أثبت أن الغرب كله على قلب رجل واحد، وأن عداء الجميع ضد أمتنا وشعبنا هو عداء مستحكم وأبدى.

إذن ماهو الحل؟.. كيف نواجه؟ وكيف نمنع العدوان؟!

إن كل عربى يدرك ويعرف أن القوة الذاتية العربية هى وحدها القادرة على وقف هذا الإذلال الذى يمارس ضد أمتنا صباح مساء. هى وحدها القادرة على تهديد المصالح الأمريكية والبريطانية فى المنطقة وإجبار القوتين الغاشمتين على مراجعة مواقفهما ألف مرة قبل توجيه صاروخ واحد إلى عاصمة عربية.

صحيح أن لدينا بعض الحكام الذين ارتهنوا إرادتهم على أعتاب البيت الأسود، وصحيح أن لدينا فئة من العملاء والخونة الذين لاهم لهم سوى تخريب العقول وإدخال اليأس إلى النفوس، إلا أن الشعب العربى كفيل بدحر كل من يفرط فى أمنه القومى لمصلحة أعداء الماضى والحاضر والمستقبل.

القضية الآن لم تعد قضية الحكام، بل هى قضيتنا نحن، أبناء هذه الأمة، نحن الذين يجب أن نتحرك دفاعاً عن المصير، وعن الكيان

المهدد بالفناء.. نحن المعنيون بالأساس، أما هؤلاء فلا تعنيهم الأمة أو الشعوب فى شىء خاصة أن بعضهم مصر على التورط وفتح أجواء وأراضى بلاده للأعداء لقتل شعب عربى شقيق، وحصاره لأكثر من ثمانى سنوات.

إن هذه الأمة تمتلك إمكانات هائلة على التصدى والصمود إذا ماوحدت إرادتها وجمعت قوتها وحققت وحدتها، فساعتها لن تستطيع أمريكا بكل جبروتها أن تنال منها شيئا.. لن تستطيع حتى حصارنا لأنها هنا ستواجه أكثر من مائتين وعشرين مليون مقاتل عربى.

لكن المشكلة الأساسية حتى الآن أن قادة الأمة عاجزون حتى عن عقد قمة عربية وأن الكثيرين راحوا يراجعون أمريكا قبل أن يبلغوا الجامعة العربية بموافقتهم على الاجتماع، كما أن البعض لايزال يرى أنه ليس هناك مايوجب عقد القمة فى هذا الوقت، وكأن ذبح العراق والاستعداد لذبح ليبيا، وإهدار حقوق الفلسطينيين، كل ذلك لايستحق من الأشاوس أن يلتقوا على مائدة واحدة ليناقشوا الهم العربى المشترك.

من أى عينة هؤلاء المترددون؟ وهل أصبحت واشنطن هى إلهنا فى الأرض تقتلنا بأموالنا ونحن لانمتلك إلا أن نقول لها آمين، تستعبدنا ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين ونعتبر ذلك عين المراد والمطلوب..؟!

من أى طينة هؤلاء الحكام؟ وهل خوفهم على الكراسى يصل بهم إلى هذا الحد من الخنوع؟.. إن مصيبتنا فى هؤلاء قبل الآخرين.

إن البلطجى الأمـريكى يرى أن إذلال العـرب والاسـتـيـلاء على خزائنهم وبترولهم هما التطبيق السليم للشرعية الدولية وهذا حقه، أما السكوت أو القـبـول بذلك فـتلك جـريمة يتـحـمل وزرها هؤلاء الذين يحكموننا بعد أن اغتصبوا السلطة من الشعب وغيبوه عنوة عن مسرح الأحداث.

إننى أدرك حجم الجهود التى يبذلها الرئيس مبارك شخصيا من أجل إتمام عقد القمة العربية، وأعرف حجم الضغوط الأمريكية ـ الغربية التى تمارس ضد مصر من أجل إثنائها عن موقفها فى جمع الصف العربى لبحث مخاطر مايحدث وكيفية التصدى له، ومع ذلك يحسب لمصر أنها لاتزال تقاوم، حتى وإن كانت هذه المواقف لا ترضى طموحنا..

لقد كان لردود الفعل الشعبية العربية دور فى وقف الغارات الأمريكية ـ البريطانية على العراق الشقيق، ولكن من قال إن المؤامرة قد توقفت؟، ومن قال إن العدوان لن يتكرر خلال الأيام القليلة القادمة؟

يأ يها الشعب العربى البطل..

إن الأمة تمر بمخاطر محدقة، ومحاولات صهيونية استعمارية تسعى إلى تمزيقها وتدميرها، وليس هناك من طريق سوى التصدى وإعلان الغضبة ضد كل المارقين العملاء الذين باعوا شرفنا العربى وتاريخنا المجيد لأراذل البشر وحثالة الناس.

لاتخافوا الطواغيت ولاتخافوا رصاص العسس فى كل مكان، فالموت فى ساحة الميدان أشرف بكثير من أن نموت فى بيوتنا بقنابل الغرب وصواريخه المدمرة..

إننى لست فى حاجة هنا إلى شرح خططهم وتفاصيل مؤامراتهم، فما حدث فى العراق كفيل بالرد على كل التساؤلات، وفضح كل الأقاويل التى ظلت تحمل القطر الشقيق، المسئولية فى تدهور الأوضاع.

إننا الآن أمام معركة تحدٍ، نكون أو لانكون، وهى معركة فاصلة لأننا أمام عدو شرس لديه مخطط يريد تنفيذه ولو على جثة الأمة بأكملها، وهذا المخطط يمضي على كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وانتهاء بالحل العسكرى الحاسم. لكل ذلك أقول إن الرد العربى يجب أن يكون على مستوى الحدث.. لانريد قمة هزيلة، يجتمعون بعد خلافات طويلة ليصدروا بعد ذلك بيانات تافهة تراعى حس ومشاعر الصديق الأمريكى - الصهيونى الذى لم يرع حرمتنا حتى فى رمضان، وألقى بصواريخه التى تتضمن عبارات تسىء إلى الإسلام.

نريد منكم أن نسمع صوتاً قوياً وبيانات وقرارات تضع الأمر فى نصابه الصحيح.

نريد - إذا اجتمعتم - قراراً حده الأدنى تعليق العلاقات مع واشنطن ولندن، وطرد سفراء وممثلى الكيان الصهيونى من أرضنا العربية.. لاتقولوا لى إن هذه من المستحيلات فى زمن الهيمنة والسيطرة. وإن ماما أمريكا هى التى تصرف علينا وتمنحنا المعونات، فليذهب كل ذلك إلى الجحيم، ولكن لتبق راية العروبة مرفوعة ولتسقط من دفاترنا الخوف والخذلان.

إن الشعب العربى لن يتسامح فى حقه مع أحد، وأظنكم رأيتم الغضبة، وأدركتم أن الناس لم تمت، وأن وحدة الأمة لاتزال ماثلة فى الأذهان.. لكل ذلك نرجوكم أن تكونوا عند مستوى الحدث، ومستوى التحدى.

عليكم أن تدركوا ياسادة أن الأمة لن تصمت أمام أى ضربة جديدة، وأنكم ربما تكونون أول من يدفع الثمن، فحذار من غضبة الشعب العربى وحذار من هؤلاء المظلومين الذين تشتعل النار فى صدورهم ضد الأعداء وعملائهم.

أما أنتم ياأشقاءنا فى الكويت جزء غالٍ من شعبنا العربى، فكفى شماتة فى أشقائكم، وكفى تلك الأموال التى نهبت منكم، أليس من العار أن تستبدلوا احتلال صدام لأراضيكم باحتلال أجنبى دائم ومستمر؟

إننا نقدر لكم دوركم القومى الذى لعبتموه على الساحة لسنوات طوال، وندرك أن الجرح أصابكم فى مقتل، ولكن هل يعقل أن تبقى الكراهية مستمرة فتنسيكم أن العراقيين هم أشقاؤكم وأبناء عمومتكم؟..

لقد أصبحت صورة الكويتى لدى الشارع العربى لا ترضى أحداً، وهو أمر يثير انزعاجنا لأن الكويت جزء غال من وطننا الكبير، وقد عز على النفس أن تردد شعارات معادية للكويت جنباً إلى جنب مع الشعارات المعادية للولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل.

لكل ذلك أقول إن الأمة هى الأبقى وإن الخلافات العربية ـ العربية مصيرها إلى زوال، أما التعامل بلغة الثأر حتى آخر عراقى، فتلك لن يجنى أحد مساوئها إلا أنتم بالأساس.

إننى أعـرف أن الضـغوط عليكم شديدة، لكننا ـ وكـمـا تعـودنا من الكويت ـ فى حـاجـة إلى مـوقف قـومى يطوى صـفـحـة الماضى ويفـتح الطريق نحو المستقبل، لتعود اللحمة إلى الأمة من جديد، وننهى بذلك خلافات مفتعلة، ومؤامرات ندرك جميعاً أنها من صنع الأعداء.

العدد ٩٨

٢٨/١٢/١٩٩٨م

إلـى مـــتى ؟!

أقسم بالله العظيم أن هذه الأمة لن تموت، وأن شعبها العربى هو من أعظم الشعوب، هل رأيتم؟ هل سمعتم؟ أنا رأيت وسمعت.. رأيت شباباً فى عـمـر الزهـور يحـتـرقـون، هنا فى الأزهر، وفى الجـامـعـات، وفى النقابات، فى المساجد والحوارى والقرى والمدن والكفور..

جرس الهاتف لايتوقف.. أسمع بكاء الكبار والصغار، الكل يصرخ «واعروبتاه وإسلاماه».. إنه الإحساس بالظلم، إنه الإحساس بالقهر.. ماذا نفعل؟.. نريد أن نفعل شيئاً.. إخواننا يموتون، دماؤنا تحترق كل يوم، المذلة كسرت نفوسنا، والإحساس بالمهانة أفقدنا رجولتنا..

أحدثك يابنى من المنصورة، من قنا، من أسوان، من كل مكان على أرض الوطن، أنا وأبنائى فداء للعراق، فداء لبغداد العرب، بغداد الحضارة التى يذبحها العاهر الفاجر الداعر ليل نهار..

أصوات الناس تلاحقنى، عيون الأطفال تطاردنى، وصرخات النساء تكاد تقتلنى.. أشعر كأننى أختنق، أريد أن أفعل شيئاً، الكل يتألم، الكل

يتمزق.. نريد أن نفعل شيئاً.. نريد أن نفعل شيئاً.. نزلت إلى الشارع كأننى أتفرس وجوه الناس، الغضب يعم الجميع، الكلمات بحدة الصواريخ الفاجرة.. أمريكا عدونا، بريطانيا عدونا، الغرب عدونا، الكل تجمعوا علينا، الكل زرعوا «إسرائيل» فى أرضنا، والجميع لايريدون لنا إلا أن نكون عبيداً فى حظائرهم.

دعكم من الدبلوماسية الكذابة، والشعارات الخداعة، هؤلاء كفرة فجرة، ليس لديهم إيمان بشىء فقط مصالحهم هى التى تتحكم فى كل شيء.. إنهم مجرمون، آثمون ألم تروهم فى البوسنة؟ أين الرحمة وهم يذبحون الشيوخ بأيديهم، ويغتصبون النساء دون خجل أوحياء؟ هل أحكى لكم قصصا تقشعر لها الابدان؟ هل أحدثكم عن مطاحن الاسمنت التى طحنوا فيها الصغار؟..

هل سمعتم عن مذابح كوسوفا وفلسطين والعراق ولبنان؟ هل أدركتم معنى الحصار الظالم على ليبيا والسودان؟ هل أيقنتم أن مذابح الجزائر مغامرة غربية بالأساس؟ وهل عرفتم معنى تمزيق الصومال والسعى لإحياء الفتنة فى مصر؟ ..

يستنزفون ثرواتنا، يمتصون خيراتنا.. يفرضون علينا الشروط الجائرة، نشعر بالظلم والغبن، لكن الاشاوس من حكامنا سعداء راضون، فتحوا الخزائن عن آخرها، باعوا القضية من أولها .. لم تعد تهمهم الشعوب، تعاملوا معنا كأننا بهائم تساق إلى المذبح فى هدوء .. ليس لأحد الحق فى الكلام.. كلنا يجب أن نخرس وخرسنا، قطعنا ألسنتنا وسلمناها صاغرين، رضينا بالهم، لكن الهم لايرضى بنا، قلنا لهم

تصدوا للعدوان، ها هى كل إمكاناتنا تحت أيديكم، نصحونا بالصمت والهدوء، فصمتنا لكنهم غدورا بنا وتواطأوا مع الأعداء.

هل تسمعون العجوز الشمطاء مادلين؟ هل ترون لسان الحرباء وهى تتحدث؟.. إنها تقول: إن الكثير من الحكام العرب راضون وإنهم يقولون فى العلن كلاما غير هذا الذى يقولونه فى الخفاء..

إذن مصيبتنا فى هؤلاء.. هؤلاء الذين نكسوا رؤوسنا، وارتهنوا إرادتنا، وسعوا إلى قتل المروءة فينا .. إنهم يتواطأون ضد الامة، يسمحون بذبح أقطارها الواحد تلو الاخر، المهم الرضاء السامى، أما رضاء الشعوب فالعصا موجودة لكل من يريد الخروج..

وهل هذه حياة؟.. إن الموت أشرف منها بكثير .. إنها حياة خانعة، ذليلة، عفنة عفنة كوجه الداعر الفاجر كلينتون، الذى جاء ليؤدب الامة، ويهين كرامتها فى رمضان ..

هل تعرفون لماذا صمم على توجيه الضربات فى الشهر العظيم؟ هل تدركون لماذا أراد أن يدوس على إسلامنا الحنيف؟.. إن الحقد يا سادة، يريد أن يقول لنا : لم تعد هناك محرمات عندى، أنا أريد أن أمارس المذلة عليكم، أريد أن أقضى على إسلامكم ، وأدمر مساجدكم وأعبث بقرآنكم، وأذبحكم فى شهركم المحرم.

يأ يها النذل الجبان، أريد أن أبحث عن كل مويقات العالم لاشبعك بها لطما وتوصيفا، أريد أن أثأر لكل عربى ولكل مسلم بعيدا عن لغة السياسة والدبلوماسية والكلام المنمق التافه الذى لم يسعف صغارنا فى بغداد..

بماذا نصف اعتداءك على المستشفيات وعلى الاحياء السكنية؟

هل مطلوب أن تسدد فواتير مونيكا على حسابنا؟

هل رخصنا إلى الدرجة التى يأتى فيها ذلك المراهق ليتحرش بنا فى بيوتنا وفى شهرنا الحرام؟ ..

إذن دعونا نتساءل: لماذا بنينا الجيوش؟

ولماذا ولينا الحكام؟

الخائفون لايصلحون، والمرتعدون يدفعوننا إلى الطوفان..

نحن لانخاف، نحن مستعدون للموت اليوم قبل الغد.. المقاومة هى وحدها السبيل لوقف هذا الجنون.

إنها حرب صليبية جديدة يقودها كلينتون بدلا من ريتشارد قلب الأسد، لكن الأمة توحدت مسلمين ومسيحيين، الكل يرفض الجريمة، والكل يشعر بالعار، الكل يغلى، والكل ينتظر القرار، بيانات هزيلة، وتحركات دبلوماسية لاقيمة لها.. قولوا لنا بالله عليكم: إلى متى الصمت؟ وإلى متى القبول بالمذلة والخنوع؟..

كنا بالأمس القريب نلوم عليكم وقوفكم عند حدود الشجب والإدانة، أما الآن فحتى هذه لم تعد فى الإمكان.. كلماتكم مرتعشة وحروفكم ساقطة، لغتكم لا تسعف النفس، ولاتعبر عن حجم الكارثة.. فعلى أى شئ تراهنون؟! إذا كنتم تراهنون على الرضاء السامى الأمريكى فستخسرون الشعوب، لاتظنوا أن الناس يمكن أن تبقى صامتة أبد

الدهر.. لاتتصوروا أن الأزمات والمشاكل والقهر والمطاردة يمكن أن تجبر الشعب العربى على الخنوع.. هذا الشعب قد يفاجئكم من حيث لاتدرون، وساعتها لن تنفعكم أمريكا، ولا طائراتها ولاصواريخها..

وثقوا أيضاً بأن واشنطن لن تتركم وحال سبيلكم، بل ستنغص عليكم أيامكم، لأنها لاتريد إلا عملاء من عينة انطوان لحد، يقبل كل ماتريده إسرائيل وينفذ تعليمات واشنطن بلا قيد أو شرط.

لقد خرج علينا العاهر كلينتون مساء أمس الأول ليبلغنا أنه تكرم علينا وأوقف الغارات والطلقات، لكنه لم ينس أن يحذرنا من تكرار اللعبة فى أى وقت.. وبينما هو يتحدث كان المزيد من القوات يزحف إلى الخليج.. الشروط متعددة وإسقاط النظام فى المقدمة.. إذن هى الحرب مستمرة حتى إفناء آخر مواطن عراقى.

إنه لم يتوقف ولن يتوقف.. يقول إن الأهداف تحققت، لكنه يتوعد بالمزيد من الضربات، ويتحدث علانية عن المؤامرات، هذا العاهر يطيح فينا وهو العاجز عن الوقوف أمام عشيقته مونيكا.

هذا الداعر هو المنوط به حماية الشرعية الدولية والحفاظ على الحقوق الإنسانية، كيف ذلك، وبأى منطق؟ وهل أصبحت الأمة مستباحة إلى حد العبث؟ هل أصبحنا مطية لكل من هب ودب دون أن يحرك ذلك فينا ساكناً؟

لقد أكدت الأحداث التى شهدتها الأيام الأربعة الماضية أن الناس فى واد والأنظمة الحاكمة فى وادٍ آخر.. لقد شعرت الجماهير بأن ظهرها

مكشوف، وأمنها مستباح، وأن أحداً لايعير مشاعرها القومية اهتماماً، ولذلك فإن الثقة أضحت مفقودة بين الشارع والأنظمة.

لقد سعدنا بالموقف الروسى كثيراً، لكننا تألمنا بشدة على مواقفنا العربية.. لقد كنا نتمنى أن يكون لنا فى روسيا مثل وقدوة وأن نسحب سفراءنا من واشنطن، وأن نعلن التعبئة فى قواتنا المسلحة وأن نسمح للجماهير بأن تنطلق ولكن واأسفاه أصبحت روسيا أكثر عروبة من بعض الأنظمة العربية!!.. وأصبح البرلمان الروسى أكثر حرصاً على الأمة من كل برلماناتها التى تمثل الأنظمة أكثر من تمثيلها الشعوب العربية.

إننى أدرك أن مصر سعت وحاولت وحذرت وليس كل مايجرى فى الخفاء يعلن ويقال، ولكن دور مصر أكبر من ذلك بكثير.. مصر يجب أن تقود الأمة للمواجهة؛ لأن خصمنا لايعرف سوى هذا الطريق.

ولنعلم جميعاً هنا أن الدور القادم سوف يستهدف مصر بالضبط، كما استهدف ليبيا والسودان.. وأظنكم تتابعون هذه الحملات المسمومة على الوطن، إنها حملات صهيونية - أمريكية - بريطانية تستهدف وحدتنا وتريد القضاء على وجودنا من الأساس.

ما الذى كان يحدث لو طردنا السفير الأمريكى وأمثاله من القاهرة؟ هل كان بإمكان أمريكا أن تتآمر علينا أكثر من هذا الذى تفعله؟

إن الكبير والصغير يعرف أنها لاتكف عن التآمر سراً وعلانية، وهى بصراحة لاتريد أن يظل الرئيس مبارك حاكماً لمصر، لأنها تعرف أنه

ليس رجلها، وأنه يسعى دائماً إلى إفساد خططها، لذلك تخرج عليه وعلينا كل يوم بالمزيد من المؤامرات التى تستهدف تركيع الوطن وربطه بعجلة التبعية الدائمة بالسياسة الأمريكية.

أمريكا لاتعرف إلا لغة القوة والمواقف الصلبة، لكل ذلك كنا نأمل فى أن تتخذ مصر الخطوة الرادعة. لأن الأمة دون مصر جثة هامدة، ولأن مواقف مصر هى وحدها القادرة على لم الشمل وتوحيد الكلمة.

كنا نتوقع أن تدعو مصر إلى قمة عاجلة لبحث ما يجرى.. لو حدث ذلك لسعت أمريكا على الفور إلى التفاهم مع العرب وإلى البحث الجدى فى وقف مسلسل الهجوم الإجرامى على العراق، لكن واشنطن يبدو أنها كانت على يقين بأن أحداً لن يجرؤ على الفعل أو الكلام.

وهكذا تركنا العراق وحيداً، ومنحنا الولايات المتحدة الحق فى الدخول إلى غرف نومنا واجتياز حصوننا وإهانة مقدساتنا، وفتحنا لها الباب واسعاً لأن تعود فى أى وقت وإلى أى مكان تشاء وهى على يقين أن الأمر لن يخرج عن بضع كلمات باهتة ستخرج من عاصمة أو اثنتين وليس أكثر، والآن يبقى السؤال الأهم: ماالعمل؟!

هل نسكت ونطوى الأحزان وننسى ماجرى وماكان؟.. أم أننا لابد أن نأخذ مما جرى عبرة وعظة لنراجع الحسابات، ونعيد بناء مواقفنا من جديد، وفى هذه الحالة لا مكان للخونة الذين يفتحون بلادهم وديارهم للأعداء بين الصفوف..

نعم نحن فى حاجة إلى فرز حقيقى، وإلى معارك لا تتوقف دفاعاً عن شرف هذه الأمة وصيانة لأمنها القومى.

إن القضية أكبر من الحكام لأنها قضية شعب بأسره، شعب ملّ من المذلة والإنكسار.. شعب يريد أن يعيش حراً على أراضيه من المحيط إلى الخليج.

إن كل عربى يعيش على أرض هذه الأمة أصبح بينه وبين أمريكا وبريطانيا خصام تاريخى، أصبح بيننا ثأر يشبه بالضبط هذا الثأر مع إسرائيل.. ثأر لن تمحوه الأيام ولا المعونات الذليلة ولا الدولارات المغموسة بدمائنا.. ثأر فى رقابنا جميعاً إلى يوم الدين.

يأ يها الشعب العربى.. إليك أوجه خطابى.. إليك أوجه كلماتى.. حافظوا على الذاكرة الجماعية.. حافظوا على قوة الدفع.. لاتنسوا.. لاتتراجعوا.. لاتخدعنكم الدعاية الأمريكية المضللة، والإعلام المتأمرك والمزيف.. أمريكا هى أمريكا، وبريطانيا هى بريطانيا، وإسرائيل هى إسرائيل، والغرب هو الغرب..

نحن لانعادى أحداً، نحن ندافع عن أنفسنا، والدفاع عن النفس هو دفاع عن الوطن، هو دفاع عن الماضى والحاضر والمستقبل.

لاتصدقوا الكذابين المغموسة أقلامهم فى آبار النفط، لاتصدقوا السفهاء عملاء الغرب.. صدقوا ضمائركم فقط.. اقرأوا تاريخكم وراجعوا أسماء أعدائكم.. لن تفاجأوا كثيراً.. عدو الماضى هو عدو الحاضر وهو أيضاً عدو المستقبل.

علينا أن نحافظ على عروبتنا، على إسلامنا الحضارى، على تراثنا الفكرى، على عاداتنا وتقاليدنا.. أمتنا يجب أن تبقى قوية مصونة حتى تتصدى للطوفان.

إن مـاجـرى فى العـراق يجـب أن يكون منطلقاً لنا لتطهـيـر مـاعلق أثوابنا من قاذورات الغرب وعولمته، علينا أن نصحح كل شئ وأن نمد ايدينا للأشقاء، وأن نسقط العقوبات الظالمة المفروضة عليهم..

علينا أن نلبى نداء الله، بأن ننقذ أشقاءنا فى العراق وليبيا والسودان وفلسطين وسـوريا ولبنان.. فـى البـوسنة وكـوسـوفـا والفلبين وكشميروالشيشان.. علينا أن ندرك عن يقين أن مليار عـربى ومسلم قادرون على هزيمة التتار الجدد الذين يعبثون فى الجسد ويتآمرون على الاقتصاد العربى والإسلامى لمصلحة اليهود ولأجل عيون الصهاينة.

لقد كرم الله سبحانه وتعالى أمتنا بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس فهل نأتى نحن الآن لنهيل الثرى ونمحو التاريخ ونقدم أنفسنا قرباناً إلى السفهاء؟..

لا والله.. إن الانتفاضـة العربية بدأت وليس لها أن تتوقف.. وغداً سوف يعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

العدد ٩٧

٢١/١٢/١٩٩٨م

أمنيـــــــــة

من حقنا ياريس.. من حقنا أن نحلم، وأن يتحول الحلم إلى حقيقة فى عهدك..

الأيام تمضى، والزمن يطوى صفحاته، ونحن كما نحن

ندرك إيمانك العميق بالحرية.. ونعرف أن المشاكل تحاصر الوطن من كل اتجاه.. ولكن من قال إن المياه الراكدة يمكن أن تدفع الناس إلى الإبداع؟ الناس مصابة بالإحباط.. بعد أن تحول أمل التغيير إلى ضرب من المستحيلات.

نحن لا نريد انقلاباً جذرياً على القوانين.. نحن فقط نريد الإصلاح السياسى والاجتماعى، نريد أن نتخلص من قوانين سيئة السمعة، ومن أساليب عفا عليها الزمن، نريد برلماناً يعبر عن الناس، لايتعامل بسياسة العصا والجزرة يعارض الحكومة. ويتمحص القوانين، ولاؤه لمصر قبل الأحزاب، وإيمانه بالديمقراطية عميق، نريد توازناً بين الأغنياء والفقراء.، وأملا يتجدد أمام العاطلين.

إن مصر تواجه بتحديات خطيرة، مؤامرت من الخارج ومحاولات اختراق للداخل، ألاعيب تجرى فى العلن ومن خلف ستار، شروطاً تفرض بلَى الذراع، هيمنة تسود المنطقة، واستهانة بشعوبها، تجويعا وحصاراً، ظلماً واستعبادا.

وقدر مصر فى كل ذلك هو التصدى، نحن لانستطيع أن نضع رؤوسنا فى الرمال، لانستطيع أن نغلق حدودنا للسلامة ودرءا للشبهات فقوة مصر نابعة من دورها القومى وقدرتها على التأثير فى محيطها، وقيادة الأمة نحو الحرية والتخلص من نير الظلم والاختلال.

الكثيرون يعزفون الآن عن العمل السياسى، بعض الأحزاب أصبحت ديكوراً، الخلافات تدمر أطلالها، وعزلتها عن الجماهير جعلت منها مجرد مقار وموظفين، وبعضا من الرموز، الناس فقدت الثقة بجدواها، والسوس نخر فى جسدها وطواها.

لم تعد القضية أن السلطة تطارد، ولكن الأجواء العامة فى البلاد جعلت من العمل السياسى مجرد ملهاة وواجهة اجتماعية، حتى أصبح كل شئ مجرد كيانات وهمية.

وفى ظل هذه الأوضاع كان طبيعياً أن تفسد النخبة.. كثيرون انقلبوا على أفكارهم واعتبروا واشنطن قبلتهم، وهناك من زحفوا إلى إسرائيل وأسسوا منظمات للاستسلام، تناسوا التاريخ وكلماتهم التى جلجلت فى الأركان، راحوا يركعون ويطلبون الصفح من هذا البهتان..

تحول كثير من ثوار الأمس، وقادة المظاهرات فى الجامعة إلى أصحاب بوتيكات، تكيل الأمر بمكيالين، بالضبط كما يفعل السيد

كلينتـون والسيد بلير. يقبضـون المال الحـرام ويقبلون العيش فى كنف الأعداء، ثم يحدثوننا عن حقوق الإنسان.. وكان أولى بهم أن يلتزموا بالطهارة وألا يشوهوا هذه الرسالة النبيلة من أجل حفنة دولارات.

وحتى بعض الذين كانوا مثار احترام الشارع حتى وقت قريب، راحـوا بنفس المنطق والمصطلحـات ينظرون للنظام العـالمى الجـديد، يعتبرون أن شيكات السفارات أمر طبيعى وشيء لايخجل إلا منتقديه، يطلبـون منا أن نـدخل فى زمـرة البـائعين للوطن، وأن نتـفـاوض على منطق «كيلو الوطن بكام النهارده!!».

فساد النخبـة، أفسد الكثيرين، شباب وباحثون فى عمر الزهور سقطوا كأوراق الخريف، ارتهنوا إرادتهم أمام الدولارات، باعوا كل شئ وتحولوا إلى أبواق جـوفاء، تسـمم البـدن وتستـهين بالعـقول، لايحكمـهـا منطق، مرجعيتها الوحيدة «أكسب كام!».

أمـا الناس فحدث ولاحرج، تراجعت اهتمـاماتهم الوطنية والقومية، أصبـحت السياسة بالنسبة لهم مـجرد كلام فى كلام، فقدوا الثقة بأشياء كـثيرة، وبدا كل منـهم يغلى فى صـمت، ويتـحسر على مـايحـدث فى فلسطين أو ليبيا أو العراق أو السودات أو كوسوفا.

لم يعد النـاس يتابعون مـايجرى فى مـجلس الشعب، فالكل على يقين بأن أحداً لن يغير شيئاً، وأن مـاتريده الحكومة سوف ينفذ، وأنه لامـانع فى إطار ذلك من بعض الصرخات وبعض الكلمات.

وأصبـحت الصـحـافة تكتب فى قضـايا خطيرة، البعض يلتـفت إليه والبعض يدخل إلى ساحة الإهمال.. بعض الصحف تحولت إلى أدوات

للأبتزاز والجنس والفضيحة، أصبحنا نخجل من المانشيتات.. راحت الصور العارية المثيرة تغزو الصفحات، وراح المراهقون والمحبطون يتلقفونها من كل مكان، وبدا كأن هذه الصحف تعبر عن حالة المجتمع المريض..

أما النقابات ومنظمات المجتمع المدنى، فقد خمدت فيها الحركة، توقف النبض، بعد أن رأت حكومتنا الرشيدة أن الحل هو الحبل، وأنه بعد أن عجزت عن ربط الألسنة، قررت إغلاق النقابات من الباب للباب..

عينت لجانا للحراسة، أساتذة فى تنفيذ التعليمات، لا سياسة ولا مؤتمرات، لا مطالب ولا حريات.. فقط كل المطلوب هو توزيع الكارنيهات، وختم الأوراق، وتوفير البيض والفراخ فى الجمعيات.

لقد أحدث قرار اللواء حبيب العادلى بالإفراج عن نحو ألف من المعتقلين مؤخراً حالة من الارتياح الشديد وأكد أن هناك توجها جديداً ولكن متى يتم تصفية بقية المعتقلين؟

إن مايحكى عن الوقائع التى تجرى فى سجون العقرب والفيوم والوادى الجديد يشيب له الولدان.. أبواب موصدة لسنوات طوال.. أمراض جلدية فتاكة.. كأننا في العصر الحجرى. هذه أم مكلومة تريد أن ترى أبناءها. سنوات طوال حرمت منهم بعد أن جرى اعتقالهم، وهذا أب يموت وأمنيته أن يرى ابنه الوحيد الذى اختطفه زوار الفجر فحصل على عشرات الأحكام بالإفراج، لكن يد سيدنا فى المباحث بطيئة فى الإفراج، سريعة فى الاعتقال.

أعرف أن الدولة فى موقف صعب، وأدرك أن قسوة الإرهابيين أشد وأنكى، وأن جرائمهم أكبر من أن تطاق، وأن عصفهم بالأبرياء لايسمح لأحد بأن يطلب لهم الرحمة، لكن ماهو القول فى هؤلاء الأبرياء الذين تذكرتهم الداخلية بعد سنوات، ولولا أن على رأس الداخلية رجلا حكيما، لبقوا فى غياهب الظلمات سنوات وسنوات وسنوات.

لماذا يحرم الأطفال من آبائهم والأمهات والآباء من أبنائهم؟ لماذا نتعامل بسياسة الدفعات، وهناك إحساس بأن هؤلاء أبرياء؟ ترى من يعوض الأهل كل هذا الحرمان؟.. من يعيد إلى شبابنا البرىء كرامة مهدرة وإهانات لا تحصى، وفقدان الشعور بالانتماء؟!

نحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين، ومن حقنا أن نحلم بمجتمع خال من القهر والاستغلال، بمجتمع بلا طوارئ صحيح أن حرية الصحافة والإعلام والتعبير التى نتمتع بها فى مصر أفضل كثيراً من حال آخرين، ولكن مصر الرائدة يجب أن تكون التجربة النموذج فى كل شئ.

أننى لاأريد أن أربط هذه المطالب بمناسبة الذكرى الخمسين للإعلان العالمى لحقوق الإنسان، وباعتبار مصر واحدة من الدول المؤسسة له، ولكن هذه المطالب هى تعبير عن حاجة مصرية بحتة، وعن أمل جماهيرى عارم بأن يستجيب القائد لها لتشكل بداية جديدة فى حياته وحياتنا.

إننى لاأفهم معنى أن يحتكر الحزب الوطنى السلطة لأكثر من عشرين عاماً، هى عمر تأسيسه فى ظل نظام التعددية الحزبية، لأن

ذلك معناه ببساطة أن التعددية فشلت أو أنها تحولت إلى ديكور دمه خفيف من لوازم الحياة السياسية المصرية.

لكل ذلك أقول إن الديمقراطية بمفهومها السياسى والاجتماعى هى وحدها القادرة على انتشال الناس من احباطاتهم، وهى القادرة على منح بصيص من الأمل يعيد الجماهير إلى الساحة من جديد.

نحن لانريد ديمقراطية الاقلية، كتلك التى عاشها مجتمع ماقبل ٢٣ يوليو.. نحن نريد ديمقراطية لكل الشعب.. ديمقراطية تسمح لكل القوى بأن تكون موجودة على الساحة، تسمح للشعب الفقير بأن يجد لقمة عيشه، حتى يتمكن من أداء دوره السياسى..

نحن لانريد ديمقراطية تدعم الفساد والمفسدين.. أو كلمة لايسمع الساسة فيها إلا أنفسهم، لكننا نريد الانفتاح على الفلاحين فى المزارع، والعمال فى المصانع، والطلبة فى المدارس والجامعات، حتى يشعروا بأن البلد بلدهم وأنهم صناع قرار فيه.

إن المطلوب باختصار هو استدعاء الشعب ليعود إلى لعب دوره، وليخرج من حالة السلبية التى عاش فيها سنوات طوالا، وأن يشارك فى بناء مجتمعه مشاركة فعالة، وأن يتصدى للمخاطر التى تحيق به من كل اتجاه..

ولاشك أن الآليات التى تستطيع صناعة ذلك لابد أن تكون لها مصداقيتها عند الناس، وأن تحقق بدايات عصر جديد لديمقراطية المشاركة، القادرة على صيانة الوطن، وأمنه واقتصاده وترجمة أهدافه النبيلة.

إذن يبقى السؤال.. هل نغير الدستور؟!

أنا شخصيا أعتقد أن المشكلة ليست فى تغيير الدستور، وإنما فى تحقيق عدد من الخطوات والإجراءات التى من شأنها أن تفتح الطريق أمام الشعب ليلعب دوره، وأن تغلق - وإلى الأبد - النوافذ والأبواب التى تتسرب منها كل عوامل اليأس والإحباط.

إن البداية يجب أن تكون فى إلغاء حالة الطوارئ التى لاتزال مستمرة منذ سنوات طوال.. إنها البداية الحقيقية إذا كنا حقا نريد الإصلاح ووقف التجاوزات..

إن الاستقرار الذى تتمتع به مصر - وسط أجواء عاصفة ومؤامرات لا تتوقف - لهو دليل جديد على ثقة الشارع برئيسه واحساسه بوطنه، والظروف التى يواجهها، وهذا يفترض أن يكون دافعاً لإلغاء حالة الطوارئ وتصفية مواقف المعتقلين وإطلاق الحريات لكل القوى بلا استثناء..

إن أخطر شئ على الدولة والنظام هى حالة الجمود التى تعيشها البلاد فى الوقت الراهن كل شئ ثابت، وكأن الحركة توقفت أو كأن التغيير كلمة شطبت من قاموسنا..

لماذا ولمصلحة من؟.. إن ذلك فى تقديرى ليس لمصلحة النظام أبداً، لأن إبعاد الناس عن المشاركة هو هدف موجه إلى قلب الوطن، لذلك أتوجه إلى الرئيس القريب إلى القلب وإلى العقل..

إن الشارع المصرى فى حاجة إلى ثورة ديمقراطية حقيقية.. ثورة تفضى إلى إصلاح سياسى كامل وإلى اطلاق يد منظمات المجتمع

المدنى، ووقف اختراق الأجانب للوطن، ومواجهة الفساد والفاسدين بشكل رادع لفتح الطريق أمام غد نثق بأنه سيكون الأفضل ومستقبل ندرك أنه سيكون مطمئناً.

إننا وإذ كنا نثق بحرص الرئيس على الوطن، وعناده فى الدفاع عن حقوق الأمة ومواجهته لأعدائها، إلا أننا نرى أن الديمقراطية الحقيقية هى وحدها القادرة على تعبئة الجماهير من خلفه، دفاعاً عن أمتنا وعن حقنا فى حياة كريمة فى ظل محاولات مكشوفة للتدخل فى شئوننا، والإساءة إلى وحدتنا الوطنية.

بقى أخيراً أن أقول إن الشعب المصرى صبر طويلاً، وإن التغيير أصبح حاجة ملحة، وإن أمانى الناس وآمالها كبيرة، وإننا نتمنى على الرئيس فى مرحلته الجديدة أن يحدث التغيير الذى طال انتظاره، وأن يحقق للمصريين حقهم فى الممارسة، وأن نغلق صفحة الماضى لنفتح صفحة جديدة للحاضر والمستقبل.

العدد ٩٦

١٤/١٢/١٩٩٨م

نشطاء جمع الأموال

يكاد المريب يقول خذوني، صرخات واستغاثات، بيانات تصدر على ورق أنيق، كلمات تشتم بداخلها رائحة الدولار، هي ذات الكلمات التي كانت تكتب أيام كانوا في خدمة اليسار، الآن تتجه الحروف غرباً حيث السمن والعسل، إلى واشنطن ولندن والدانمارك والسويد وألمانيا وهولندا وغيرها كثير.

حققت البوتيكات انجازاً لم يتحقق لأحزاب المعارضة على مدى التاريخ، اجتمعت على مائدة واحدة رغم أن بينها حروباً مشتعلة وصراعات على التمويل.. سألت عن السبب قيل المصلحة تصنع العجب، وهؤلاء المجتمعون يقاتلون معركتهم الأخيرة ليس من أجل البقاء، فهم باقون متربعون، ولكن من أجل الدولار القادم بلا حساب.

ولأنهم تربية مدارس سياسية عريقة، فهم يجيدون التلاعب بالألفاظ، ويمارسون ذات اللعبة وبنفس المفردات، في الماضي كانوا يصرخون ضد السلطة المرتبطة بالامبريالية الأمريكية، والآن أصبح السادة الجدد رأس حربة في خدمة الامبرياليين..

أصبحوا الآن يستغيثون بالخارجية الأمريكية، ومجلس العموم البريطانى، بعد أن تحولت السلطة المصرية إلى عدو لحقوق الإنسان، التى يتبناها الغرب فى ظل العولمة والنظام العالمى الجديد..

بالأمس كانوا يقولون إن أمريكا والغرب يدعمان النظام ويحرضانه ضد اليسار، والآن أصبح الغرب قبلتهم، وأصبحت واشنطن خزانتهم، انقلبت المفاهيم واختلطت الأوراق، أصبحت الحكومة تخاف من الغرب، وأصبحوا هم طريق الغرب إلى اختراق الوطن..

ماهذا الذى يجرى؟ حكومة مرتعدة خائفة، تسمح بالاختراق والتقارير المشبوهة التى تصل إلى أيدى المخابرات وأعداء الوطن، فتستغل أيما استغلال، ومجموعة من الهلّيبة يرفعون السهام، ويتحدون القوانين ويقبضون بلا خوف وبلا حساب..

إنهم يرددون أن اتصالاً واحداً من سادتهم فى واشنطن أو لندن، كفيل بإنهاء الأمر.. وإغلاق ملفات القضايا وترك الجرح الوطنى ينزف.. إنهم يتحركون فى حماية الامبريالية السابقة، وأمنها وسفاراتها.. كأنهم امتلكوا الحصانة وأصبحوا دولة داخل الدولة.

ماذا حدث؟ ومن تغير؟ ربما تكون أمريكا أصبحت - حقاً - داعية لحقوق الإنسان ونحن لاندرى، ربما تحول كلينتون وحزبة الديمقراطى الذى يمد الكثير من هذه البوتيكات بالمال قد تاب الله عليه، وغسل يديه من آثام البوسنة وكوسوفا والعراق وليبيا وفلسطين والسودان ونحن لانعرف..

قولوا لنا أليست تلك أمريكا التى صدعتم بها رؤوسنا؟ أليس مالها هو حصيلة استنزافها لخيرات الشعوب الفقيرة؟ إذن لماذا تقبلون هذا المال من هؤلاء الذين كنتم تقولون إنهم أعداء لكم ولشعوبكم وللإنسانية جمعاء؟

ألم يفكر أحد فيكم لماذا هذا المال؟ هل هو فعلاً حب فى عيون حقوق الإنسان؟ أم هو نكاية فى مصر ومواقفها؟ ألم تدركوا أن هذه محاولة للأختراق، وسعى حثيث لضرب وحدة الوطن؟ وهل يغيب عن أذهانكم ياسادة أن هذا المال مرتبط بنشاط أجهزة المخابرات التى تدس أنفها فى جميع الجهات الحكومية وغير الحكومية؟!

لقد كنت حتى وقت قريب أتصور أن كثيراً من هذه البوتيكات تعمل طواعية، وأن الحافز الوطنى والدفاع عن هذه الفكرة النبيلة هما وراء كل ذلك، ولكن يا للفضيحة عندما بدأت أعرف الأرقام.. ملايين الدولارات تدخل الجيوب وقليل منها فى الحسابات.. مشروعات وهمية وبحوث مشبوهة تتاجر بعرض الوطن، وتحريض صريح على التدخل فى شئونه وسيادته، وهل هناك أكثر وقاحة من أن يقول أحدهم فى تصريح منشور: «أنا مع التدخل الأجنبى فى شئون مصر دفاعاً عن حقوق الإنسان»؟!

خذ مثلاً التقرير السنوى المنشور عن إحدى المنظمات العالمية لحقوق الإنسان لعام ١٩٩٦، والذى يرصد نشاطات حقوق الإنسان فى كل دول العالم.. لقد قال عن نشاط «المعهد الديمقراطى الأمريكى» التابع للحزب الديمقراطى (حزب كلينتون) إنه دفع لأحد المراكز

المصرية ٤٠ ألف دولار لرصد نشاط البرلمانيين المصريين، ودفع ٢٠ ألف دولار و٨٥٨ دولاراً لمركز آخر لإصدار تقرير عن نتائج انتخابات مجلس الشعب الأخيرة.

إن الأرقام والمهام لاتحتاج إلى تعليق!!

دعك من هذا، هل تعرف أن واحداً من هذه المراكز التى تتشدق بالدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان أسس ماأسماه الشبكة العربية لمراقبة الانتخابات وضم إلى عضويتها من مصر هو وصاحبة بوتيك آخر، واختار واحداً من كل بلد عربى وحصل على تمويل يقدر بـ١٤٠ ألف دولار، وأعد تقريراً من منازلهم لإرضاء المانحين الأمريكان والإنجليز والكنديين والسويديين.

يومها أراد الله كشف الفضيحة فجاء أحد الذين نصب باسمهم - وهو يمنى الجنسية - وكشف اللعبة وقال إنه لم يحصل على مليم فلجأ إلى بقية البوتيكات التى أصدرت يومها بيانا شديد اللهجة ضد هذا البوتيك الذى يقودها جميعاً الآن.. ومع ذلك لم يتحرك الغرب قيد أنملة، بل تكتم الفضيحة حتى لايشوه سمعة نشطاء جمع الأموال الذين يقومون بدور أكبر من المال.

لقد تعجبت أمام مئات الآلاف من الدولارات التى تصل إلى حسابات مراكز وهمية، لانشاط لها، فواتيرها مضروبة وتقاريرها مكتبية، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب!!

إن الحقائق تؤكد أن هناك مافيا جديدة نشأت هذه الأيام، لاتختلف كثيراً عن مافيا اللحوم الفاسدة، وهذه المافيا تتحكم فى التمويل القادم

إلى البوتيكات فهى تحصل على مبالغ تتراوح بين ١٠ و ٥٠٪ مقابل كل منحة تقدم.

وقد تضخمت هذه المافيا وأصبح لها بلطجية وأتباع، نسجت خيوطها مع دوائر مشبوهة في الغرب، وبدأت توسع علاقاتها وهى على ثقة بأن أحداً لن يحاسب أحداً. وأن الرعاية الأمريكية ـ– الغربية أقوى من كل الاعتبارات.

وقد امتد نشاط أصحاب البوتيكات إلى أصحاب بعض الأعمدة الملاكى فى الصحف، حيث يرتبط بعضهم بمصالح معروفة، خاصة مع الأقارب والأصهار، وهؤلاء ينظر إليهم على أنهم الاحتياطى الاستراتيجى الذى يسخر وقت الأزمات..

لقد كشفت الحملة الوطنية لصحيفة «الأسبوع» عن كل الوجوه بلا استثناء، وأحدثت فرزاً جذرياً فى أوساط المثقفين ووضعتهم أمام الأختيار بين مصلحة الوطن ومصالحهم الشخصية وللأسف فإن لبعض من أصحاب الشعارات الخداعة قد انحازوا إلى مصالحهم وداسوا على ضمائرهم، وراحوا يكذبون، فكللوا جباههم بالعار الذى لن يمحى أبد الدهر..

إننى أدرك أن حملة «الأسبوع» قد أثارت كثيراً من الحاقدين علينا، ودفعت بالعسس إلى السعى للإساءة إلينا، ونسوا أو تناسوا أن الذى قرر إعادة الشيك إلى السفارة البريطانية، هو مجلس أمناء المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، ولسنا نحن، وأن الذى أغلق الحساب الجانبى الذى فتح خلسة لتلقى هذا النوع من الشيكات المشبوهة هو مجلس الأمناء ولسنا نحن..

ولنفترض أننا مخطئون، لنفترض أننا كذابون، فلماذا وافق مجلس أمناء المنظمة بالإجماع على إعادة الشيك وإغلاق الحساب؟! أفيدونا يرحمكم الله.. أم أنكم تبحثون وتبررون قبولكم التمويل الأجنبى وتستهينون بكل المشاعر الوطنية النبيلة؟

لقد كان بإمكاننا أن نصمت، وأن ننأى بأنفسنا عن ساحة المواجهة مع نشطاء جمع الأموال وأعوانهم وأقاربهم ولكننا كنا على يقين بأن السكوت عن الخطأ خيانة، وأن التراجع عن معركة الدفاع عن أمن هذا البلد جريمة تحاسبنا عليها ضمائرنا، قبل حساب الجماهير.

نحن لايهمنا رضاء الحكومة أو غضبها، ولايهمنا رضاء البوتيكات أو غضبها، ولكن مايهمنا هو مصلحة هذا الوطن التى سنبقى ندافع عنها مهما كلفنا ذلك من تضحيات..

إن منظمات حقوق الإنسان هى لازم مهم من لوازم المجتمع، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن هناك اضطهادا بوليسيا واعتقالا عشوائيا واهدار دار لآدمية البشر.. لاأحد يستطيع أن يتجاهل التعذيب فى السجون وأقسام الشرطة، وكل هذه أمور تؤكد أهمية وجود منظمات تدافع عن حقوق الإنسان وتكشف عن حالات الاضطهاد السياسى والاجتماعى والبدنى للأفراد والجماعات.

ولكن السؤال هنا... ألا يستطيع المصريون الشرفاء تكوين منظمات تدافع عن حقوق الإنسان بعيداً عن التمويل الأجنبى؟!

والإجابة أن ذلك ممكن..

إذن لماذا لاتخرسون الجميع وتفعلونها؟ لماذا لا تكيفون أوضاعكم وتسمحون للجهاز المركزى بالرقابة على أموالكم شأن كل المنظمات والهيئات الحكومية والأهلية؟

- يقولون إنها خطة حكومية تهدف إلى وضع رقابنا تحت رحمتها.

- ولكن رقابكم تحت يد القانون المصرى أرحم من أن تكون بيد الأجانب واليهود..

● إذن أنت عدو لحقوق الإنسان.. أنت عميل للحكومة وتساعدها على تمرير قانون الجمعيات..

● وأنا أريد أن أقول إن الحكاية بصراحة تجارة وشطارة، ولكن الخطير هنا أنكم تتاجرون بالوطن وأسراره ووحدته الوطنية وأمنه القومي..

● إنها العولمة ياعبيط.. ألم تقرأ صلاح عيسى وهو يبرر التعامل مع السفارات..

●هذا كاتب معذور وشهادته لاتصلح لأن السيدة فريدة النقاش شقيقة زوجته تمتلك مركزاً يمول، والسيد جاسر عبد الرازق نجل حسين الرازق صهره يمتلك هو الآخر مركزاً بالوراثة.. ومن حقه أن يدافع وأن يلعب أكروبات!!

بقى أن أقول أخيرا إن الوطنية لاتباع ولاتشترى، وإن الدفاع عن مصر وأمنها وكرامتها هو الهدف والغاية لكل وطنى نبيل، وإننا فى سبيل ذلك مستعدون لمواجهة سلطة المال القذر، وأعوان الاستعمار الجديد حتى اليوم الأخير على ظهر هذه الأرض..

إن كل من يستعدى الأجانب على بلاده خائن مهما رفع من شعارات..

إن كل من يقدم تقريراً كاذبا ومشبوهاً يسئ إلى وحدة مصر فى مقابل المال الحرام يستحق أن يلعن فى كل كتاب، وأن يفتضح أمره للجميع..

إن كل من يقدم ولاءه لقتلة شعوبنا وأعداء أمتنا على حساب مصلحة الوطن وأمنه يستحق أن تقطع رقبته فى ميدان عام..

إننى أوجه الاتهام هنا للحكومة الصامتة أمام مؤامرات الغرب، والبيت الأسود الأمريكى.. فصمتها سمح لهم باختراق الوطن وأمنه وإقامة الركائز المتقدمة فى جسده لتقوم بمهام كان أصحابها حتى وقت قريب يلقون عقوبة الإعدام.

إن الجسد المصرى يجب أن يبقى قوياً معافى كما أن الاعيب الأجانب على الساحة المصرية يجب أن تتوقف، فنحن لم نر من هؤلاء سوى المؤامرات وفرض الجهل والتخلف على شعوبنا.

إن كل مدافع وطنى شريف يجب أن يصرخ بكل قوة مدافعاً عن أمن مصر، ومعلناً رفضه لمحاولات الاختراق الأجنبى التى تتم عبر الحكومة أو عبر هذه البوتيكات.

إن مصر أكبر من الجميع، وأهم من الجميع.. أما الذين يحرضون الغرب على وطنهم فهم يقدمون دليل إدانتهم من جديد.

العدد ٩٥

٧/١٢/١٩٩٨م

بداية النهاية

لاتتركوا العراق يسقط.

المؤامرة هذه المرة كبيرة، خطة مكتملة الأركان، جيوش برية وطائرات حربية، احتلال وقتل، تمزيق للوطن واهدار لسيادته، دويلات طائفية ومعارك قبلية..

أمريكا تعلن خطتها بكل وقاحة، تدعم الخونة الذين يطلقون على أنفسهم معارضة بالمال والسلاح، تبنى من فلولهم جيشا تحت الإمرة الأمريكية والبريطانية.

إن لكل منا ألف تحفظ وتحفظ على صدام حسين ومواقفه، ولكن من يقبل أن يحتل بلد عربى بقوات أجنبية؟ من يقبل أن تحدد لنا واشنطن من الذى يحكم لنا أوطاننا..

قد يظن بعض المخدوعين أن ذلك الحل ربما يكون منقذاً لشعب العراق، ومنهياً لأزماته، وحصار التجويع والإذلال المفروض عليه، ولكن الحقيقة تؤكد أن مايدبر للعراق سينهى الوطن العراقى ويمزق أوصاله.

إن أمريكا لن تنصب سوى العملاء فى الحكم، سوف تولى كلا منهم على إمارة فى الشمال والوسط والجنوب، لتبدأ معارك الطوائف، ولتعقد كل منها معاهده اتفاق مع إسرائيل، وتستعين فى حربها ضد الآخرين بقوات أجنبية تحتل أرض العرب وتستولى على بترول العراق..

ومايدبر للعراق ياحكامنا ياأهلنا هو «بروفة» لسيناريوهات أخرى سوف تنفذ فى المنطقة، وسوف تأخذ لنفسها أشكالاً ووجوهاً متعددة وتستند إلى مزاعم كاذبة ومضللة، كقانون الاضطهاد الدينى ومعاداة حقوق الإنسان إلى آخر هذه الاسطوانة المشروخة..

لاتصدقوا أن العراق هو فقط الذى يقف فى فوهة المدفع، ولا تعتقدوا أن القضاء عليه سينهى المخطط الأمريكى، ويتحقق الأمن والاستقرار، بل سنجنى جميعاً آثار ذلك وسندفع الثمن كاملاً وغير منقوص..

إن الثمن الذى تطلبه أمريكا وإسرائيل هو استعباد الأمة وفرض الهيمنة عليها والسيطرة على مواردها النفطية وخيراتها وثرواتها المعدنية..

إنهم يريدوننا عبيداً وليس أكثر.. لن يسمحوا لأحد فينا بأن يتنفس، سيدمرون قيمنا وينتهكون عرضنا ويكتمون صراخنا، ويقضون على اقتصادنا، ويشعلون الحرب والكراهية بين أهلينا..

يأيها السادة لاتبكوا على اللبن المسكوب، بل ابحثوا عن طريق للحل، انسوا ولو مرة واحدة شخص صدام حسين الذى سيرحل بيد شعبه إن لم يكن اليوم فغداً، حاولوا أن تتدبروا الأمر قبل فوات الأوان.

إن الظلم الأمريكى الواقع على العراق أكبر من أن يطاق، لقد خلع العراق كل ملابسه، ارتضى بالعقاب لأكثر من ثمانى سنوات، شرب كأس المذلة والهوان فتشوا غرف النوم فى طوله وعرضه وجيوب الأساتذة وذقونهم، لم يتركوا شبراً على أرض العراق، وما إن انتهوا حتى عادوا إلينا بلعبة الوثائق من جديد.

إنه سيناريو معد سلفاً، إنه إنهاك للعراق استمر لسنوات حتى جاءت اللحظة التى سيدمرون فيها الوطن على رؤوس أهله..

ماذا نفعل نحن؟.. هل نسكت؟ هل نصمت؟ وإذا آثرنا السلامة، هل يتركوننا وشأننا أم أننا سنؤكل في وقت لاحق وساعتها لن يفيد الندم؟..

يأيتها الأمة المهزومة فى شرفها وعرضها.. يأ يها الشعب العربى الصامت بلا حراك.. هل أنتم فى حاجة إلى من يعطيكم دروساً فى حب الأوطان؟ هل أنتم لاتدركون النار التى اشتعلت في الأثواب؟!

ماذا حدث لكم؟ وهل تأثير الكنتاكى والماكدونالدز أعماكم عن الحقيقة؟.. وهل نجح الإعلام الفاسد فى تزييف الوقائع؟

إن الأيام القادمة تحمل مخاطر كبيرة على أمتنا القومى، وآن لنا أن نتحرك، وأن نقول لعاهر البيت الأبيض: كفى!!

إن مونيكا تصددت، وبولا جونز حصلت على حقها «كاش» وكل مانريده هو أن يتركنا سادة النظام العالمى الجديد نعيش فى حالنا.

كل مانطلبه هو أن يسمحوا بالدواء لأطفالنا، وبالكساء لنسائنا.. وبلقمة الخبز لشيوخنا، لانريد شيئاً سوى العيش فى سلام. فهل هذا ياسيد كلينتون بمستحيل فى ظل نظامكم الجديد؟!

بداية جديدة

لن نشمت فى أحد، لن نهتف أو نهلل لانتصار «الأسبوع» فالنصر الحقيقى صنعه مجلس أمناء المنظمة المصرية لحقوق الإنسان.. هؤلاء الصفوة من شرفاء الوطن الذين تحركوا ودعوا إلى اجتماع طارئ أعادوا خلاله الأمور إلى نصابها الطبيعى.

لم يساورنى الشك ولو مرة واحدة فى أن الأساتذة الذين تعلمنا على أيديهم كل معانى الوطنية والانتماء لن يصمتوا، ولن يضعوا الرؤوس فى الرمال، بل كنت على يقين أن كل شئ سيعود إلى مجراه الصحيح، وأن أحداً منهم ليس مستعداً أن يرتهن تاريخه، وأن يشوه نضاله الوطنى العظيم مقابل حفنة من الدولارات المغموسة بدم أطفالنا فى العراق وفلسطين وليبيا والسودان، أياً كانت المبررات وأياً كانت المشروعات الموجهة إليها.

كم كان مؤلماً على نفسى أن أنشر فضيحة الشيك المقدم من السفارة البريطانية إلى المنظمة، فالجرح أصاب الجميع، لكننى حاولت أن أدق جرس الإنذارلحماية المنظمة من بعض عناصرها، لأننى كنت على ثقة بأن رجالاً بوزن د. يحى الجمل ود. سليم العوا وعادل عيد والمستشار سعيد الجمل ود. عاطف البنا ود. أيمن نور وآخرين لن يسمحوا للأمر بأن يمر مرور الكرام.

وهكذا جاءت قرارات مجلس الأمناء حاسمة، ولعل أبرزها إعادة الشيك المقدم من السفارة البريطانية، ورفض أى تمويل أجنبى من السفارات، أو الجهات الحكومية، أو شبه الحكومية، وبحث إعادة النظر

فى التمويل من كافة الجهات المانحة، وكل هذه قرارات أسعدت كوادر المنظمة قبل الآخرين، وحمت المنظمة أيضاً من أى انتقادات قد تنال من دورها وسمعتها..

إننى أدرك عن يقين أن أصحاب المصالح الذين طردوا شر طردة من صفوف المنظمة هم الذين لعبوا اللعبة، وتآمروا على الجميع من الخلف، لأنهم يريدون المنظمة بوتيكاً يتلقى التمويل، ويسعون إلى تهميش دور قادتها الذين اكسبوا المنظمة سمعة مصرية وعربية ودولية كبيرة.

لقد أرادوا أن يصبح الأساتذة وكبار المفكرين مجرد ديكور أو غطاء يضمن حماية التمويل والاستثمار دون أن يكلفوا أنفسهم حتى مجرد إبلاغهم بالحقائق كاملة، أو بالتصرفات التى تجرى من خلف ستار.

إن أحد اصحاب هذه البوتيكات صرف أكثر من سبعين ألف جنيه خلال الانتخابات الأخيرة لمجلس أمناء المنظمة ومنحها كمواصلات لبعض المشاركين من المحافظات حتى يضمن السيطرة على المنظمة من خلف ستار. فهل يستطيع أن يقول لنا لماذا فعل ذلك؟ ومن أين جاء بكل هذا المال الذى يصرفه ببذخ شديد؟.

من هنا أقول: إن حملتنا لم تستهدف المنظمة التى نعتز بنضالها، لكنها تستهدف بعض التصرفات المرفوضة التى تسىء إلى دورها، وإلى سمعتها التى يعتز بها كل مصرى، وكل مدافع عن حقوق الإنسان.

لقد لعبت المنظمة المصرية أدواراً مهمة فى الدفاع عن حريات المواطنين، وكشف التجاوزات وحالات الاعتقال العشوائى، والتعذيب داخل السجون، وانتهاك الحريات فى مجالات عديدة، وكل هذه أمور تستحق الإشادة والتقدير، وتدفع كل مخلص إلى كشف كل من يسىء إلى هذه الرسالة النبيلة.

إن الغرب الذى يتباكى على حقوق الإنسان، ويسعى إلى تقديم ملايين الدولارات لأصحاب البوتيكات لايدفع كل هذه الأموال حباً فى جمال عيون المصريين، بل محاولة مفضوحة لاختراق الصف الوطنى، وربط الجمعيات الأهلية غير الحكومية بالجهات المانحة ضماناً لتحقيق المخططات على الوجه الأكمل، واستغلال كل مايكتب لمصلحة الإساءة إلى مصر.

إن «الأسبوع» تعدكم بأنها ستبقى تطارد هذا الطابور الخامس على أرض مصر وتكشف عناصره المقيتة إلى ان تضع الدولة حدا لهؤلاء الذين يفرطون فى الأمن الوطنى ويقدمون أسرار المجتمع ويشوهون صورته لصالح الصهاينة والغرب والأمريكان.

إن كل من يريد أن يثبت صدقه ووطنيته ليس أمامه إلا أن يتبرأ من المال الصهيونى الذى يقدم عبر المنظمات المرتبطة باليهود وإسرائيل حتى وإن رفعت يافطات حقوق الإنسان.

إننا ندعو كل الشرفاء فى مصر إلى الإعلان عن موقفهم من هذه الظاهرة التى استشرت وامتلكت المال الفاسد الذى راحت تستخدمه فى التجسس على كل شىء وشراء النفوس الضعيفة لتتحول تدريجيا إلى

دولة داخل الدولة مستنجدين فى ذلك بأسيادهم فى السفارات الأجنبية بالقاهرة.

وإذا كانت الدولة تقف عاجزة غير قادرة على الفعل، مجاملة للغرب، فالواجب على كل مصرى غيور على هذا الوطن أن يتحرك ليس باتجاه إغلاق هذه المنظمات، وإنما باتجاه وضع آليات تمنع عنها التمويل الأجنبى، وبالتالى توقف إرسال هذه التقارير وتلك الأبحاث إلى الجهات الغربية، التى تتعاقد على تقديم الأموال. لقد وصل التحدى بأحد هؤلاء إلى أن يدلى بحديث لإحدى الصحف التى تصدر فى مصر، ويؤكد فيه أنه ليس ضد التدخل الأجنبى فى شئون مصر، مادام ذلك لحماية حقوق الإنسان.

وكنت أتمنى من هذا الشخص أن يفسر لنا مفهوم الغرب لحقوق الإنسان، وعما إذا كانت تلك المفاهيم تتعارض مع قيمنا ومفاهيمنا الوطنية أم لا؟!

كنت أتمنى منه أن يوضح لنا سر انحيازه للتدخل الأجنبى ضد مصلحة بلاده، وهل تساوى أموال الدنيا كلها أن ينطق بمثل هذه العبارة التى تمثل طعنة فى الجسد المصرى؟!.

إن مايخيفنى فى كل مايجرى هو هذا الاحساس بأن أمن الوطن أصبح مستباحاً، وأن هناك فئة من البشر آلت على نفسها مهمة تخريب العقول، والمتاجرة بأحشاء الوطن والاساءة إلى سمعته.

إن أمريكا والغرب لايريدون خيراً لهذا الوطن، ولذلك علينا أن نكون حذرين من مخططاتهم الجديدة التى تحمل يافطة حقوق الإنسان، وحقوق الإنسان منها براء..

وإذا كنا ننصح الغرب بالالتفات إلى مشاكله الداخلية ورأب الصدع في مجتمعاته، ووقف أشكال التمييز العنصرى والطائفى بين صفوف أبنائه، فأولى أن نطلب من هؤلاء المحسوبين على الصف المصرى أن يتوقفوا عن مد أيديهم إلى خزائن الغرب، وأن يدوسوا بأقدامهم على دولاراته الملوثة، وأن يقتدوا فى ذلك بالقرارات الحاسمة، التى اتخذها مجلس أمناء المنظمة المصرية لحقوق الإنسان.

إننى آمل فى أن تمتد الانتفاضة التى شهدتها المنظمة المصرية إلى سائر المنظمات الأخرى على ذلك يمثل بداية لعلاقة رشيدة بينها وبين سائر منظمات المجتمع المدنى وأدواته وصحفه ووسائل إعلامه.

بقى أخيراً أن أقول إن «الأسبوع» سوف تظل ثابتة على مواقفها، وإنها لن تهتز أمام محاولات التآمر المكشوفة، والأموال المشبوهة، لأننا ندرك عن يقين أن النصر هو حليف الشرفاء، وأن العار والهزيمة ستلحق بالجبناء.

العدد ٩٤

٢٠/١١/١٩٩٨م

ياللعــــار !!

اقرأ ولاتتعجب...

بين يوم وليلة تستطيع أن تصبح مليونيراً، حسابات فى البنوك، تغير فجائى فى مستوى المعيشة، دولارات تحاصرك من كل اتجاه، أموال كاش تتدفق إلى الجيوب بعيداً عن العيون، فقط عليك أن تعلن عن تأسيس بوتيك، لن يكلفك سوى التسجيل فى الشهر العقارى، كمؤسسة مدنية لاتسعى إلى الربح، وأن تفكر قليلاً وترصد بعض مايطلق عليه انتهاكات حقوق الإنسان، وأن ترفع لائحة بكل ذلك إلى جهات التمويل فى الخارج..

ليس مهماً أن تجيد لغة أجنبية حتى تخاطب، يمكنك أن تستعين بمترجم وتمنحه مبلغاً كبيراً، أو نسبة مما ستحصل عليه من الخزائن الغربية والأمريكية، التى ستفتح أبوابها لك، طالما أنك تمضى على الطريق،. وتساعدها فى تشويه وجه الوطن المصرى والإساءة إلى مؤسساته وقياداته.

بعد قليل قد «يفلت منك» المترجم ليؤسس لنفسه مركزاً بعد أن يكون قد شرب اللعبة وعرف أبعادها، ولكن ذلك ليس مهماً، فالمال وفير، ويمكنك الاستعانة بآخر وآخر، ولا ضرر ولا ضرار..

إن أمامى أمثلة عديدة عن المليونيرات الجدد وثرواتهم التى تتصاعد بشكل مستمر، وهؤلاء لايتلقون أموالهم من جهة واحدة، بل جهات متعددة فى كندا والولايات المتحدة والسويد والدنمارك وهولندا، وغيرها كثير..

قد يقول البعض: وهل يمكن أن يؤثر التمويل فى لغة وطريقة رصد الانتهاكات الخاصة بحقوق الإنسان والتى تقوم بها هذه المنظمات والمراكز؟!.

والاجابة هنا.. نعم، فأنت تخاطب هنا مصدر التمويل، تقدم إليه مشروع البحث، أو الكتاب أو الندوة، فإذا ما وجد أن هناك التقاء فى الأهداف فإنه لن يتردد..

إذا ماعرفنا أن غالبية هذه الجهات المانحة مرتبطة بشكل أو بآخر بالدول أو أجهزة المخابرات العالمية لأدركنا يقيناً أن أهداف هذه المنظمات لايمكن أن تكون بريئة، وأن كل دولار يدفع إنما يدفع فى مكانه الصحيح، وأن ضرب مصر والإساءة إليها من خلال هذه البوتيكات ربما يكون مبرراً وسنداً قوياً لإضفاء نوع من المصداقية على هذه التقارير التى تكتب بأيد مصرية..

هناك بوتيكات تعمل بحرية على الأرض المصرية تصدر تقارير عن اتجاهات الرأى العام بشكل أسبوعى وتسلم إلى جهات أجنبية

رسمية وسفارات معادية على الأرض المصرية، وعندما تتحدث محذراً من هذا السلوك يقال لك إذن أنت ضد حرية البحث العلمى، ومعرفة نبض الجماهير.. أنت ضد حقوق الإنسان!!

وإذا قلت: ولماذا لاتجرى هذه الأبحاث لصالح جهات رسمية مصرية بعيداً عن الأجانب؟ خرج عليك المتفلسفون ليقعدوا وينظروا عن العولمة الجديدة، وأدواتها لتجد نفسك فى نهاية الأمر واحداً من المحسوبين على الصف المتخلف ذهنياً وفكرياً، والذى يبدى مشاعر وتخوفات لا أساس لها، ويتحدث عن شعارات مضى زمانها!!

والغريب هنا يا أخى أن غالبية مؤسسى هذه البوتيكات والعاملين فيها هم من بقايا اليسار الماركسى، والناصريين الذين رأوا أن هذا الطريق ربما يكون أسرع لتحقيق الشهرة والمال معاً، كما أنه يقدمهم أيضاً إلى جمهور البسطاء وكأنهم حاملو مشعل الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان.

ولأن هؤلاء تربوا فى مدارس سياسية لديها القدرة على التحليل، وتمتلك المصطلحات التى تساعد على التبرير، والخبرة التى تفتح الطريق، لذلك تجدهم قادرين على فعل الشئ ونقيضه، وإقناعك أيضاً بالشئ ونقيضه.

إن المرء ليعجب من هذا المال الذى يتدفق بوفرة ليصل إلى أكثر من ١٠٠ مليون دولار سنوياً كمنح لمراكز وجهات بحث وحقوق إنسان، ويتساءل هل كل ذلك بلا هدف؟ وهل أصبحت قلوب الغرب والأمريكان هى الأكثر حرصاً على حقوق الإنسان العربى؟ ولو كان

الأمر كذلك فكيف نفهم موقفهم من حصار التجويع المفروض على العراق؟ ولماذا لا نسمع صرخاتهم أمام كارثة الأطفال العراقيين الذين مات منهم في ثماني سنوات أكثر من ٨٥٠ ألف طفل؟!

إن القضية في تقديري تعود إلى رغبة الغرب في تفتيت الكيانات المستقرة حضاريا وفتح الطريق أمام العولمة لاجتياحها، وهذا لن يتم إلا بتمزيق هذه الكيانات أولاً عبر إثارة النعرات الطائفية والقبلية فيها، واشعال الحروب الأهلية بين أبنائها، لفتح الطريق أمام الهيمنة الصهيونية - الغربية على بلادنا.

ولأن مصر تشكل ضمن هذه المنظومة واحدة من الدول المستهدفة فقد تكالبت عليها جهات التمويل التي تحركها أجهزة الاستخبارات لتفتح الخزائن أمام ضعاف النفوس الذين اشتروا بدورهم بعض الباحثين الجادين باغراءات المال..

ولأن للمال سحره فقد أصبح أقرب طريق للثراء أن تفتح لك مركزاً للدفاع عن حقوق الإنسان أو الحيوان تتساوى في ذلك مقاومة الختان مع ذبح الخرفان، فالكل في النهاية معرض للاضطهاد، والمهم من يصطاد المعلومة ويدفع بها إلى جهات التمويل، حتى تنفتح وتذهب إلى مراكز البحث والتحليل، أو تستغل للإساءة للوطن، وتفتيت كيانه.

هل تتصور مثلاً - ياعزيزي القارئ - أن هناك مركزاً معنيا بأبحاث حقوق الإنسان يمنح راتباً شهرياً لكل باحث معروف لايقل عن عشرة آلاف جنيه، هذا بخلاف المنح والهبات التي تقدم مع كل بحث أو مشروع ينال الرضى السامي في عواصم التمويل؟!

وهل تدرك أن صاحب واحد من تلك البوتيكات قدم منذ عدة سنوات مشروعاً إلى جهة كندية لاجراء بحث حول ما أسماه باضطهاد الأقباط فى مصر، وأن هذه الجهة ردت عليه بتأجيل المشروع، وأنه ألح عليها لعدة مرات طالباً توفير المال اللازم حتى يقدم معلومات ربما تثير ضجة خارج مصر عما يسميه بحالات الاضطهاد الصارخة التى يعانيها الأقباط فى مصر؟!

هل رأيتم أناسا يتطوعون للاساءة إلى وطنهم أكثر من ذلك؟ وهل أيقنتم أن سلاح المال الفاسد قادر على أن يحيل البعض إلى مجرد جواسيس حتى لو ارتدوا الملابس الرسمية، وإذا عاتبت أحدهم على هذا المسلك، لا يخجل وإنما يتساءل بوقاحة لماذا تحرمون التمويل الأجنبى علينا، بينما الدولة تقبل التمويل على هيئة منح من جهات أجنبية؟!

كأنهم بذلك يريدون الوطن بوتيكا للإيجار، الصحافة تمول، والأحزاب تمول، ليس مهما من يدفع المهم أن يكون التمويل الأجنبى حقا من حقوقها، والحجة هنا أن الدولة نفسها تقبل التمويل !!

بالذمة .. هل هذا منطق يمكن التعامل معه ؟ وهل تصل البجاحة بالبعض إلى أن يساووا رؤوسهم برأس الدولة التى إن قبلت المعونة أو التمويل فهذا لصالح الوطن، ومن خلال أطره الرسمية؟ أما التمويل الآخر فهو الاختراق بعينه لأنه يربط فئات من الشعب وأدواته بجهات استخبارية خارجية حتى لو كانت تتخذ من حقوق الإنسان يافطة لنشاطها ..

لقد جاء إلىّ أحد الأشخاص منذ فترة من الوقت ليتباحث معى فى انشاء مركز «الصعيد» لحقوق الإنسان، حيث طلب منى أن أترأس

المركز، مشيرا إلى أن التمويل جاهز والمقر جاهز، وكل مهمتى هى أن أضع اسمى واستعين ببعض الأصدقاء، لتشكيل مجلس الأمناء، وأترك البقية له، ليست هناك أى مشكلة ..

● سألته عن سبب الفكرة ..

● قال لى بكل ثقة : إن للصعيد خصوصيته الثقافية، وهو محروم من التنمية، وتمارس على أرضه انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان!!

● قلت : إذا كان ذلك صحيحا، فلماذا لا نرفع مظلمتنا إلى حكومة مصر، لأننا جزء من أرض هذا الوطن؟

● قال الحكومة لن تستمع إليك .. لكن جهات عديدة فى الخارج ستستمع جيدا لكل كلمة تكتب ولكل ندوة تعقد ولكل بحث يقدم وستمارس ضغوطها لإجبار الحكومة المصرية على الاستماع لصوت الصعيد.

● قلت : وبعدين؟

● قال سيساعدوننا فى تقديم منح مالية كبيرة لأى مشروعات مقترحة، كما سيرصدون مئات الآلاف من الدولارات للأبحاث المعنية بشئون الصعيد.

قلت : هذا هو الاختراق بعينه.

قال : الدولة ليست ضد ذلك.

قلت: لكننى ضد ذلك.

هل رأيتم أين وصلت تجارة البوتيكات؟ وكيف يبحثون عن مداخل ترضى الغرب وتحقق أهدافه ولو على حساب أمننا القومى ؟

لقد تفاعل الكثيرون، أو لنقل خدع الكثيرون بالأهداف السامية المعلنة لبعض هذه البوتيكات ، ولكن الحقائق تؤكد كل يوم أن هذه المراكز إنما تعمل بالأساس لصالح الغرب أكثر من كونها تعمل لصالح هذا الوطن حتى لو كان الهدف المعلن مناصرة المعذبين ، أو المهدرة حقوقهم فى مواجهة انتهاكات الحكومة.

إن مهمة الدفاع عن حقوق الإنسان هى مهمة نبيلة، ولكن بعيدا عن التمويل والاختراق الأجنبى الذى أصاب أصحاب هذه المراكز بحالة من السعار والنهم للمال الملوث جعلتهم لا يفرقون بين أهداف الغرب، وأمن الوطن.

إننى أضرب هنا مثالا واحدا عن محاولات الاختراق العديدة والمتعددة، وهو التقرير الذى أصدرته المنظمة المصرية لحقوق الإنسان عن أحداث الكشح. لقد استغل هذا التقرير أسوأ استغلال وكان واحدا من التقارير التى استندت إليها «كريستينا لامب» فى تقريرها الكاذب الذى نشرته على صفحات الـ «صنداى تليجراف».

ورغم أن المنظمة حاولت أن تقدم تبريرات كاذبة عن تقريرها وتصدر بيانا لاحقا تقول فيه: إنها لم ترصد أى انتهاكات ضد المواطنين بسبب هويتهم الدينية إلا أن الغريب فى البيان الصادر عنها أنه تضمن رصداً لحالة ٣٢ قبطيا تم استدعاؤهم أو القبض عليهم فى أحداث الكشح وتجاهلت عن عمد رصد لو حالة مسلم واحد رغم أن من تم استدعاؤهم من المسلمين ٢٨ شخصا فى ذات الحدث..

ومع ذلك صمتنا، وقلنا ربما سها المحامى الذى أرسلته المنظمة لتقصى الحقائق، ولكن فجأة جاءنى أحد المقربين من المنظمة بصورة

الشيك المنشور فى هذا العدد، والذى يؤكد أن سفارة أجنبية تكن العداء لمصر قدمت إلى المنظمة شيكا بمبلغ قيمته ٢٥ ألفا وسبعمائة وثلاثة دولارات.

تفحصت الشيك، لم أصدق، فهذه المنظمة وغيرها يقولون دوما إنهم لايقبلون المنح والأموال من جهات أجنبية معنية بحقوق الإنسان، فما هذا الذى أراه أمامى؟!

سألت ولماذا ٢٥ ألفا وسبعمائة وثلاثة دولارات؟ وما لزوم السبعمائة وثلاثة دولارات؟ لماذا لم يصدر الشيك مثلا بقيمة ٢٥ ألف دولار فقط؟

وهنا كانت المفاجأة لقد قال لى هذا الشخص الذى صحا ضميره بعد أن رأى الواقعة: «إن الشيك خرج بقيمة المبلغ المقدم إلى هذه السفارة كبدل انتقال وبحث وإقامة لرصد ما جرى فى الكشح على مدى عدة أيام».

قلت : وهل هذا يعقل ؟

قال: ذلك أن الأمانة لديهم واخدة حقها!!

تفحصت الشيك أكثر من مرة غير مصدق .. ثم عرفت بعد ذلك أن تقرير المنظمة عن الكشح صدر بتاريخ ٢٨/٩/٩٨وأن الشيك سلم إلى المنظمة بتاريخ ٨/١٠/٩٨ وتم تحويله من بنك باركليز، حيث حساب السفارة الأجنبية إلى حساب المنظمة المصرية رقم ٢٥٢٥١ بالبنك العقارى العربى وعنوانه ٣٣ شارع عبد الخالق ثروت فى ٢٩/١٠/١٩٩٨.

إذن التقرير لم يكن بريئاً، وخطأ السفارة الأجنبية أنها تصورت أن أحدا ربما لن يلتفت أو يدقق فيما يجرى، وأن المسألة ربما تمر، وأن مستلم الشيك سوف يذهب به مباشرة إلى البنك وقد لا يصوره، وإذا صورة فالصورة لن تسقط فى يد أحد، ولكن الله أراد للفضيحة أن تنكشف، وأن تسقط كل ادعاءات الشرف والنزاهة . فالأمر لا يعدو أكثر من كونه لعبة مخابراتية، تديريها سفارات أجنبية على أرض مصر على حساب أمننا القومى.

لقد أبدى البعض دهشته من قيام إذاعة لندن بقراءة تقرير «كريستينا لامب» الذى نشرته الـ «صنداى تليجراف» أكثر من خمس مرات، وهو أمر لم يحدث من قبل، واندهش البعض من هذه الحملة غير المبررة، والتى تتخذ من حادث الكشح وسيلة للاساءة لمصر، ولكن الكشف عن هذا الشيك والجهة التى قدمته يؤكد أن المسألة مدبرة ومخططة من الأساس.

والآن ما هو العمل ؟

والرأى هنا للسيد المستشار النائب العام، فهذه قضية تتعلق بالامن القومى لهذا البلد .. وأنا مستعد للكشف عن اسم السفارة وكل المعلومات إذا ما تقرر فتح تحقيق حول واحدة من أخطر محاولات اختراق الأعداء لأمننا وبيوتنا وأسرارنا وللأسف أفراد من أبناء شعبنا.

لعن الله المال الملوث، ولعن الله كل من يرتد عن مبادئه، ولعن الله كل من يصمت أو يسكت أمام استباحة كل شئ على أرضنا.

اللهم بلغت اللهم فاشهد.

العدد ٩٣

٢٣/١١/١٩٩٨م

أمرك ياسيدى

أنا لن أتحدث عن الضربة المتوقعة أو التراجع عنها، فنحن أمام رئيس فى حالة هياج دائم ومستمر، يهوى التحرش على المستوى الإقليمى والدولى.. الشهوة وحدها هى التى تتحكم فى قراراته، أما العقل فقد ألقاه منذ حين تحت أقدام الآنسة مونيكا لوينسكى..

والشهوة هنا أصبحت إدمانا، ثم تحولت إلى رغبة فى الإذلال، وانتقلت بالتبعية من رئيس إلى آخر، نيكسون تآمر علينا، وفورد لعب بعقولنا، وريجان ضرب ليبيا وسعى إلى قتل القذافى فى منزله، وكارتر منحنا السم فى العسل، أما بوش فقد دخل إلى بيوتنا وخرّب ديارنا، وأحرق أطفالنا، وهكذا جاء المراهق كلينتون ليستكمل المسيرة، ويكمل طرد العشيرة وهدم البيوت وقصف الرقاب وتأديب العباد..

ونحن بدورنا قوم كرم.. الشهامة سمتنا، والأصالة من صفاتنا، وعندما يأتينا الضيف، نفتح البيوت وغرف النوم، ويا هلا بالضيف.. الأمريكى أخونا وأبونا، من حقه أن يعبث فى الجسد كما يشاء.

ألم نسم أبناءنا عبدالله جورج بوش، ومحمد بوش، وسوزى بوش؟! كـرّم الله وجوههم جميعاً وأنبتـهم نباتاً حسنا فى ظل النظام العالمى الجديد. بعض السفهاء من مرتزقة الأنظمة يقولون: إن ما يجرى فى المنطقة هدفه استنزاف الثروات، وحل الأزمات الأمريكية على حساب ثروات العرب ونفط العرب، ونحن بدورنا نقول لهم: كفى يا سادة، كفى شعارات وكلام ستات.. وإيش نسوى بكل هذه المليارات، هوه كان مال أبونا، الخير خير الكل وإحنا وفلوسنا وخيراتنا وأولادنا كلنا فداء للمتحرش الأكبر أبو العيون الخضر، عريض المتكبين، طويل القامة الحاج بيل بن كلينتون هدانا الله على طريقه، وحفظه لنا من كل سوء، حتى يبقى هكذا يشع بنوره الوضاء على المنطقة بأسرها.

ألا يكفى هؤلاء - بصراحة كده - هذه المشقة التى يتحملها الرجل فى الرد على الشائعات التى اعترف بأنها حقائق فى وقت لاحق؟!.. إن أكثر ما يغيظنى فى تلك الساعة هو الأنباء التى تتردد عن التكلفة التى تحملها السيد بيل كلينتون فى دفعه مبلغ ٨٥٠ ألف دولار للمتحرش بها «بولا جونز» حتى توقف دعواها ضد الرجل صاحب الأيادى البيضاء.. قد يسألنى البعض: وما الذى يغيظك أيها الصعيدى ؟ .. هنا أقول: أين الشهامة التى تميز بها العربى؟! لماذا لم يدفع أحد رجالاتنا الأفاضل الذين يكدسون أموالهم فى بنوك الخارج قيمة المبلغ للسيد كلينتون؟! لماذا نتركه وحده هكذا مع أننا نصرف أموالنا فى توافه الأمور؟!

آه لو فعلها عربى أو حتى لوجمعنا المبلغ فى شكل اكتتاب جماعى.. قسما إن كلينتون كان سيحفظ لنا هذا الجميل طيلة العمر.. وربما ساعده

ذلك على ممارسة المزيد من التحرش، بالضبط كما يفعل مع العراق الشقيق..

لقد ذاق طعم الدينار والريال والدرهم، وأدرك أن كل جولة تحرشية سيخرج منها بقرشين حلوين، لذلك قرر أن يمارس اللعبة بين الحين والآخر.. وعلى «قد الفلوس» يكون التحرش.. ومنذ أيام ونحن نشهد نية التحرش فى عيون كلينتون، بدأ اللعبة، دفع الأمور إلى حد التصادم، مهد الأجواء، تجاهل عذاب الجوعى، نسى أنه يفتش فى جسد العراق ثمانى سنوات.. انتظر رد الفعل، ثم قرر التحرش..

وهكذا أصبحنا فى الانتظار.. قد يبدأ التحرش صباحاً وأنت تقرأ الجريدة، أو يحدث مساء، المهم أن الرجل عقد العزم، وحتى لو أجل الضربة هذه المرة، فليس معنى ذلك أنه سيكف عن التحرش ويلتزم الطهارة فى الأداء، والعفة فى التعامل مع الآخرين.

وهذا المتحرش لايكتفى بالعراق وحده، لكنه يتحرش بليبيا والسودان ويحاول الآن التحرش بمصر، وأيضا بسوريا، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو بالوكالة عن طريق طرف ثالث، وهو فى كل ذلك يتعامل معنا بذات تعامله مع آنسات البيت الأبيض الأمريكى وملحقاته.

قد يتساءل بعضنا طب وبعدين؟ لقد جف الضرع واحترق الزرع، وتحول أطفال العرب إلى هياكل عظمية، ماجدات العراق لايجدن ما يسترن به عوراتهن، والآباء يبحثون عن الغذاء للأبناء فلايجدون، الدواء نادر، والحياة مرة مرارة العلقم، بينما سيد البيت الأمريكى يوزع ابتساماته المريبة وقنابله الثقيلة ويدخل يده فى هدوء شديد ليخرج ما تبقى من دينارات فى جيوبنا.

أما نحن فلا نكتفى بالصمت، وإنما دائما نزايد على كل شىء، هدفنا الأوحد هو إشعال الحروب ضد بعضنا بعضا.. نهلل للأعداء وبعد حين من الوقت نعود لنشق ملابسنا ونندب حظنا، مع أننا صمتنا بل تواطأنا، فتحنا ديارنا للأعداء، ومنحناهم المشروعية لهدم الحصون على رؤوسنا جميعا.

خذ مثلا ما يجرى فى فلسطين، لقد تحول السادة أعضاء السلطة الفلسطينية إلى حراس للأمن الإسرائيلى، سمحوا لرجال المخابرات الأمريكية بالتفتيش فى عقولنا وخلف جدران حوائطنا السميكة فصّلوا لنا اتفاق الـ «واى بلانتيشن» على مقاسهم هم.. نحن فقط الذين يتوجب علينا الالتزام، نحن فقط الذين ندفع الثمن، أما هم فكل الأفعال لصالحهم وكل التفسيرات لإرضاء خاطرهم.. المستوطنات والأمن، التلكؤ فى الانسحاب، تمزيق الوطن، القتل.. كل شىء .. أصبح جسدنا عارياً، أصبحنا ألعوبة فى أيديهم، ورقة يستطيعون تمزيقها فى أى وقت ونحن صاغرون صامتون.

نعم نحن ندخل إلى غرفنا الداخلية ونذرف الدموع، نعم يشعر بعضنا وليس كلنا بأنه منتقص الرجولة، ولكن قولوا لى بالله عليكم ماذا فعلنا؟.. نغلى.. نصرخ فى صمت يا حلاوة ردود الفعل الهادئة.. إجاباتنا منقوصة، آلامنا مكبوتة.

كأننا وجدنا ضالتنا عندما حملنا المسئولية لحكام الأمة، نحن أيضاً مسئولون نحن أيضاً آثمون؛ لأننا نصمت، لأننا ندوس على حناجرنا ونقطع ألسنتنا ونقيد خطواتنا.. ماذا ننتظر وأى حياة، وأى مرارة تلك التى تكسو حلوقنا، الصمت موت، دمار نهاية، إحساس بالعجز.

الصمت لغة ملعونة، تفتح الطريق أمام حثالة البشر لتمزيق أوصالنا وتجويع أشقائنا، وذبح أطفالنا، وأغتصاب أرضنا، وهتك أعراضنا..

معذرة يا قرائى الأعزاء.. معذرة إننى أكتب بعاطفتى وأترك العنان لقلمى ليزيل الضغط من على صدرى، فأنا مكلوم، أصرخ مثلكم، أتألم وأشعر بالهزيمة، لكنى لا أفقد الأمل فى المستقبل، لذلك سأبقى أصرخ وأخلط العقل الذى لايسعفنى بالعاطفة التى تجعلنى استدعى كل ما يعنّ لى من مفردات..

معذرة فأنا مصرى عربى، مواطن يحلم بالغد الآتى بعيداً عن الهيمنة والسيطرة، أريد أن أشعر أننا أحرار، أخاف من العبودية التى تسقط صفحات تاريخى، وتمنح الراية لعدوى.. هذا الحلم ليس تشدداً أو تطرفاً.. إنه حلم الأحرار فى كل مكان.. أما العملاء فهم وحدهم الذين يرتبط ولاؤهم بالدولار بعيداً عن تراب الوطن وسمائه.

إن المؤامرة أكبر من صدام حسين، صدام حسين لايعنينا فى شىء، وإن لم يذهب اليوم فسيذهب غداً، ولكن ما يهمنى هو الشعب، هو الأهل، هو التاريخ، هو الحضارة، كيف نسمح لهذا العاهر بأن يطوى صفحاتنا.. أن يوقف نمو أطفالنا وأن يعود بنا إلى الوراء لقرون؟!

لماذا لانؤجل الحديث عن مستقبل صدام إلى ما بعد وقف الحصار؟.. لماذا نختلف الآن والعدو يتربص بنا جميعا؟.. إن ما يجرى مع العراق يتكرر فى أكثر من مكان..

تأملوا معى هذه الحملة الشرسة ضد مصر وضد رئيسها الوطنى مبارك، إنها تمتد إلى كل مكان، فى بريطانيا وأمريكا، فى ايطاليا

وحتى الهند، الكل يحدثنا عن اضطهاد مزعوم، عن مذابح لا أساس لها.. إنهم يريدون تشويه سمعة الوطن والإساءة لقائده.

إذن هناك من يحرك اللعبة بخيوط بعضها معلن وبعضها خفى، لديهم عملاء نعم ، يدفعون لهم الملايين نعم، لكن كل ذلك يجب ألا ينال منا، بل يجب أن نواجه، وأن نكشف، وأن نفضح، وتلك هى رسالة كل شريف على أرض هذه الأمة.

العدد ٩٢

١٦/١١/١٩٩٨م

الرهان الخاسر

هل أصبحنا مطية لكل من هب ودب؟ وهل أصبح دمنا مستباحاً لأحفاد القردة والخنازير، يعبثون في الجسد المصرى وقتما يشاءون، ويسعون إلى إثارة الفتنة بين أبناء الوطن لمصالح وأهداف ندركها جيداً؟..

لقد قرأت تفاصيل الخطاب الذى أرسل به واحد من لوردات بريطانيا إلى سيده وتاج رأسه اللواء أحمد عبدالعزيز بكر محافظ سوهاج، واستفزنى إلى أقصى حد ممكن لأننى شعرت بجرح غائر فى الكرامة الوطنية، وأحسست بأن هذا اللورد يتحدث معنا وكأننا خدم وعبيد فى عزبة انجلترا العظمى!!

لقد تعدى هذا «اللورد» كل حدود الأدب والأخلاق فى مخاطبته لمحافظ سوهاج، بعد أن راح يعطيه دروساً فى كيفية أدائه لعمله، ويتوعد كل المصريين بأنه سيشن حملة عاتية لضرب السياحة المصرية.. وهكذا راح جناب اللورد يكشف لنا مجدداً عن أنه وأمثاله يتعاملون مع مصر بمنطق الأوصياء على القرار المصرى وأصحاب الحل والعقد على الأرض المصرية..

لقد حدثنى محافظ سوهاج عن هذا الخطاب الذى أرسل إليه من لندن منذ عدة أسابيع - أى قبيل هذه الحملة العاتية والمسمومة - لكننى لم أصدق أن تصل

الوقاحة بهذا اللورد إلى الدرجة التى تدفعه إلى مخاطبة المحافظ بلغة السادة والعبيد.

وما حدث من هذا اللورد، حدث من غيره كثيرين، بشكل أو بآخر وفى أحداث أخرى متعددة، حتى وصل الحال بالرئيس الأمريكى كلينتون إلى أن يدفعه خياله المريض للتدخل فى الشئون الداخلية المصرية، ليطالب بضرورة الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلى عزام عزام.

ورغم أن الرئيس مبارك كان حاسماً فى رفضه، فإن ذلك يكشف لنا مدى الاستهانة التى يتعامل بها الغرب والأمريكيون معنا، وكأن مصر ليس أمامها إلا أن تنفذ الأوامر والتعليمات، وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور.

إننى أعتقد - فى تقديرى - أن الحملة الظالمة التى تشن ضدّ مصر حاليا، ليست رد فعل على حادث جنائى بسيط شهدته إحدى قرى جنوب الصعيد، بل هو مخطط واسع النطاق كان ينتظر اللحظة ويتحين الفرصة..

وهو بالتأكيد ليس مخططاً مقصوراً على دولة غربية بعينها، بل هو حملة صليبية جديدة - بالمفهوم السياسى - هدفها تركيع مصر، وتمزيق أوصالها وكسر شوكتها، وإبعادها عن ممارسة دورها القيادى على الساحة العربية. ولا أظن أنه بات خافياً على أحد، ما يسببه هذا الدور من صداع دائم ومستمر لقادة الكيان الصهيونى أو حلفائهم فى الخارج، خاصة فى إطار محاولة مصر استنهاض الموقف العربى، والتمسك بالخطوط الحمراء فى ثوابت الأمن القومى العربى ومبدأ السلام العادل والشامل الذى يستند إلى عودة الحقوق العربية المشروعة إلى أصحابها.

وما يثير الانزعاج أكثر لدى الأعداء والخصوم هو نجاح الدبلوماسية المصرية على مدى السنوات الماضية فى كشف المخططات الإسرائيلية الرامية إلى فرض السيطرة والهيمنة، واجهاض المحاولات الخبيثة لاختراق الجسد العربى، وقيام علاقات تعاون اقتصادى تسبق الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة.

إننى لا أريد هنا أن أمضى فى سرد المواقف المصرية التى كانت سبباً رئيسياً فى إثارة الزوابع والأكاذيب حول الوحدة الوطنية المصرية، إلا أن التساؤل المطروح الان هو كيف يمكن أن نتصدى؟ وكيف يمكن أن نواجه؟!

- الأمر الأول: إن أى محاولة موضوعية لوضع تصور استراتيجى للعلاقة بين أبناء الوطن الواحد من المسلمين والأقباط توجب على الجميع أولاً التعامل بروح المسئولية الكاملة فى تدعيم الوحدة الوطنية، والوعى بالمخاطر الخارجية المحيطة بالوطن، والتى تراهن على تفتيت وحدته.

وهذا الآمر يستوجب بالتبعية فتح حوار علنى حول ما يثار من مشاكل تستخدم مادة للترويج من قبل أقباط المهجر بطريقة «ولاتقربوا الصلاة»، مما يتوجب معه الرد السريع والعاجل على كل ما هو مطروح.

لقد علمت أن النية تتجه حالياً إلى إنشاء لجنة من المسلمين والأقباط ـ ليس لها الصفة الرسمية ـ وسوف تكون هذه اللجنة معنية ببحث المشاكل الطارئة والرد على الحملات المغرضة، وهو أمر مهم بالنسبة للشارع المصرى، وبالنسبة لكشف الألاعيب المشبوهة التى تقوم بها فئات من المرتزقة بالداخل والخارج.

- الأمر الثانى: لقد أثبتت الأحداث الماضية أن هناك «طابور خامس» يعمل على الساحة المصرية يقدم التقارير الكاذبة ويروج لها تحت سمع وبصر

الدولة، وهو أمر جد مستهجن ويلقى استنكاراً واسع النطاق على الصعيد الوطنى. وإذا كنا نعرف أن هذه البوتيكات تفتح الطريق أمام محاولات اختراق الأمن القومى للبلاد، إلا أننا نبدى دهشتنا أمام صمت الحكومة المطبق عليها خوفا من ردود الفعل الغربية التى تقوم بتمويل هذه الجمعيات.

والملاحظة الغريبة هنا أن هناك تلكؤا حكوميا فى إصدار قانون الجمعيات، الذى من شأنه وضع الضوابط الكفيلة لضبط عملية التمويل الأجنبى، التى تتحمل عبء المسئولية الكاملة فى ولاء بعض هذه العناصرلمصادر التمويل، وتلبية مطالبها عبر التقارير الكاذبة التى تستخدم فى الخارج كمادة لتشويه سمعة مصر والإساءة إليها.

- والأمر الثالث: هنا هو أن الدولة المصرية مطالبة ـ وبشكل عاجل ـ بوضع أسس تقضى بمحاسبة كل من يسىء إلى الوحدة الوطنية فى الداخل أو الخارج، خاصة تجاه هؤلاء الذين يخدمون ـ وعن عمد ـ مخططات أجنبية هدفها الإساءة إلى صورة مصر وضرب وحدتها الوطنية فى الصميم.
- الأمر الرابع: وبنفس القدر يتوجب أيضاً على الدولة المصرية أن تتخذ من الاجراءات القوية والفاعلة فى مواجهة أى من الدول التى تخطط لإثارة الفتنة، وأن تمنع كل من تسول له نفسه الإساءة إلى مصر من زيارتها، حتى يرتدع الكافة ويرفعوا أيديهم عن العبث بأمن الوطن ووحدته.

إننى أكاد أجزم هنا بأن هذه المطالب تمثل رأياً عاماً فى أوساط النخبة والجماهير بعيداً عن أصحاب المصالح والمتاجرين بقضية الوحدة الوطنية، والباحثين عن موطىء قدم فى السلطة أو الإعلام ولو على حساب الأقباط جميعهم.

إن المرجعية الأساسية التى يجب الاحتكام إليها فى الشأن القبطى هى الكنيسة والبابا، أما هؤلاء الذين يخرجون إلينا من كل حدب وصوب، فهؤلاء ليسوا أكثر من مطية فى أيدى القوى التى لاتريد خيراً لمصر.

لقد أعادت إلينا بريطانيا برسالة اللورد ألتون ذكريات مريرة ـ كنا نظن أنها اندثرت ـ عن محاولات سابقة ومتعددة لإثارة الفتنة بين المسلمين والأقباط إلا أن هذه المحاولات كان مصيرها الفشل بأيدى الأقباط أنفسهم قبل المسلمين.

إننى أذكر هنا بواقعة شهيرة فى التاريخ المصرى، فبعد أن ضمنت بريطانيا اعتراف الدول الكبرى فى مؤتمر السلام بفرض حمايتها على مصر، لم يقلقها الموقف الدولى، بل أصبح مصدر قلقها الحقيقى هو الوحدة الوطنية المصرية، وأصبحت خطتها هى السعى لضرب هذه الوحدة قبل وصول لجنة ملنر.

فى هذا الوقت اصطنعت ـ كما يقول المستشار طارق البشرى ـ الوقيعة بين المسلمين والأقباط، وسعت إلى الإحياء الحذر الهادىء والمستمر للذاتية القبطية على حساب الانتماء الوطنى.

وقبيل وصول لجنة «ملنر» استقالت وزارة محمد سعيد بعد المظاهرات العنيفة، فسعى الانجليز يومها إلى إسناد رئاسة الوزارة ليوسف وهبة حتى تكمل سيناريو إشعال الفتنة بين أبناء الوطن الواحد.

وفى ذات اليوم الذى اسندت فيه الوزارة ليوسف وهبة راحت بعض الصحف تثير الفتنة، فماذا كان رد فعل الشارع المصرى؟ وهل استجاب لهذه الدعوات التى يدرك الجميع أن بريطانيا تقف خلفها؟!

بالعكس .. فقد دعت كنيسة القبط الكبرى إلى اجتماع فى هذا الوقت حضره حوالى ألفين من الأشقاء الأقباط وترأسه القمص باسيليوس وكيل

البطريركية ، وخطب فى اللقاء عدد كبير من القيادات الدينية والسياسية المصرية الانتماء، المسيحية الديانة، حيث أعلنوا جميعاً براءتهم من يوسف وهبة.

هنا احتكم الأقباط إلى الوطن، إلى الأرض والتاريخ، ولهذا لم يجدوا غضاضة فى أن يرسلوا إليه ببرقية عبرت عن هذا الجمع قالوا فيها: «إن الطائفة القبطية المجتمعة هنا فى الكنيسة الكبرى تحتج وبشدة على شائعة قبولكم الوزارة، إذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر، وهذا يخالف ما أجمعت عليه الأمة المصرية فى طلب الاستقلال التام ومقاطعة اللجنة».

وقالت البرقية: «إننا نستحلفكم بالوطن المقدس وبذكرى أجدادنا العظام أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن، الذى يسعى الانجليز من خلاله إلى تشويه الوحدة الوطنية».

إذن هذا هو موقف الأقباط عندما راح الانجليز يعينون قبطياً لرئاسة الوزارة.. لم يفرح الأقباط بالمنصب، فالوطن لديهم أهم وأكبر، وكل مناصب الدنيا لاتساوى لديهم ذرة واحدة من تراب مصر.

لم يسكت الأقباط أو يصمتوا، وقف يوسف وهبة وحيداً معزولاً، بل لم ينقض شهر واحد على تعيينه حتى قام شاب قبطى هو عريان يوسف سعد بإلقاء قنبلتين على سيارته للتخلص منه، فأخطأ التصويب وحكم عليه بعشر سنوات قضاها وراء الأسوار..

قولوا لى بالله عليكم من أجل من اجتمع هؤلاء الأقباط فى كنيستهم؟ ومن أجل من ضحى هذا الشاب المصرى القبطى بنفسه؟ هل هو من أجل إحياء الطائفية وتقسيم المصريين على أساس الدين؟ أم من أجل الوطن واستقلاله ؟!

إننى لست فى حاجة لتقليب صفحات التاريخ لأن أحداً لن يستطيع أن يزايد على الأشقاء ودورهم الوطنى على مدى تاريخ مصر القديم والمعاصر..

إن شهداءنا من الأقباط لم يموتوا وهم يقاومون المستعمرين على مدى التاريخ لإحياء النعرة الدينية، ولم يقفوا فى الخندق الواحد إلى جانب أشقائهم المسلمين طمعاً فى منصب أو مكان، ولكنه دفاع عن تراب مصر فى مواجهة القوى التى تريد شراً بمصر.

كان يمكن لهم أن يتحالفوا مع نابليون، وكان يمكن لهم قبل ذلك أن يقفوا مع الصليبيين ضد صلاح الدين، ولذلك، الصليبيون منعوهم من زيارة القدس، نكاية فى موقفهم المعادى لهم.

لم ينخدع الأقباط المصريون بحاملى الصليب، لأنهم كانوا يعرفون أن الهدف استعمارى بالأساس، وأن الدين هو مجرد غطاء وستار لمطامع خبيثة فى أرض العرب.

ولذلك عندما يأتى أشقاؤنا اليوم للرد على محاولات التدخل فى شئونهم وشئون الوطن، فهذا يعنى شهادة جديدة لعصر حسنى مبارك، وللعلاقة بين المسلمين والأقباط الراسخة كالهرم فى حضن التاريخ.

نعم ندرك أن مقالاً بذيئاً لكاتبة استقت معلوماتها من المشبوهين لن يضير الوطن أو يؤثر فى جسده المتين، لكننا نشتم من وراء هذا المقال وغيره من التحركات أن هناك مؤامرة تدبر لمصر فى الخفاء..

لقد فصلوا لنا قانون الاضطهاد الدينى، وزرعوا العملاء بين الصفوف، وأمدوهم بالأموال الكثيرة، وراحوا ينتظرون اللحظة لإجهاض المكتسبات التى حققتها مصر لإجبارها على الركوع للمطالب الأمريكية والصهيونية.

لقد راحوا يتساءلون كيف يجرؤ مبارك على عدم الإفراج عن الجاسوس عزام ؟ وكيف يرفض توسلات كلينتون ورجاءات نتنياهو؟ لماذا لا يشارك فى الضغط على الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين ؟ لماذا يبقى مبارك هكذا متمسكا بعروبته مدافعاً عن أمن أمته ؟

لماذا لايستجيب لطلب القضاء على القذافى، وتمزيق وحدة السودان، وإنهاء ما تبقى من العراق؟ لماذا يصر على إحياء إعلان دمشق، والحديث عن السوق العربية المشتركة ؟ لماذا يترك صحافة بلاده تنتقد أمريكا وإسرائيل كيفما تشاء؟ لماذا يبنىقواته المسلحة ؟ لماذا؟ ولمادا؟ ولماذا؟!

الاسئلة عديدة، والإجابات معروفة مقدماً، ولذلك بدأت خيوط المؤامرة..

لم يكن أمام الرئيس من خيار إما معنا وإما معهم، واختار مبارك أن يكون معنا، اختار التمسك بأرض كفر المصلحة، وطنجة، والرياض، وصنعاء، ودمشق، وبغداد..

رفض الحج إلى إسرائيل، ورفض الانصياع لشروط واشنطن، وسعى إلى أن يحصل بالدبلوماسية على حقوقنا، لكنهم الآن يعاقبونه على مواقفه وتمسكه بأرضه وأمته، يخرجون له كل يوم مؤامرة جديدة يحتضنون الإرهابيين ويمنحونهم الحماية ليحركوهم كالدمى وقتما يشاءون يحذرون مواطنيهم من السفر لتكتمل مؤامرة ضرب السياحة فى البلاد.

تمثيلية عقيمة وسخيفة قرأنا فصولها منذ زمن قديم، نعرف بداياتها وندرك نهاياتها، لكننا على يقين بأن الشعب المصرى العظيم سينتصر على كل المؤامرات، وأن لديه قدرة على الصمود والمواجهة كفيلة بأن تمكنه من دحر كل المتآمرين.

لذلك أقـول لك يا سيـادة الرئيس: إن مـصـر كلهـا مـعك ومن خلفك، وإن الشارع المصرى العظيم ينسى فى الأزمات كل مشاكله وخلافاته، ويقف فى خندق واحد مع قائده وزعيمه، لأن الخطر هنا لن يستثنى أحداً ، ولن يفرق بين المسلم والقبطى، أو بين الحكومة والمعارضة.

العدد ١٩١

٩/١١/١٩٩٨م

زوبعة فى فنجان

المقصود هو مصر، وحسنى مبارك.. دعكم من التفاصيل السقيمة، والكلمات المنمقة، وادعاءات حقوق الإنسان، كل هذه مجرد أكاذيب يعرف القاصى والدانى هدفها.. إنها لعبة أجاد حبكها المتربصون بالخارج والذين يمدونهم بالمعلومات من الداخل..

أى اضطهاد هذا؟ ومنذ متى أصبح الأقباط مضطهدين؟ ماهو الجديد؟ أين هى المشانق؟ وأين هؤلاء الذين يتم صلبهم؟ أفيدونا أفادكم الله، دلونا بعد أن احتار دليلنا وأصبحنا نبحث فى ربوع الوطن، فلا نشتم إلا رائحة الدولارات التى تدفع ثمناً لتشويه سمعة مصر، وتقدم إلى أعدائه معلومات زائفة.

كل المعلومات وكل الشهادات وكل الأقاويل تؤكد وتتفق على أن ما حدث فى «الكشح» هو جريمة عادية، فبطى قتل اثنين من الأقباط، قال الأهالى إنهما ليسا فوق مستوى الشبهات.. وصل البلاغ إلى شرطة دار السلام.. فماذا تفعل الشرطة؟!

القضية حساسة والتوصل إلى الجناة أمر مهم، حتى لاتترك الفرصة

للشائعات والأقاويل، القرية يسكنها ٧٠٪ من الأقباط، واذا لم يُعرف الجاني وبسرعة فائقة فمن يدرى ماذا يفعل المغرضون؟ وكيف يشعلون النار؟ خاصة أن الأنبا ويصا أسقف البلينا معروف بتعصبه الأعمى على عكس الأنبا باخوم أسقف أخميم الذى يكاد ينال إجماعاً من المسلمين والأقباط على السواء بما هو معروف عنه من حرص على الوحدة الوطنية والذود عنها.

تحركت قوات الشرطة، ألقت القبض على المشتبه فيهم، ربما تكون قد تجاوزت مع البعض منهم، وهذا أمر يحدث كثيراً للأسف، ليس مقصوراً على الأقباط فحسب، بل هو سلوك يمارس فى بعض الوطن المصرى حتى صار من أدبيات الشرطة، حدث ذلك مؤخراً فى العديد من المناطق، وراح ضحيته بعض الأشخاص.. فما هو الجديد؟!

لقد نشرت صحيفة الـ «صنداى تليجراف» تقريراً ينضح بالسم، كتبته الصحفية كريستينا لامب من غرفة مكيفة فى لندن، وضمن ما رددته من أكاذيب أن الشرطة ألقت القبض على ١٢٠٠ قبطى تم صلبهم على مداخل القرى، وتم اقتيادهم فى مجموعات بعضهم اقتلعت أظافره والبعض الآخر تم ربط أرجلهم بالحبال وصعقهم بالكهرباء، وأن النساء يغتصبن بواسطة البوليس المصرى.

يا سلام، كأن الدولة قررت الدخول فى معركة مع الأقباط.. لماذا؟ ولمصلحة من؟ ومن أين استقت هذه الكذابة معلوماتها المضللة؟.. هل جاءت إلى مصر واستمعت إلى شهادات المواطنين؟ أم أنها رأت المنظر بعينيها فلم تنم ولم تهدأ إلا بعد أن أدت واجبها فارتاح ضميرها؟!

لقد قال الأنبا ويصا نفسه إنه لايوجد فى «الكشح» أى خلافات بين المسلمين والمسيحيين نهائياً، وإن جريمة القتل عادية.. إذن لماذا لانجعل المسألة فقط محصورة فى التجاوزات الأمنية التى لم تطل الأقباط وحدهم - إن كانت قد حدثت، بل طالت المسلمين أيضاً فى ذات القرية؟ ولماذا يحلو للبعض أن يعطى للحادث صبغة طائفية ويصور تحرك الشرطة لكشف أبعاد الجريمة والإمساك بالقاتل وكأنها حرب تُشن من الدولة ضد أشقائنا الأقباط؟!

إن ما جرى فى الكشح يجرى مثله الكثير فى كل القرى المصرية إذا ما حدثت جريمة قتل، لا فارق هنا بين أن يكون القتيل مسلماً أو قبطياً.. فلماذا يصر البعض على تصوير الأمر بهذه الطريقة والمتاجرة باسم الأقباط فى الخارج واستخدامهم رأس رمح لتشويه سمعة مصر والاساءة إلى أبنائها؟.. وكأنهم بذلك يفتحون الطريق أمام أعداء الوطن لاستخدام «الأقباط» كورقة ضغط ضد مصر والمصريين.

ألسنا جميعا فى مركب واحد وما يجرى على المصرى المسلم هو ذاته الذى يجرى على المصرى المسيحى؟ أم أن البعض يحلو له التعامل مع الأقباط كأقلية مضطهدة، يمارس ضدها القمع والإرهاب؟!

ثم ما علاقة كريستينا أو بريطانيا أو الكونجرس بشأن داخلى مصرى؟.. ألم يسمعوا كلام البابا وتأكيده الدائم، رفض التدخل الأجنبى فى شئوننا وحل مشاكلنا على مائدة الوطن؟

ألم يروا مظاهر الوحدة الوطنية التى ظلت صامدة على مدى قرون طوال؟ ألم يسمعوا حكايات التاريخ ورباط الوطن الذى يلف الجميع؟

إننى لست مضطراً للغوص فى حكايات تاريخية تعج بها الكتب عن دحض الأقباط لمؤامرات أجنبية عديدة حاولت أن تجعل منهم جسراً لتنفيذ مخططات معادية للوطن، ذلك أن الوطنية ليست حكراً على فئة دون أخرى.

إن بعض الأقباط - الذين يستجيبون للمخططات الأجنبية ويظنون أنها المنقذ - يخطئون خطأ عظيما لأنهم يستخدمون بذلك كأداة لخدمة أهداف أخرى هى بالتبعية معادية لمصالح الوطن ومصالح أبنائه.

إننى واحد من المتحازين دوماً إلى النهج القائل بإعلاء الوطنية المصرية على العقيدة الدينية والتى هى علاقة بين العبد وربه، ولكن ليسمح لى بعض الإخوة أن أقول إن هناك من يتاجرون باسم الأقباط حتى وإن أظهروا غير ذلك، وإن البعض استمر اللعبة وراحوا يمارسون دور الابتزاز ضد الدولة، ويصورون أموراً عادية تحدث كل يوم وكل ساعة على أنها اضطهاد متعمد واساءة ما بعدها إساءة.

خذ مثلا عندك.. لقد شهدت منطقة المطرية فى قلب القاهرة حادثاً وقع منذ أيام قليلة حيث قام مواطن مصرى باغتصاب ستة أطفال.. الحادث جريمة جنائية عادية، ولكن ماذا إذا خرج علينا البعض ليقول لنا: إن هذا الحادث هو طائفى لأن المواطن مسيحى الديانة وهو مقبوض عليه حالياً والأطفال جميعهم مسلمون، ألن يحدث ذلك فرقة وإذكاء للطائفية والفتنة؟!

لماذا نتعمد دوماً صبغ الممارسات الإنسانية شراً كانت أو خيراً بالصبغة الطائفية؟ ولماذا يتعمد البعض منا إثارة النعرة الطائفية كلما

اخطأ تجنباً للعقاب؟ وهل هذه الروح يمكن أن تعضد من الوحدة الوطنية أم العكس هو الصحيح؟!

إننى هنا أطالب الدولة بأن تضرب بيد من حديد كل من يعبث بوحدة شعبنا سواء على هذا الجانب أو الجانب الاخر، وأن تبحث لنفسها ولنا عن حل لمواجهة هذه البوتيكات التى تشارك فى إشعال نار الفتنة تحت زعم حقوق الإنسان فهذه.. البوتيكات عينها على مصادر التمويل أكثر من مصالح الوطن، ودور هؤلاء لايقل خطراً عن دور المحرضين والمتآمرين فى الخارج.

اننا نقولها بعلو الصوت: إن العبث بوحدة هذا الشعب تحت أى مزاعم أو ادعاءات هو خدمة مكشوفة للمخططات الاستعمارية والصهيونية ضد مصر.. فهؤلاء هم العملاء الحقيقيون وهم الذين يجب أن يحاكموا على جرائمهم فى حق الوطن.

أن لغة الصمت لم تعد تجدى أمام هؤلاء الذين يرسخون الفرقة بالتعامل مع الأقباط كأقلية يعقدون لهم المؤتمرات الممولة، ويتحدثون عن الاضطهاد الزائف والوهمى حتى يحللوا الملايين التى تتدفق إلى جيوبهم وحساباتهم، وهو أمر يجرى للأسف تحت سمع وبصر الحكومة التى لاتزال تتخوف من مواجهة هؤلاء التجار الأفاقين.

لو بحثتم ودققتم فى أصحاب البيانات والمؤتمرات المشبوهة فسوف تجدون أن بعضهم قد زار اسرائيل، والبعض الآخر يمول علانية من دوائر غربية وأمريكية ليست فوق مستوى الشبهات أما المزايدات والتنافس بينهم فهى تعكس صراعاً على الدولارات بغض النظر عن مصلحة الوطن.

بقى أخيراً أن أقول كما قال عبدالله النديم فى مواجهة محاولات الفتنة بعد الثورة العرابية: «المسلمون والأقباط هم أبناء مصر الذين ينسبون إليها وتنسب إليهم، لا يعرفون غير بلدهم ولايرحلون لغيره إلا زيارة، قلبتهم الأيام على جمر التقلبات الدولية وقامت الدنيا وقعدت وهم إخوان الوطنية، يقصد بعضهم بعضاً ويشد أزره فى مهماته، يتزاورون تزاور أهل البيت، ويشارك الجار جاره فى أفراحه وأتراحه».

هذه هى مصر العظيمة طيلة تاريخها، هذا هو شعبها الذى يقف فى خندق واحد مدافعاً عن الكيان فى مواجهة الأعداء الذين لايفرقون بين المسلم والقبطى، فالكل مستهدف، والوطن ليس حكراً على فئة دون أخرى.

ولذلك فكل ما يجرى مقصود به مصر ومواقف الرئيس مبارك الوطنية والقومية؛ لأن ضرب مصر هو وحده الذى يفتح الطريق أمام إسرائيل للسيطرة والهيمنة، وهذا هو بيت القصيد.

إن كل ما يجرى مجرد سيناريو كاذب متفق عليه ليكون أداة ضغط ثم جسراً للتآمر وفرض الحصار، وابحثوا جيداً فى بنود قانون الاضطهاد الدينى الذى أحسب أنه جرت حياكته وتفصيله خصيصاً لمعاقبة مصر.

العدد ١٠٠

٢/١١/١٩٩٨م

أزمـــة وتـعــدى

مازلت أتذكر ذلك اليوم.. مئات الجنود يحاصرون منزلنا.. كانت الأساور الحديدية تجمع بينى وبين شقيقى محمود، ألقوا بنا فى سيارة مغلقة ومضوا بنا إلى ليمان طرة.. دفعوا بنا إلى ساحة الليمان، انهالوا علينا بالعصى الكهربائية، تحول المكان إلى ساحة حرب غير متكافئة، لكننا لم نسكت، قاومنا على قدر المستطاع، وبعد قليل راح مأمور السجن يعطى إشارة التوقف، تحسست وجهى، شعرت بآثار الضرب وكأنها نالت منى، مضوا بنا إلى زنازين موحشة، حصلت على متر ونصف متر من البلاط بوضع اليد، كنت أنام على سيف جسدى حتى لا أزاحم زملائى المعتقلين.

أيام قليلة ووجدت نفسى داخل زنزانة التأديب.. زنزانة مظلمة وبلا نوافذ.. هنا قضيت أكثر من ١٤ يوماً مضرباً عن الطعام، احتجاجاً على ظروف السجن والاعتقال.. كان أخى يحاول إثنائى ليقوم هو بالمهمة نيابة عنى، لكننى كنت أرفض بإصرار..

كان ذلك عقب مقتل الرئيس السادات عام ١٩٨١، حيث أُدرج اسمي ضمن معتقلي سبتمبر ٨١، ظللت هارباً إلى أن ألقى القبض علىّ وعلى شقيقى فى ١٦ من أكتوبر من نفس العام..

أشهر قليلة وأفرج عنا الرئيس مبارك، عدنا إلى منزلنا فى الصعيد.. لم تكن تلك هى المرة الأولى التى أسجن فيها، بل سبقتها مظاهرات ١٨، ١٩ يناير، ومظاهرات قنا عام ١٩٨٠ ضد وجود السفارة الإسرائيلية فى القاهرة.. لكننى فى هذه المرة كان اشتياقى وحنينى للأرض كبيراً.. مضيت أتفرس وجوه النخيل، ومياه الترعة، ولولا الزرع كانت أمى تعجز عن مقاومة دموعها، جمعتنا فى حضنها وقالت بلغة منكسرة: كفاية يا ولادى البلد موش بلدنا احنا بس، كفاياكم سجون ومعتقلات.. أنا معدتش قادرة..

كان أبى أكثر تماسكاً.. جلس على مصطبة تحتضن جدار المنزل وكأنه يغوص فى عالم لا متناه وهو يرى محمود يلحق بى فى مسيرة السجون..

حاولت أن أفهم أمى أن الصمت لغة لا تطاق، وأن السكوت عن الباطل جريمة، لكنها كانت قد سدت الآذان عن كل شيء ولم يعد يهمها فى الدنيا سوى أن ترى أبناءها أحراراً من القيود.. طلبت منى وعداً، لكننى عجزت عن الوفاء..

ومضينا إلى القاهرة حلمنا الأبدى.. افترقنا على عهد باللقاء.. قال أبى وكأنه يمنحنى الوصايا العشر: لا تنس أهلك الفقراء.. لا تغتر بالقاهرة وتنس هموم الوطن.. لا تجعل الدنيا تقهرك وكن قوياً.. تمسك

بكل ما تعلمته فى الصعيد.. لا تنكسر ولا تنهزم.. كانت الكلمات من القلب، كأنها دستور الحياة، حملتها ورحلت، حفظتها عن ظهر قلب.

وفى القاهرة بدأت المسيرة منذ عام ٨٢، ترأست تحرير ثلاث صحف، تم إغلاق اثنتين منها، وعزلت من الثالثة بتهمة إطلاق وصف النتن يا هو على رئيس وزراء إسرائيل، ثم كانت مسرحية جيهان السادات، أبعدت من إذاعة مونت كارلو، ألقى القبض علىّ وأنا رئيس لتحرير صحيفة «الأحرار»، ثم مضيت ألملم أوراقى من جديد.

وكانت صحيفة «الأسبوع»، رخصة مصرية مستقلة، رفضت عروضاً مغرية للعمل فى الخارج، كنت أشعر بأننى لا أستطيع أن أتنفس خارج مصر، وكان موقف الدولة معى أكثر من رائع، لم يطلبوا منى تعهداً، ولم يقايضونى على شىء، هنا تبدو عظمة الرئيس وإيمانه الحقيقى بحرية الصحافة..

وسعيت مع زملائى - منذ البداية - فى صنع صحيفة موضوعية وصادقة، لا تلجأ للإثارة أو الابتزاز، ترفض الأساليب الرخيصة وانتهاك الأعراض، تحترم الحق فى الخصوصية وتلتزم بالمصلحة الوطنية، تدرك عن يقين معنى العلاقة العضوية بين مصر وأمتها، تدافع عن كيان الوطن ضد الأخطار، ترفض التطبيع بقوة وتعتقد أن الصراع بيننا وبين الصهاينة هو صراع وجود وليس صراعاً على الحدود، تفتح أبوابها للجميع بلا استثناء، لا تتمحور ولا تصبح بوقاً لأحد، أعداء الوطن هم أعداؤها، وأصدقاء الأمة هم أصدقاؤها.

ونجحت «الأسبوع» وحققت معدلات مرتفعة فى التوزيع والإعلان رغم أن عمرها لم يتجاوز أكثر من عام ونصف عام حتى الآن، وحمدنا الله كثيراً على هذا النصر، خاصة أننا لم ننشر صورة واحدة تخدش الحياء، ولم نتورط فى نشر قضايا الآداب المخجلة، ولم ننتهك عرض أحد، أو نسعى إلى التوزيع على حساب سمعة الناس.

ولكن فجأة وجدنا أنفسنا ندخل فى معارك متشعبة، ننتقل من معركة إلى أخرى، انحزنا إلى مصلحة الوطن، لكننا وجهنا بحملات عاتية وأقلام مسمومة وادعاءات زائفة واتهامات نعرف هدفها.. فوتنا الفرصة ورفضنا الانزلاق إلى المستنقع، ونأينا بأنفسنا واحتكمنا إلى ميثاق الشرف الصحفى، وأعلينا القيمة على لغة الثأر مع أننا نملك كل أدواته.

وفى الطريق تصادمنا مع كثيرين نكن لبعضهم تقديراً خاصاً، لكن هناك فارقا كبيرا بين ما هو خاص وما هو عام، فمصلحة الوطن لدينا هى الأبقى، كنا ندرك المخاطر، لكننا كنا مستعدين لأى شىء وكل شىء من أجل راحة الضمير..

وضع زملائى أيديهم على قلوبهم، خافوا على الجريدة، قالوا لقد بدأ العد التنازلى للإغلاق، لكننى كنت على يقين بأن الرئيس يفتح صدره للجميع، يستمع إلى كل الآراء ولا يعاقب أحداً على رأيه، خاصة إذا كان هذا الرأى لا يستهدف سوى المصلحة العامة.

وأصبحت «الأسبوع» صوتاً للمظلومين، تكتظ صالتها بالفقراء والمساكين، هذا يطلب نشر شكواه، وهذا يسأل عن ابنه المعتقل منذ

سنوات، وهذه السيدة تبحث عن العلاج والدواء.. وهذا الشاب يبحث عن فرصة عمل، أو يريد الحصول على توصية لأحد المسئولين والوزراء.

كنت أسعد كثيراً عندما أرى القاعة مكتظة، فهؤلاء هم جمهورنا الحقيقى، جندْ زملائى أنفسهم كل فى وزاراته لخدمة هؤلاء المساكين، وراحوا يحملون الطلبات فى أيديهم إلى الوزراء وهم سعداء.

كانت دعوات الغلابة ترافقنا فى كل مكان، تشد من أزرنا وتدفعنا دوماً إلى الأمام.

لم نمد أيدينا إلى أحد، كنا الصحيفة الوحيدة فى مصر التى نشرت ميزانيتها وأرقام توزيعها وأخطرنا بها الضرائب ومصلحة الشركات، ليس لدينا شىء نخفيه عن القراء.. سعينا إلى المكاشفة والتزمنا بالشفافية أمام الجميع..

لم نمجد حاكماً للارتزاق.. لم نسع إلى الابتزاز ونهدد رجال الأعمال، لم نبتز الفنانين والفنانات، لم نحول صحيفتنا إلى بوتيك لم يدفع أكثر.. لم نعلن عن حملات صحفية ثم تختفى من الأبواب، لم نهدد مصلحة الوطن وعلاقات مصر لحساب آخرين يشار إليهم بالبنان.. لقد حصرنا رسالتنا في الوطن ولأجل مصالح الناس، دسنا على طموحات النفس البشرية، وانتصرنا على النزوات.

كان يمكننا أن نصمت كما يصمت آخرون، كان يمكننا أن نمضى فى طريق النفاق الرخيص، كان يمكننا أن نتاجر بكل شىء، وأن ننأى بأنفسنا عن المشاكل مع الصغار والكبار، لكننا نحمد الله أن لدينا ضميراً

حـيًا لا يموت، وإحـسـاسـاً بحب هذا الوطن، يمضى مع كل ذرة فى الكيان..

نحن لا نستطيع أن ندفن رءوسنا فى الرمال، لا نستطيع أن نترك مظلوماً يستغيث، يختطف ويصور عارياً، لا نستطيع أن نسكت عن فاسد ينتهك أعراض الناس، ويبتز الجميع بالتشهير والتهديد والوعيد.

لو صمتت «الأسبوع»وصمت غيرها، فمن يدافع عن المقهورين؟ من ينتصر للحق فى مواجهة الأفاقين؟ ومن يحمى عرض المجتمع من البصاصين والمحتالين؟

إننا لن نكفر بالوطن لمجرد أننا أصبنا بمكروه، ولن يضيرنا أن يبقى الفاسدون فى الخارج وأن نسجن نحن مع القتلة والمجرمين، فنحن على يقين أن مصر لا تزال بخير وأن قضاءها العادل قادر على نصرة المظلومين. الأمل فى الوطن باق ومساحة الجمال لن يلوثها قبح دعاة الرذيلة. نشعر بحرص الرئيس على كل مصرى وإيمانه العميق بحرية الوطن وحرية القرار، لكل ذلك أدعوكم إلى التفاؤل دائما..

إن مصر العظيمة تمتلك طاقات وإمكانات قادرة على صنع المستحيل، صحيح أن اللصوص كثيرون، لكن الشرفاء أكثر، فلماذا نبقى نقطة الضوء دائما مركزة على السلبيات دون النظر إلى الإيجابيات؟ لماذا نظهر الوطن وكأنه لوحة سوداء لمجرد أن عدد الفاسدين والمرتشين قد زاد واحداً أو حتى عشرات أو مئات؟ لماذا نحكم على الوطن من منظار قضايانا الشخصية فحسب، مع أن أى نظرة موضوعية تؤكد لنا أن الأوضاع فى تطور مستمر؟

بقى أن أقول إن الأزمـة التى تعرضت لها أنا وشقيقى لن تزيدنا إلا أيمانا بكل مـا نقول وإصرارا على الدفاع عن قضـايا الوطن والجماهير.. إنها أزمة عابرة لن تغير من قناعاتنا لأنها أكدت لنا من جديد أن الأمل لازال موجودا وأن حصن العدالة بخير والحمد لله.

العدد ٨٩

٢٦/١٠/١٩٩٨م

انقــذوا ســوريا

حديثى هنا إلى رجل الشارع.. إلى الشعب العربى الذى لن يجد مأوى غير هذه الأرض، ولن تقبل به سماء غير هذه السماء.. كلامى ليس موجها لحكام الأمة الأشاوس، فحساباتهم معقدة، وتبريراتهم معروفة، لكنى أوجه كلماتى هنا إلى صناع التاريخ، صناع الحضارة، المتواصلين إلى أبد الدهر جيلا وراء جيل.

أنا وأحد ممن يكرهون الحروب، يرون فيها خطرا ما بعده خطر، وشرا ما بعده شر، ولكن ماذا إذا فرضت الحروب علينا؟؟ ماذا إذا دخل الأعداء بيوتنا، ماذا إذا قتلوا أطفالنا واستعبدوا رجالنا وقاموا بسبى نسائنا؟.. هل نسكت ونلتزم الصمت أم يجب أن نصرخ ونبحث عن حل؟

خذ مثلا.. سكتنا عن ذبح العراق، ومازال بعضنا يجادل ويحمّل المسئولية لصدام حسين، وأنا موافق على تحميله المسئولية كاملة، وموافق على توصيفه بكل الأوصاف العنيفة، ولكن هل من عربى فصيح يحدثنى عن ذنب الشعب العراقى ؟.. هل نتركه يموت حتى آخر رجل؟

هل يرضيكم أن تتحرك القلوب الأجنبية التى نقول عنها «كافرة»، ونحن الأشقاء أبناء التاريخ الواحد والأمة الواحدة والعقيدة الواحدة نسكت، ونضع رءوسنا فى الرمال ونضحك فى بلاهة غريبة ونعود لنكرر ذات السيمفونية؟

هل يصح أن نسمع عن دول أجنبية تعيد علاقاتها الكاملة بالقطر الشقيق أما نحن فمازلنا نشترى خاطر سادة البيت الأسود؟.. بالذمة كيف تفسرون هذا الكلام،؟ هل هناك أحد فيكم يشعر بالكسوف أم أن هناك تبريرا للإقناع؟

طيب بلاش العراق، تعالوا نتكلم عن ليبيا، ويا حسرة على ليبيا.. هل هناك «فتك» فيكم يقول لى لماذا يفرض الحصار منذ نحو سبعة أعوام؟ ما هى الجريمة التى ارتكبتها ليبيا؟.. كل المؤشرات وكل الدلائل تقول إن الأشقاء ابرياء من حادث لوكيربى وإن جهات أجنبية عديدة أوردت معلومات وأدلة لا تقبل الشك تؤكد هذه البراءة، ومع ذلك تبقى ليبيا هى المتهم الأول والأخير لأن سادتنا يريدون ذلك، واللى موش عاجبه يشرب من البحر.

بح صوت القذافى: فوقوا يا عرب، انتبهوا يا عرب، لا تتركونا وحدنا يا عرب، والعرب مشغولون بالحديث عن «تيتانيك» وكأس العالم. والعربى الذى أحب عارضة الأزياء السمراء كامبل، مشغولون بالبقعة التى تركها كلينتون على فستان مونيكا وعلاقتها ببقعة الزيت التى تزحف بين الحين والآخر على مياهنا العربية.

لجأ القذافى إلى أفريقيا بعد أن يئس من العرب فوقفت معه أفريقيا ولبت النداء.. أصدرت قراراً خرقت به الحظر الجوى، دول عدم

الانحياز تحدث الغرب والأمريكان، أما نحن فالجامعة الكسيحة مكسوفة من اتخاذ قرار يضعها رأسا برأس مع الأفارقة.. دخلنا إلى الجلسة.. بدأت حرب السفسطة والتوازنات والمواءمات، ثم فجأة اقتحم السفير البريطانى بالقاهرة غرفة الأمين العام للجامعة وأنذره وحذره وقال إن أى قرار ستتخذونه تبلوه وتشربوا ميته.

البعض قال إن الجامعة ربما تحتج، وتصدر بيانا للشجب، ولكن واحسرتاه فقد جاء كلام السفير المكير كالبلسم على قلوبهم، فانصاعوا لما يريد وأذعنوا لكل مطالبه .. وتركوا ليبيا فى العراء، ورفضوا أن يعطوا الدواء..

من الطبيعى أن يصاب الليبيون بالحسرة على أمتهم التى نظموا أحلى القصائد فيها، وكتبوا أجمل الكلمات عن تاريخها.. ومن الطبيعى أن يثور القذافى وأن يلعن التاريخ والجغرافيا وأن يبكى جهوده المضنية التى بذلها طيلة أكثر من تسعة وعشرين عاما مدافعا عن الوحدة وساعيا إليها:

أما السودان، فها أنتم ترون حاله، حرب صهيونية يخوضها بعض أبنائه، استنزاف مستمر لخيراته، والهدف تمزيق وحدته وتقطيع أوصاله.. وجهت إليه أمريكا الصواريخ والطلقات، بعضنا فرح، وبعضنا شمت وحتى الذين اغتاظوا، كتموا غيظهم، وأمسكوا لسانهم وصمتوا.

وفلسطين أصبح الحديث عنها معادا ومكررا، لكن ما حيلتنا وياسر عرفات لايكف عن التنازلات؟ ما يقوله النتن ياهو أصبح دستوراً مطالبه تنفذ بلا جدال.. الكل ينصاع إلى آرائه، والجميع خدم فى بلاطه، وهاهو يكافئنا على الخنوع بإسناد الخارجية إلى القاتل شارون.

أصبح السلام يعنى بالنسبة لنا الاستسلام، وأصبحنا نعرف أن تلك هى الحقيقة ومع ذلك لانستطيع حتى مجرد الاعتراض.

وعلى الحدود الغربية تبرز إيران البلد العربى المسلم، لايكف هو الآخر عن الأطماع، لايزال يحتل الجزر العربية الثلاث فى الامارات، رافضا أى حديث عن الحقوق والأخوة والعقيدة، ومعتبرا أن الأرض أرضه والمياه مياهه مع أنه يدرك قبل غيره أنه يكرر معنا مأساة فلسطين من جديد.

كل هذا حدث دون رد فعل عربى فاعل، ويبدو أن ذلك كان سببا فى إغراء الآخرين، وجعل الأمة منهبا للطامعين، والخطة تقضى بالاستفراد بنا الواحد تلو الآخر.

وخلال الأيام القليلة الماضية أظنكم استمعتم، ورأيتم ألاعيب تركيا ومؤامراتها المكشوفة ضد سوريا وضد الأمة كلها.. القضية ليست وليدة الاسبوع الماضى، لكنها قديمة قدم التاريخ، فالأطماع معروفة، والخطط معدة، فقط كانوا فى انتظار اللحظة، وعندما رأوا حال الأمة لايسر عدوا ولاحبيبا، تحالفوا مع الصهاينة الأنجاس، تآمروا معا ضد سوريا الشقيقة، أجروا المناورات، حذرنا، بح صوتنا، لكن من يسمع؟ ومن يستجيب ؟!

وفجأة بينما عملية السلام تراوح مكانها، حشدت تركيا قواتها على الحدود، وراحت تنذر، وتعد العدة للحرب والعدوان.

دعكم من كل الألاعيب والأكاذيب، فالهدف واضح: ضرب سوريا وإجبارها على الخنوع، تدمير أسلحتها وقواعد صواريخها حتى تذهب

إلى مفاوضات الاستسلام مجردة إلا من ورقة التنازلات ليطوى الملف وتنتهى المشكلة، ويفتح العرب أبوابهم وبيوتهم ويقدموا المال والخيرات إلى «أعز» الجيران!!

هل كان بوسع تركيا ان تتبجح وأن تتوعد لو أن للعرب كلمة وقوة، لقد هنا على أنفسنا، رضينا بالأمر الواقع، والاستكانة، فأصبح الآخرون يتعاملون معنا - بالضبط - كما تعامل الأمريكان مع الهنود الحمر، أصبحنا أمة من الشتات، نمتلك السلاح، لكننا نعجز عن توظيفه واستخدامه .. نضرب على رءوسنا ونطعن فى ظهورنا ومع ذلك نبتسم كالبلهاء فى صمت غريب وكأننا نقول للأعداء: «كمان!!

لقد رأينا لهفة الرئيس مبارك على سوريا وجولاته المكوكية ومبادرته السلامية، فكان الموقف المصرى بحق رائداً، هدفه نزع فتيل القنبلة قبل الانفجار.. وقد نجح الرئيس فى فرملة الثور الهائج، ولكن ماذا اذا حدثت الحرب؟.. هل نترك سوريا فريسة للعدوان؟.. وهل نقف متفرجين على دمشق وهى تتلقى الضربات؟!

دعونا نتحدث بصراحة.. الصورة حتى الآن لاتدعو للتفاؤل، كلمات، ونداءات وتوسلات، ومناشدات، وكل ذلك يزيد من عنجهية الاتراك، الذين خرج كبيرهم سليمان ديميريل ليحذر العرب .. جميعا من التضامن مع سوريا.

الهدف إسرائيلى - تركى برعاية أمريكية، والخطة ليست حزب العمال الكردستانى فقط، لكنها محاولة اذلال سوريا التى تقف صامدة امام العربدة الإسرائيلية وترفض الإذعان للاستسلام.

لو سقطت سوريا يا عرب، فسوف يأتى إليكم انطوان لحد جديد، سوف يتحول السيف السورى إلى رمح فى ظهر الاشقاء وسوف يزداد حصار العراق وسوف تشعر مصر بأن جناحها على الجبهة الشمالية قد سقط فى مستنقع الأعداء.

إذا كنا نقول انه لاحرب بدون مصر ولاسلام بدون سوريا كدليل على أهمية الدور السورى وفاعليته، فالمؤامرة الحالية تستهدف عزل سوريا عن أمتها بعد الانفراد بها وذبحها على أعتاب الكنيست.

إذا اكتفينا بحرب الكلمات، فالكلمات لن تجدى مع تركيا أو غيرها، أما إذا استخدمنا سلاح التهديد وحشد كل الطاقات فهذا لن يخيف تركيا فحسب، بل سيكون إيذانا بعودة المارد العربى إلى الساحة من جديد.

أن صمت الأمة كصمت القبور يجب الا يستمر طويلا لأن الخطة ماضية والخطة أكبر من ضرب مواقع سوريا الحصينة فحسب، الخطة هى تقسيم سوريا إلى دويلات طائفية وتركها تتصارع مع أعداء الأمة بالضبط كما يحدث فى العراق.

إن ما يجرى اليوم فى سوريا هو بروفة حدثت من قبل وكنا لانصدق تكرارها فى بلد عربى آخر من جديد ولكن المؤشرات كلها تؤكد أن السيناريو المعد يبحث عن أرضية للتطبيق ثم لينتقل إلى بلد عربى آخر أظن أنه مصر.

لكل ذلك أصرخ فيكم ، أناشدكم يا خير أمة أخرجت للناس: أفيقوا، انتبهوا، العنوا الخوف وانزعوه من قلوبكم.

إذا لم يكن من الموت بد فموتوا بعزة وكرامة قبل أن تموتوا كالخراف.. ارسموا ملامح غدكم العربى بعد أن تحول الحاضر إلى كابوس ثقيل لايطاق.. لاتجعلوا التاريخ يلعنكم، ولاتدعوا الأجيال القادمة تصدر حكمها القاسى عليكم.

لو سقطت سوريا فسوف تسقط كل قيمة جميلة فى هذه الأمة، وليس أمامنا ساعتها سوى أن نندب حظنا لسنوات طوال، وأن نلطم خدودنا ونضرب صدورنا بالضبط كما نفعل الآن حزنا على الحسين، وتأنيبا للضمير.

لو سقطت سوريا، سقطت مصر وسقطت الأمة.. فأنقذوا سوريا تنقذوا الحاضر والمستقبل من افواه الكلاب المسعورة والذئاب الضالة فى الطرقات.

العدد ٨٧

١٢/١٠/١٩٩٨م

أكتب إليك، أخاطبك كأنك حى تعيش فى قرانا وكفورنا، ألمح طيفك فى المزارع والغيطان والمصانع.

أريد أن أتعلم لغة الشعر ونظم الأبيات علها تسعفنى، أريد أن أجهد نفسى فى انتقاء الكلمات وروائع المفردات.

نعم أنت خالد فى قلوبنا.. تسرى فى دمائنا، تغرس رايتك فى عقولنا..

يا أبا خالد.. يا اسما اهتزت له المشاعر .. يا شجرة اخترقت جذورها باطن الأرض، أراك حزينا، تبكى على حالنا وترثى لأوضاعنا..

نعم الأمة تعيش مرحلة ا لانكسار، إسرائيل تفرض هيمنتها وسطوتها، الخلافات دبت بين صفوفنا، والقنابل دكت حصوننا.. وأصبح لقاء القمة.. مجرد اللقاء.. واحدا من المستحيلات.

لكننا يا عبدالناصر رغم المذلة والإذلال، ورغم العبودية والاستعباد مصممون على أن نغرد خارج السرب، وأن ننتظم فى صفوف أهلينا

من الفقراء. مصممون أن نذوب عشقا فى تراب هذا الوطن، أن نضحى من أجله بكل غال ورخيص، أن نتحدى جبروت السادة وظلمهم، أن نتصدى لمؤسسات التجسس والتخريب، وأن نفضح عملاءهم.

قد تبدو كلماتنا غريبة فى هذا الزمان، وقد تبدو مصطلحاتنا مجرد شعارات، لكننا عازمون على المضى قدما إلى الأمام..

نعم لن نهتز ولن نتهاون، لن تخيفنا أسلحة الترهيب، ولن تثنينا أسلحة الترغيب، فالحياة لنا هى الوطن، والوطن بالنسبة لنا هو الحياة...

ثمانية وعشرون عاما منذ الرحيل، لكنك تبقى خالدا فى الذاكرة، نبراسا فى العقول، وشعلة تضىء لنا الطريق..

ثمانية وعشرون عاما تلازمنا كالظل، تعيش معنا الأزمات والنكبات، تتألم لألمنا وتتحسر مع حسرتنا، لكنك لاتستطيع الفعل أو التغيير..

تراهم قيدوك وقيدونا.؟ تراهم نجحوا فى فرملة حركتنا ، وتكبيلنا بالقيود، لكننا نعود لنسأل أنفسنا من جديد: ما العمل ؟ وإلى أين الطريق؟!

نحن ندرك ملامح الطريق، نعرف دروبه وتضاريسه، نحتفظ بخارطته فى الذاكرة ليوم قادم بلا جدال.

يوم ترتفع فيه راية الأمة خفاقة، تسقط فيه أعلام الخونة والمارقين، وندوس بأقدامنا على صهاينة القرن العشرين..

ثق يا عبدالناصر بأن أمريكا لن تهزمنا، والعولمة لن تخترق عقولنا، سنحافظ على الهوية ونحمى زراعاتنا فى الريف وأراضينا على الحدود..

قد ينهزم البعض أو يسقط مناضلون على الطرق، لكن أحدا لن يستطيع هزيمة الشعب.. الشعب هو الباقى، ولهذا فالوطن بخير..

غدا يتحقق الحلم، غدا تعود البسمة إلى الشفاه، غدا نحقق النصر ونطوى صفحات الهزيمة..

«الأستاذ»

فى الثانية من صباح الثالث من سبتمبر، احتشد الضباط والجنود حول شقته، سيطروا على العمارة بأسرها.. أسلحة متقدمة ورشاشات متطورة، وضابط يبلغ بجهاز اللاسلكى وقائع عملية اعتقال «الأستاذ» أولا بأول.

مضى الأستاذ إلى سيارة صغيرة رافقها الموكب المسلح إلى مديرية أمن الإسكندرية ومنها إلى سجن مزرعة طرة..

دفعوا به إلى زنزانة موحشة، وجهوا إليه اتهامات كاذبة.

لم يهتز محمد حسنين هيكل، كان صلباً، لأنه يعرف أنه يدفع ثمن مواقفه النبيلة، ودفاعه العنيد عن الوطن: ماضيه وحاضره ومستقبله، انقلب البعض عليه، شن السادات حملة هستيرية ضده، لكن الناس فى الشارع كانت تتألم حسرة على زهرة الوطن المشرقة التى زج بها الرئيس إلى غياب السجون..

كنت مسجونا أنا وشقيقى إلى جانب الأستاذ فى طرة، نتابع أخباره، نسعى إلى الاطمئنان عليه. لكن أحدا لم يكن يستطيع أن يشفى غليلنا..

كان قلبى معلقاً هناك حيث السور الذى يفصل بينى وبينه.

كنت خائفاً على حالته الصحية، أسأل نفسى دوما: يا ترى كيف يعيش الأستاذ، ماذا يأكل؟ وكيف ينام؟ وهل يعطونه الدواء الذى يطلبه؟ أم أن هناك مؤامرة شيطانية للتخلص منه..؟!

ذات مساء طويل فى زنزانة مظلمة رحت أتأمل مسيرته، مواقفه ومعاركه، آه لو قبل السادات أن أفتدى الأستاذ ولو بعمرى لقبلت، ولكن واحسرتاه فهو مسجون وأنا مسجون أيضا..

خمسة وسبعون عاما مرت يوم الأربعاء الماضى.. خمسة وسبعون شمعة من عمر الأستاذ.

كلما جاء الثالث والعشرون من سبتمبر من كل عام، يدق قلبى بعنف فهذا عام جديد مخصوم من عمر الأستاذ، من عمرنا، من عمر الوطن، أدعو الله أن يطيل عمره لأجلنا، أن يحفظه لنا من كل سوء، فكلماته تهدينا دوما إلى سواء السبيل، وتحليلاته تضىء أمامنا الطريق.

اتأمل صورته إلى جوار الزعيم الخالد جمال عبدالناصر، إنه يبدو شامخاً، علاقة من نوع غريب جمعت بين الرجلين، تعلقت قلوبنا بهما ولاتزال.. اجتمعا معا على حب هذا الوطن، كان الصدق قاسمهما المشترك، ولذا بقى هيكل صامداً حتى بعد رحيل ناصر..

هل أذكركم بالأستاذ وهو يجهش بالبكاء؟ .. كانت تلك هى المرة الثانية بعد رحيل عبدالناصر.. سمع من إذاعة القاهرة أن سرباً من

مقاتلات سلاح الجو الإسرائيلى سوف يخرج لاستقبال طائرة السادات الذى قرر زيارة القدس.. لم يتمالك الأستاذ نفسه بكى بحرقة لأنه كان يرى المستقبل واضحاً.

لم يبك يوم اخرجه السادات من «الأهرام»، لكنه بكى من أجل الوطن.. كان الأستاذ مشدوداً إلى ما يجرى على الساحة حين كانت المنطقة «مسرحاً للتاريخ» أما حين تحولت المنطقة إلى «مسرح للعرائس» ـ على حد تعبيره ـ فقد وجد نفسه أمام لون من الفنون له جمهوره بالتأكيد، لكن الأستاذ لم يكن يحسب نفسه فى عداد هذا الجمهور.

رفض الأستاذ عرض السادات بتولى موقع مستشاره للأمن القومى أو منصب نائب رئيس الوزراء، اندهش الرئيس أمام صلابة هيكل، ويومها قال له: «إن باستطاعته أن يعود إلى الصحافة فى أى مكان يريده على شرط واحد هو أن يلتزم»!!.

يومها ظن البعض أن إغراء «الاهرام» الذى قفز الأستاذ بتوزيعه من ٦٨ ألف نسخة عام ٥٧ إلى ٨٠٠ ألف نسخة يوم رحيله عنها ـ ربما يدفعه إلى القبول ولو بأقل قدر من الخسائر.. لكن الأستاذ قال يومها بلغة واضحة لاتقبل التأويل: «سيادة الرئيس.. إننى لا أعرف ما هو بالضبط ما تطلب منى أن التزم به، ولا أتصور أنه فى مقدور أحد أن يلتزم خارج قناعاته، لقد كتبت ما كنت مقتنعا به وما اعتبرته جوهر التزامى ولكنك غضبت، ثم إننى لا أظنك ترضى لى وأنا بالقطع لا أرضى لنفسى أن أخرج بقرار ثم أعود بقرار.. قد أخرج بقرار ولكنى أظل صحفياً بالمعنى الذى أفهمه.. ولكنه إذا عدت بقرار فلن أعود صحفياً بالمعنى الذى أفهمه».

كان هذا هو «هيكل» ولايزال معتزا بقلمه وبكرامته إلى أبعد الحدود، لم يكن عبداً للكرسى أبداً، ولم يكن مستعداً أن يبدل قناعاته أو يلون قلمه إرضاء للحاكم ومريديه..

وكان السادات يدرك وزن «الأستاذ» عند الجماهير ولدى الدوائر العالمية، ويوم أن طلب منه مسئول كبير قبل حرب ٧٣ إقالة هيكل بعد أن أقال الفريق صادق وزير الحربية فى هذا الوقت، رفض السادات الفكرة وقال للمسئول الكبير: «إن طرد صادق سهل ولكن طرد هيكل سيثير زوبعة فى صحافة الغرب».

ويوم أن فعلها السادات حدث ما توقع، لكن ذلك لم يطفىء شمعة الأستاذ التى ازدادت توهجاً، احتضن الناس «هيكل» فى قلوبهم، حفظوا كلماته عن ظهر قلب.. سلموه عقولهم ومنحوه ثقتهم.

وبعد أن أبعد عن «الأهرام» .. كان هناك جيش منظم من الحاقدين والعملاء لا هدف له سوى الوقيعة وإثارة السادات على الأستاذ، اشتعلت الحرب ضده فى كل مكان، لونوا كلماته وفقا لمزاجهم، أحاكوا المؤامرات ونسبوها إليه، لكنه بقى شامخاً كالجبال، ولذلك لم يجد السادات أمامه من خيار سوى الزجّ به إلى وراء الأسوار...

ومن يدرى لولا اختفاء السادات من على المسرح وحكمة الرئيس مبارك فى معالجة الأمر لبقى الأستاذ هيكل وكل زملائه فى السجون وبلا محاكمة حتى هذا الوقت..

والآن وبعد مضى سنوات طوال لاتزال كلمات الأستاذ غائبة عنا فى صحافتنا القومية نتمنى أن نرى وجهه يطل من الشاشة الصغيرة

للتليفزيون المصرى بدلاً من أن نلهث وراءه فى الفضائيات العربية والأجنبية التى تسعى إليه دوماً.

لماذا تحرموننا من هذا الصوت العاقل، الذى نحن فى أشد الحاجة إليه؟ هل يعقل أن مقالاته تترجم فى أكثر من ٣٦٠ صحيفة عالمية وبكل اللغات ونحن نظل محرومين منها بل حتى الندوة التى كان يلتقى فيها بجمهور معرض الكتاب من كل عام ضقتم ذرعاً بها..؟!!

إن حرية الصحافة التى نتمتع بها فى عهد الرئيس مبارك والتى تسمح حتى لدعاة كوبنهاجن بأن يكتبوا السم الزعاف يجب ألا تستبعد أحداً من أبناء هذا الوطن، فما بالك إذا كان هذا الشخص هو محمد حسنين هيكل؟!

إننا نريد ياسيادة الرئيس أن نرى الأستاذ هيكل يكتب فى صحفنا القومية ويطل علينا من اجهزتنا المسموعة والمرئية، وأن يلتقى معنا وجها لوجه فى ندوته السنوية بمعرض الكتاب، فهذا لن يضير النظام فى شىء، بل سيكون عنوانا جديدا يؤكد حرية الصحافة التى ازدهرت فى عهدكم، واستمرارا للمسيرة التى بدأت مع توليكم سدة الحكم فى البلاد..

بقى أن أقول للأستاذ أخيرا: كل عام وأنت بخير..

وكل عام ومصرنا العزيزة وأمتنا العربية والاسلامية بخير.

العدد ٨٥

٢٨/٩/١٩٩٨م

محمود نور الدين

أمسكت بالنعش، احتضنته في صدري.. أشعر بدفء غريب.. دموعنا تنهمر بغزارة، تغسل وجه علم مصر الجميل، يتسابق الرفاق نحو إلقاء نظرة الوداع، يطل علينا محمود نور الدين بابتسامته الهادئة وعناده الكبير.. وجوه أخرى تزاحمنا المكان: سعد إدريس حلاوة، سليمان خاطر، فتحي الشقاقي.. عماد وعادل عوض، يا له من منظر بديع الكل يزفون محمود نورالدين..

محمود يبدو أنيقاً بملابسه البيضاء.. إنه يصر على أن يضع علم مصر على كتفيه والوردة الحمراء تزين جيبه الأيسر.. هذا شعاع من النور يطل من وجهه وعينيه.. تبدو سعيداً يا محمود، أليس كذلك؟.. أنت غاضب منا .. سنوات ونحن ندفنك وراء الأسوار، كنت تستحق أن تكرم.. أن تحفر اسمك على نواصي دروبنا وشوارعنا الفقيرة!

لم تطلب العفو، لم تطلب السماح، لم تنكر التهمة لأنها الشرف، وقفت كما الرجال في زمن الأساطير .. كنت تبتسم وقلوبنا تبكي، ويوم أن صدر الحكم بالمؤبد، لم تهتز بل هتفت بقوة: ثورة مصر.. طريق النصر..

لا أريد لهذا النعش أن يهبط إلى الأرض، احملوه معى يا أصدقاء لأكبر وقت ممكن، اسمعوا بقايا دقات قلب لن يموت.. قلب لم يعرف سوى الحب لمصر والعروبة.. لا يعرف النكران أو الجحود، تكفيه شربة واحدة من مياه النيل، وحبة تراب من ريفها الجميل.. محمود لا يريد أكثر من ذلك..

كانت الساعة نحو الواحدة والنصف من ظهر الثلاثاء الماضى .. جاءت إلىّ والدة البطل نظمى شاهين تزحف، ألقت بجسدها على كرسى أمامى.. قالت والدموع تسبق لسانها: محمود نورالدين مات. لم أصدق.. قلت ربما فى الأمر خطأ.. دقائق معدودة، أبلغنى مأمور سجن مزرعة طرة بصحة الخبر.

لا حول ولا قوة إلا بالله.. كأنك انتزعت قلبى من بين ضلوعى، شعور غريب باليتم يجتاح نفسى فى هذه اللحظات.. إنه ذات الشعور الذى سيطر على يوم رحيل عبدالناصر منذ أكثر من ثمانية وعشرين عاماً مضت.. كان عبدالناصر هو أملنا، ومكان محمود هو ضميرنا..

فى هذه اللحظة بالذات نشيع الجثمان.. نمضى به خطوات معدودة إلى حيث سيارة المدفن، أتابعها، أحرس محمود فى نعشه.. هذه داليا ابنته، وهذه سهام شقيقته، جلستا فى السيارة كأنه يسمع بكماءهما.. داليا تمسح بيديها رأس النعش.. أتذكر صورتها وهى تقبله من وراء الأسلاك.. إنها كبرى بناته وأعزهن إلى قلبه.

منذ أيام قليلة أرسل إلى محمود خطاباً مع محاميه وصديقه «خالد طلعت» طلب منى أن أوجه نداءً إلى وزير الداخلية لنقله إلى مستشفى

خاص خارج السجن.. إن له أياماً معدودة يعيش على الماء.. الأمراض تحاصره من كل اتجاه.. كتبت النداء، لكن القدر لم يمهل ..

في هذا الأسبوع بالذات كنت سأكتب رجاء إلى الوزير ليسمح لمحمود بحضور زفاف ابنته الصغرى «دينا» في أكتوبر القادم، لكنني أكتب الآن نعيه بعد أن صعدت روحه إلى بارئها.

الآن نحن نغلق المقبرة، أصوات الشباب الثائر تردد هتافك الخالد: ثورة مصر.. طريق النصر.. الفنان حمدي أحمد يسمعك بكاءه، بينما نحن نردد الدعاء لك بالرحمة وراءه.. نغادر المقبرة بخطوات ثقيلة.. الحزن يطل من وجوه الجميع، الآن صدر قرار الإفراج عنك يا محمود، الآن تحررت من قيودك وسجنك المؤبد، أشعر بروحك تحلق في السماء، تحتضن نسيم الوطن وترعى خطواتنا على الطريق.

في «إسرائيل» فرح كبير، إنهم سعداء بموتك، فقد قتلت جواسيسهم على أرض مصر، زرعت الرعب في قلوبهم، كانت رصاصاتك محددة، لم تمس مصرياً واحداً.

من المقبرة إلى منزلي أحكي لأطفالنا الصغار قصتك.. نضالك، أفتح صفحة ولا أطويها، أحفر لك مكاناً في سويداء القلب، أفسح لك مكاناً في الذاكرة التي لا تموت، فأنت ضحيت من أجلنا، وكان يمكن أن تعيش هانئاً كغيرك، لكنك متيم بحب هذا الوطن، تعشق ترابه، وتفني حياتك من أجل سموه.

وعهداً يا محمود .. عهداً يا كل محمود.. عهداً يا أطفال بحر البقر، ويا عمال أبو زعبل، ويا شهداء قانا والعامرية وصبرا وشاتيلا.

معذورون هؤلاء الذين لم يفهموك.. إنهم يتعاملون مع الوطن كسلعة، الوطن بالنسبة لهم استثمار أرض فضاء وبيوت شاهقة، بارات ومجون، دولارات ومتاجرة.. أما أنت فعاشق لكل حبة من ترابه.

أنت لست نادما يا محمود.. نعم لست نادماً، فمصر العظيمة تستحق منا التضحية بلا حدود.. هذه الأرض أرضنا يا محمود، لن نسمح لأعدائنا باختراقها، سنطارد جواسيسهم فى كل مكان، سنشعلها حرباً فى مواجهة عملائهم.

السلام بالنسبة لنا يا صديقى يعنى الأمن والاستقرار، يعنى عودة الأقصى السليب، وكل حبة تراب من أرضنا، المغتصبة فى فلسطين ولبنان والجولان.. السلام بالنسبة لنا هو أن يمضى الصهاينة من أرضنا، أن يعودوا من حيث جاءوا..

سلام الممكن هو سلام الخانعين.. ونحن لا نعرف الخنوع.. المصريون رجال يا صديقى.. وتاريخ العرب شاهد عيان، دعك من ريم البحر.. نحن هنا فى القاع، هنا المعدن النفيس، هنا عشاق الوطن.

أنت تعرف مصر أكثر منا يا محمود.. إنهم لا يعرفون أهلها.. يظنون أن الكل كـ «حثالة» كوبنهاجن، غداً سيدركون الحقيقة، بداخل كل منا قدرات بلا حدود، واستعداد بلا نهاية للتضحية من أجل عيون الوطن.

يا صديقى أعرف أن الكلام غريب فى هذا الزمن، أدرك أنه زمن «كامننا».. ولكن الكذب عمره قصير، نظن أنفسنا «قلة» وهذا غير صحيح، غدا ستثبت الأيام أن راية الحق لا يمكن أن تسقط أو تموت..

الغد الآتى يا محمود سيشهد انتصاراتنا، سنزيل من على وجوهنا غبار الهزيمة والسنين.. المستقبل لنا لأننا نمتلك من الإيمان ما لا يمتلكون.

أنت تمضى يا صديقى، تتركنا فى وقت نحن فى أشد الحاجة فيه إليك، لكنك تمضى ونحن صامدون، مستعدون لتحمل البلاء ولو كلفنا أعناقنا.. هذه الأمة يا محمود ستبقى، هذه الأمة خلقت لتبقى..

أما أنت فستظل حيا فى القلوب، لأنك فعلت ما عجزنا عن فعله فى يوم ما، خرجت تحمل رأسك على كفك وقاتلت الصهاينة الجواسيس، طاردتهم فى كل مكان على أرض المحروسة، لم تخف، لم تتراجع، لم تنكر حتى.الاتهام.

بكيناك يا صديقى، لكننا كنا فرحين بك، وبنضالك وشموخك، عشت رجلاً واستشهدت وأنت فى قمة الصمود..

إلى جنة الخلد يا محمود وتبقى ذكراك حية فى القلوب إلى الأبد.

بقى أن أقول إن كل أمنية الناس أن يفرج الرئيس مبارك عن بقية رفاق محمود الذين يعانون المرض وتدهور الأحوال الصحية بعد أحد عشر عاماً قضوها وراء الأسوار.

- إننى لا أريد أن أقارن كيف تتعامل إسرائيل مع قتلة العرب، لكننى أطالب بالإفراج الصحى لهؤلاء الأبطال قبل أن يلحقهم مصير محمود نور الدين.

العدد ٨٤

٢١/٩/١٩٩٨م

عتاب دمه خفيف

أكيد هناك أحد «متسلط» على إبراهيم نافع، ويبدو أن له خصوماً غير شرفاء فى «الأهرام» ذاتها، يسعون إلى تشويه سمعته، واظهاره بمظهر الشتام، والمعادى لحرية الصحافة، وتهديد «الصغار» بالويل والثبور وعظائم الأمور..

لن يستطيع أحد أن يقنعنى أو يقنع أياً من قراء «الأهرام» فى مصر وخارجها بأن هذا هو أسلوب الأستاذ إبراهيم نافع، فالرجل عف اللسان، يحترم الصغير قبل الكبير، يقف مع «الصغار» يؤازرهم ولا يعايرهم، لا يتهم أحداً فى شرفه، ولا يغدر بأصدقائه بهذه الطريقة الخسيسة!!

إذن هى مؤامرة على إبراهيم نافع، ومؤامرة على «الأهرام»، ومؤامرة على النظام، ومؤامرة على الوطن!!

- لقد صدم الناس صدمة عظيمة من هذا الأسلوب المتدنى، وانفلات صدم الناس صدمة عظيمة من هذا الأسلوب المتدنى، وانفلات الأعصاب، والهيستريا التى اجتاحت النفوس.. والتعالى فى مخاطبة

«الصغار» من أمثالنا، والظهور بمظهر الواد الفتوة القادر على سحق الجميع، وهنا توقف الجميع ليتساءل: إيه الحكاية بالضبط؟!

هل هى محاولة للإيقاع بيننا وبين الأستاذ والصديق إبراهيم نافع؟ أم هى لعبة هدفها التصعيد ليطاح بأحدنا، وفى كلتا الحالتين هم المستفيدون.. أى والله فهذا الذى كتب الرد وأجرى البحث لا يكف عن ترديد مقولة إنه هو القادم لرئاسة تحرير «الأهرام»، وإن جولته الآسيوية مع إبراهيم نافع هدفها تمهيد الطريق أمامه، وهو أيضاً فى الوقت ذاته ومن منطلق «كوبنهاجنى» بحث لا يريد لصحيفة مثل «الأسبوع» تعادى الصهاينة والأمريكان أن تبقى على الساحة، لأنها لعبت دوراً مهماً فى كشف مخططات الحلف الذى ينتمى إليه، ودور هذا الحلف ورسالته غير المقدسة على الساحة المصرية!!

- أولا الرد جاء ضعيفاً جداً، فهو اعتراف صريح بأن المعلومات الخطيرة والأسئلة المحظورة التى تناولت قواتنا المسلحة ومنصب الرئيس تمت بالتنسيق مع مؤسسة «فورد» الأمريكية وثيقة الصلة بالمخابرات الأمريكية وبأنها مولت البحث بعشرين ألف دولار، وأن البحث لم يقتصر على مصر ولكنه استهدف كل دول المواجهة مع إسرائيل (لبنان والأردن وفلسطين ومصر) حسب اعترافه، وهو ما يجعلنا نتساءل عن حقيقة الهدف من وراء البحث المشبوه: هل هو لمصلحة البحث العلمى بصحيح أم أن السؤال عن رأى الشعب فى قدرة القوات المسلحة على التصدى لأى خطر إسرائيلى مقصود به معرفة نتيجة بعينها ليستفيد بها آخرون؟!

إننى لا أريد هنا أن أتعرض لمضمون البحث والمؤاخذات المطروحة عليه، فتلك مهمة الأستاذ والصديق المبدع أحمد عز الدين، لكننى أريد أن أعتب وأعتب بجد على الأستاذ والصديق إبراهيم نافع..

- أعتب أولاً لأنه سمح لهؤلاء أن يمتطوا «الأهرام»، وأن يهبطوا بلغته إلى الدرك الأسفل، فليته ترك مهمة الرد للأستاذ سلامة أحمد سلامة، أو الأستاذ صلاح الدين حافظ أو غيرهما فـ «الأهرام» يعج بعشرات المبدعين والمفكرين الذين كان بإمكانهم تقديم رد منطقى نتفق أو نختلف حوله، لكنه كان سيحافظ على لغة «الأهرام» ويسمو بها، ويبقى على علاقة الود مع المختلفين معه ويحافظ عليهم.. أما أن يترك الأمر لهؤلاء الذين هدموا كل حصون «الأهرام» ومنطلقاته التى تربينا عليها، فهذا لا يليق بـ «الأهرام» ولا تاريخه ولا سمعته..

إننى أرجو أن يتسع صدرك يا أخى وصديقى الأكبر لتسمع رأى الناس فيما حدث، والله لو جاءوا بأشد خصومك عداوة ما حقق لك هذا الحجم من الخسائر الذى جعل الناس تتندر وتسخر وتتحسر على «الأهرام»..

لقد كان بإمكانى أن أترك قلمى يعبر عن غضبته على الورق، وأن أرد رداً قاسياً على التطاول البذىء الذى تضمنه الرد الهستيرى، لكنك تدرك أن لك فى القلب معزة، وأننى لست من هؤلاء الذين ينسون الصداقة والعلاقة الحميمة وينقلبون من الشمال إلى اليمين بين يوم وليلة، بل أبقى على حبل الود وخيط التواصل مهما يكن حجم العتاب!!

ولأنني أدرك أن علاقتي معك أكبر من أن تؤثر فيها كلمات صغيرة يكتبها «صغار» لذلك أفتح الطريق لمناقشتك ومحاورتك علّ ذلك أن يدفعك إلى معرفة الحقيقة المرة التي تصل إلى أذهان الجميع ما عداك.

- كانت «البداية» هي السقطة، فقد اختار هؤلاء الذين أسند إليهم كتابة الرد على صفحات «الأهرام» لغة الشتائم الشخصية بدلاً من التطرق إلى الموضوع.. كتبوا مقدمة في صدر الصفحة الأولى لـ «الأهرام» هي مزيج من لغة «سنية شخلع وبديعة مصابني». فقد حوى الرد فصلاً من الردح الكوبنهاجني من عينة «يا إبرة مصدية .. إلخ».

ألم يكن من الأجدى يا سيدي احتراماً للموضوعية وعقل القارئ أن يبدأ الكاتب مقاله بالرد على ما أثرناه في العدد الماضي عن الاختراق، والبحث المشبوه الذي ورطوا فيه «الأهرام» في غفلة وأظن أنه بعيد عنك، ثم يتفرغ بعد ذلك للإجهاز علينا نحن الذين يسمينا «صغاراً».

إن البدء بعبارات السب وتوجيه الاتهامات اللفظية المرسلة لهو دليل على إفلاس وضعف الحجة، فهو يريد أن يبلغ القارئ أولاً أننا أولاد ستين وفقرية ومشبوهون، وهناك جهات تمولنا ثم يبدأ بعد ذلك في مناقشتنا..

- إننا نتمنى منه أن يدلنا على هذه الجهات المشبوهة التي تساندنا، فهذا حقنا وله العمولة.. هل هي مؤسسة «فورد» الأمريكية؟ أم هو الموساد - الذي يرتبط المشرف على هذا البحث المشبوه مع رئيسه السابق في تحالف أطلق عليه اسم «تحالف كوبنهاجن»؟ أم هي إسرائيل

التى زارها صانع البحث وبعض من شاركوا فيه أكثر من مرة وأدلى من هناك بتصريحات تثير الغثيان؟

نريد أن نعرف يا أستاذ يا منهجى يا أكاديمى.. دلنا على جهة واحدة مشبوهة، ولك الحلاوة.. من يدرى ربما تكون أنصح من الدولة التى منحتنا رخصة جريدة مستقلة كشركة مساهمة، وأنت تعرف طبعاً أن ذلك ما كان له أن يتم إلا بموافقة جهاز الأمن القومى، ومباحث أمن الدولة قبل أى جهة أخرى. ألا تعرف أننا الصحيفة الوحيدة فى مصر التى نشرت ميزانيتها.. هل تعرف أننا حققنا دخلا يبلغ مليونا ونصف مليون جنيه فى ظرف ٨ أشهر، وتوزيعا فعلياً بلغ خمسة ملايين نسخة بنسبة ٨٩٪ عن ذات الفترة، إن قنابلك الفشنك دليل ضعفك ودليل عجزك ودليل ارتباكك بعد أن فاجأتك «الأسبوع» بالقنبلة وكشفت حقيقة الدور الذى تلعبه عصابة كوبنهاجن تحت ستار «الأهرام» ومركزه الاستراتيجى.

إننى أريد أن أسأل الأستاذ إبراهيم نافع وأسأل كافة مؤسسات الدولة عن حكاية هذه المجموعة الحاكمة فى مركز الدراسات الذين يرعاهم أحمر الوجه صاحب السيجار الشهير، هل أصبح هؤلاء شوكة فى ظهر الوطن، ومعبراً للاختراق إلى الجسد؟ وأى حصانة تلك التى يتمتعون بها؟. من يساندهم ومن يرعاهم؟!

إننا لم نسمع عن أى مؤسسة صحفية اكتظت بأمثال هؤلاء وسمحت لهم بأن يلعبوا على المكشوف وأن يدفعوا بعض شباب الباحثين إلى الغرق لآذانهم فى أبحاث ممولة ومشبوهة، حتى أصبحت غالبية

التقارير الصادرة ممولة بمنح أجنبية من جهات ندرك أنها لا تدفع لوجه الله، ولا تتلقى المعلومات لتغلق عليها الأدراج؟

هل هى أزمة مالية؟ لو كان الأمر كذلك فأنا أدعو إلى حملة تبرعات جماهيرية واسعة لمساندة الباحثين فى أداء مهمتهم، وإن كنت أدرك أن لدى «الأهرام» ملايين الجنيهات المكدسة، التى تغنيه عن طلب المنح والمعونات من مؤسسات مشبوهة !!

- هل هى دناوة ونهم وجشع لا يقاوم للمال؟ أم أنها محاولة منظمة هدفها الأساسى استباحة أمننا القومى والتحرك تحت ستار البحث العلمى وقياسات الرأى العام بمشاركة مؤسسات مشبوهة لخدمة أهداف واستراتيجيات لا تخفى على أحد؟

بقى أن أقول: إن الكل يعلم أننا لا نفتعل الحرب أو الأزمة مع «الأهرام» فللأهرام ورئيسه كل التقدير فى قلوبنا، لكننا سنعلنها حرباً بلا هوادة فى مواجهة كل من يسعى إلى اختراق أمننا القومى لحساب أعداء الوطن، الذين ندرك حقيقة أهدافهم ومقاصدهم من وراء استطلاعات الرأى.

إننى أطالب من هنا الجهات المعنية بالتحقيق مع هؤلاء الذين تورطوا فى إجراء البحث، فإذا ما ثبتت إدانتهم وجبت احالتهم للمحاكمة فوراً حتى يكونوا عظة وعبرة لكل من تسول له نفسه العبث بأمننا القومى والتورط مع جهات لها علاقاتها الاستخبارية المعروفة فى اختراق جسد الوطن.

إننى أتوجه هنا بالنداء إلى الرئيس مبارك الحريص على أمن الوطن وسلامته بأن يضع حداً لهذه الجهات والمراكز المشبوهة التى انتشرت بشكل خطير خلال الآونة الأخيرة فراحت تمد المؤسسات المرتبطة بالمخابرات المعادية بأدق الأسرار عن الوطن تحت زعم «البحوث المشتركة»، وتتقاضى مقابل ذلك مئات الآلاف من الدولارات.

إننى أطلب فحص الذمة المالية لهؤلاء لنعرف أين كانوا؟ وماذا أصبحوا؟ .. يجب أن يُسألوا عن مصادر ثرواتهم التى تكدست، وعن القفزة الهائلة التى جعلتهم من أصحاب الملايين، لندرك جميعاً أن ذلك لم يكن إلا ثمن التجارة بالوطن وأسراره.

إننى أبشر هؤلاء المشبوهين بأننا لن نسكت على جرائمهم، ولن نتوقف عن فضح مخططاتهم، ولن نتراجع أمام مؤامراتهم وتهديداتهم، فالوطن لدينا أهم من الذات، وحماية النظام من الاختراق، هى مهمة كل مصرى أينما كان وأينما وجد.

إننى أطالب الأستاذ إبراهيم نافع بأن يصلح من شأن هذا المركز، وأن يختار له قيادة تحظى بالاحترام وتتمتع بثقة الجميع، وأن يوقف البحوث المشتركة وتمويل المطبوعات الصادرة عن المركز، خاصة أن «الأهرام» ليس فى حاجة إلى أموال من أحد، فصفحة إعلانية واحدة تستطيع أن تتحمل تكلفة البحث من أوله إلى آخره.

بقى أخيراً أن أقول: إننى كتمت غيظى، وهدأت من ثورتى رغما عن أنفى وأنف الزملاء. لأننى باق على علاقتى بالأستاذ إبراهيم

نافع، أما إذا فرضت علينا الحرب فهنا لن يكون أمامنا سوى حق الدفاع أما التهديدات التى وصلتنا بأن الأستاذ إبراهيم نافع أقسم بأنه سيغلق «الأسبوع» ويمنع طباعتها ويشرد محرريها، فأنا اعتبر ذلك من أحلام اليقظة التى تراود بعض المغرضين، لأن الكل يعرف أن هذا البلد يحكمه رئيس واحد هو الرئيس مبارك.

كما أن إبراهيم نافع الذى دافع عن حرية الصحفيين فى مواجهة القانون رقم ٩٣ لن يبيع تاريخه ويتفرغ للتحريض ضد صحيفة وطنية يعرف هو قبل الآخرين حقيقة أهدافها ورسالتها الأساسية.

العدد ٨٣

١٤/٩/١٩٩٨م

محاولة للفهم !!

نريد أن نعرف إلى أين نمضى؟ البركان يعتمر النفوس، والناس تتساءل: إلى متى؟.. إلى متى؟!

هل من حقنا أن نحلم بالتغيير ؟ أم أن حلم التغيير اندثر كما اندثرت أشياء أخرى جميلة؟

هل من حقنا أن نتساءل عن مراكز القوى الجديدة التى بات بيدها الحل والعقد فى هذا البلد تدوس على القانون وتطفئ الشموع، وتنهب ثروات البلد عبر أساليب النصب والفهلوة؟!

هل من حقنا أن نطالب بمحاسبة هؤلاء الذين يتحركون بأسماء الكبار، فيشيعون الخوف بين الجميع، ورويداً رويداً تبدو قراراتهم محصنة وكأنها أشبه بالمرسوم الملكى الذى لا يجوز نقضه أو الاعتراض عليه؟

هل من حقنا أن نعترض على هذا الزواج غير المشروع بين بعض أطراف السلطة ورجال الأعمال حتى أصبحنا نعجز عن معرفة المسئول من صاحب رأس المال. أم أننا لابد أن نصمت فتكون النتيجة أشبه

بمولود مشوه يعيش فى الأرض فساداً، وتصبح قبلته الوحيدة وهدفه الأوحد هو المزيد من النهم إلى المال؟.

هل نردع أنفسنا وجنوحنا ونرتضى بلغة الصمت والسكوت باعتبار أنها وحدها التى تطيل الأعمار، أم ندق الجرس عالياً حفاظاً على المجتمع وعلى النظام؟..

هل نخرج للتصدى لهذا «المفترى الظالم» الذى يطيح بالجميع وجعل من مؤسسته دولة داخل الدولة، أم نخرس مع الذين أخرسهم بسيف الإرهاب والتشهير وقتلهم أحياء؟!

إن ما يجرى فى قاع المجتمع وعلى سطحه شىء مخيف.. إن الناس تعانى، تتألم وتصاب كل يوم بمزيد من الإحباط تفقد الأمل تدريجياً فى أى تغيير.. تستسلم أحياناً للغة اليأس ، تتحول إلى هياكل وقد شلت قدرتها على الإبداع والتفكير.. تنسحب إلى داخلها ، تنزوى داخل غرف مظلمة، وتغلق عليها الأبواب من جديد..

هل تدركون معنى هذا الحزن العميق فى النفوس؟ هل تعرفون أن الضحكة الجميلة اختفت من الوجوه؟ هل سألتم لماذا قست قلوبنا ودخلت الجريمة إلى بيوتنا؟ هل عرفتم لماذا أصبح الأخ يكره أخاه؟!

يأيها السادة: هذا ليس مجتمعنا.. هذه المظاهر، هذا السلوك الغريب لا يعبر عن قيمنا، كأننا لسنا نحن أو كأننا فى مرحلة مخاض عسير..

خذ مثلا عندك الحديث عن التجاوزات التى تحدث فى «مارينا» والتى تعج بها صحفنا هذه الأيام.. هذا ليس غريبا أو جديدا، إنه صورة مصغرة لما يجرى فى كل انحاء الوطن، فقط هنا تبدو الألوان فاقعة،

والأصوات عالية، لأن مارينا مجتمع نجوم بلا كومبارس.. الأضواء مسلطة عليه، والناس تريد الشماتة فيه..

كل الدلائل تؤكد براءة رجل الأعمال محمد أبو العينين من حادث مصرع الشهيد أحمد عبدالنعيم، لكن الناس أصدرت حكمها حتى قبل أن تقول النيابة العامة كلمتها.. هل تدركون لماذا؟... إنه تنفيس عما بداخل النفوس تجاه الطبقة الجديدة فى مجتمعنا..

وحتى المتهم الحقيقى، سائق اللنش، رغم أنه اعترف صراحة ودون ضغوط فإننا رحنا ننسج الحكايات والروايات ونقول إنه «شال القضية» بمائة ألف جنيه، وفى تارة أخرى بنصف مليون جنيه، والغريب أن الناس تصدق دون حتى أن تخضع عقلها للتفكير.. هل سألتم لماذا نجنح نحو هذا السلوك، ونغيب عن عمد المنطق والمعلومة والتحليل السليم؟!

الناس لديها شحنة من الغضب والكبت، تسعى إلى إفراغها فى الحكايات والروايات، تأخذ بثأرها من الثروة ورجالها ولو بتفسير الشائعات والتعامل معها على أنها حقائق لا تقبل الجدل أو النقاش، تساعدها فى ذلك معلومات متناثرة عن ممارسات واستفزازات لا تتوقف عند حدود بعينها لمجتمع الطبقة الجديدة الذى يعتبر نفسه فوق القانون!!

إن المشكلة الأساسية يا سادة ليست فى هذا الحادث العرضى، الذى راحت تركز عليه الصحف، وتوظفه بعضها كمادة «للإثارة»، لكن المشكلة الحقيقية هى فى هذا التحول الذى طرأ على مجتمعنا، فأطاح

بكل شئ جميل ضاعت معه معالم المجتمع وقيمه وأخلاقياته واستشرت فيه قيم منحطة تدوس بجبروتها وثرائها غير المشروع على كل المعانى، وتخلق ألهة من البشر تعبث فى جسد الوطن دون حساب أو وازع من ضمير.

خذ مثلا هؤلاء الشباب والأطفال الذين تعج الصحف بحكاياتهم هذه الأيام حول تعديهم بالقول أو الفعل على شخصيات مرموقة فى مارينا من وزراء وكبار مسئولين، بماذا نسمى ذلك إلا أنه انتصار للغة الملايين حتى على أصحاب السلطة أنفسهم..

لقد استنجد وزير محترم ذهب للاستجمام فى مارينا بأمن القرية ليوسطهم لدى أطفال «البيتش باجى» الذين صمموا على ازعاجه لكن أمن القرية اعتذر بلطف لسيادة الوزير لأنه يعجز عن ردع أبناء. الكبار من أصحاب «ارفده يا بابا اقتله يا بابا».

ضرب الوزير كفاً بكف، وعندما سأل عن الشرطة قيل له إنهم ممنوعون من دخول القرية حتى لا يعكروا مزاج أبناء الكبار بوجوههم الكشرة، فاضطر الرجل إلى مغادرة القرية بعد يوم ونصف يوم، وفضّل أن يجلس فى منزله فى القاهرة بدلاً من أن يهان فى مارينا.

لقد نشرت الصحف تقول إن أحد رجال الأمن الخاص بالقرية تجرأ واحتجز سيارة مرسيدس لواحد من أبناء الكبار بسبب الفوضوية التى تعامل بها الصبى فى قيادته للسيارة، فما كان من الوالد إلا أن أحضر مستشارة للشئون القانونية واحتجز مسئول الأمن وأجرى معه تحقيقاً طلب فى نهايته الطفل الصغير توقيع أقصى العقاب على رجل الأمن الخاص لأنه وحش ودمه تقيل!!

وإذا قدر لك أن تتساءل لمعرفة هوية هؤلاء الأطفال، لأدركت أن كثيرين منهم كل رصيد آبائهم فى هذه الحياة هو بضعة ملايين أو مليارات لا تدرى من أين جاءت ولا كيف جاءت لكنك ستدرك بعد لحظات أن لها فعل السحر، وأنها تحمي صاحبها وتحصنه ضد القانون، وتفتح أمامه الطريق واسعاً للعبث به كيفما يشاء..

بالفلوس تسيطر، وتهيمن، تنحنى لك الرءوس، ويحلل لك الحرام، تخترق كل الحواجز وتقفز برشاقة على كل الأسوار ، تحاسب ولا تحاسب، ترتكب الجرم ولا تعاقب، أما انتم يا غلابة فلكم رب اسمه الكريم.

ولأن الفلوس وصلت إلى يد التيوس فأبشر كل شئ مستباح، وكل أمر لابد أن يطاع، فعبر المال تستطيع أن تفتح كل الأبواب وتمنح الأولوية عن سائر العباد.

ولأن بريق الذهب والدولار هو الأقوى، فالحكومة ستعجز حتى إن أرادت عن التصدى له، لأن جيوب رجالها مفتوحة فى كل المرافق والمؤسسات ولذلك ترى البعض يؤثر السلامة فمن يدرى نفوذ هذا الشخص أو ذاك؟

وأخطر شيء هو أن تتحول السلطة وقوانينها والمجتمع وأفراده إلى أداة لخدمة رأس المال، هنا ستعود إلينا سياسة الاحتكار من جديد، وسنعامل بالضبط معاملة العبيد، لن نشعر بالأمان، ولن نحصل على الحقوق، لأن غياب سلطة الدولة معناه أن كل شيء مستباح.

ليس معنى ذلك أننا ضد أن يكون هناك دور مهم ومؤثر للقطاع الخاص الوطني، ولرجال الأعمال، بالعكس فأنا شخصيا أرى أن الرأسمالية الوطنية لازمة ومهمة لإنعاش الاقتصاد، ولكن يجب على الدولة ألا تتخلى عن دورها المركزى، وأن تتحول إلى شاهد مشافش حاجة.

تأملوا ما يجرى فى روسيا، العملة إنهارت، البنوك بدأت تفلس الموظفون لا يحصلون على رواتبهم بالستة أشهر، علماء الذرة يبحثون عن مشتر ،النساء الروسيات تركن بلادهن ليمارسن الرقص والدعارة وبيع الأقلام والأمشاط وفى النهاية وبعد أن حدث الانهيار راح يلتسين يحدثنا مجدداً عن فكرة الاقتصاد الموجه، بينما يبشرنا تشيرنو ميردين بديكتاتورية اقتصادية لإنقاذ البلاد.

إن الأخطر فى تجربة «الخصخصة» الروسية هو أنها أثمرت تفسخ المجتمع وضياع وحدته وسيادة قيم جديدة تفرغ الانتماء من مضمونه وتسقط الأصالة والتقاليد العريقة من ذاكرة البشر وتستهين بالتاريخ والجغرافيا، وتحصر هدفها الوحيد فى الدولار بأى شكل وبأى طريقة ومهما يكن الثمن.

من هنا أقول: إذا أردنا أن نعيد للمجتمع استقراره وقوته، فعلينا أن نراجع سياستنا من جديد، ليس على الصعيد الاقتصادى فحسب، ولكن فى كل المجالات.. علينا أن نعطى الناس الأمل فى الحاضر والمستقبل.. علينا أن نعيد إلى الساحة مبدأ تكافؤ الفرص من جديد، وأن يشعر ابن الغلبان بأنه أمام الدولة والقانون سواء مع ابن الغلى والمليونير..

يجب ألا نزكى طبقة على حساب بقية الطبقات، ولا فئة على حساب بقية الفئات. وإلا تحول المجتمع إلى غابة، الغلبة فيها للأقوى.

إننا لم نفقد شعاع الأمل بعد رغم مساحة الظلام لأننا ندرك أن كل هذه الظواهر مؤقتة، وأن الوطن جميل برغم إحساسنا بضيق الصدر والاختناق.

إن كل المطلوب هو أن يبدأ الرئيس عصراً جديداً من التغيير، نريد أن نغلق الكثير من الصفحات التى تشوه وجه الوطن.. نريد رجالاً فى حرص الرئيس ووطنيته ودأبه المستمر، نريد رجالاً يحرصون ولا يبددون، ينفذون ولا يعرقلون، يضعون مصلحة البلاد قبل مصلحتهم، يحبون مصر أكثر من حبهم لأنفسهم..

نعم نريد ترتيب البيت من الداخل، لأن فى هذا حرصا على النظام والوطن، نريد إبعاد المنافقين الذين يشوهون أهل الحكم ومواقفهم.. نريد وقف استغلال البعض لأسماء الكبار فيدوسون بهم على الصغار..

ترى هل هذه من المعجزات التى يصعب تحقيقها، أم أنها مطالب مشروعه ولازمة لأمان الوطن وضمان استمرار تقدمه إلى الأمام؟..

نتمنى ألا يأتى يوم يختفى فيه هذا الشعاع البسيط الذى لايزال يسكن قلوبنا ويربطنا بشىء اسمه الأمل.

العدد ٨٢

١٩٩٨/٩/٧م

مكشـــوفـــة !!

القذافى يفهمها وهى طايرة... يريدون خداعه... والضحك على ذقوننا من جديد، تأملوا الكذب فى وجه العجوز الشمطاء «مادلين اولبرايت».. لا تكاد تفرق بين ابتسامتها والتكشير عن أنيابها ... تمسك بالجزرة والعصا فى وقت واحد... سنرفع العقوبات مؤقتا.. لكننا نشترط التسليم ودون شروط وإلا فالقرار جاهز: حصار بترولى يضاف إلى سلسلة العقوبات.

قال القذافى: موافقون على تسليم المواطنين الليبيين مادمتم قد استجبتم لشرطنا بالمحاكمة فى بلد ثالث، ولكن ما الضمانات؟ وماذا عن الإجراءات؟ نريد أن نطمئن على أولادنا .، وإلا فالنتيجة واحدة والخسارة سبع سنوات من الحصار.

عادت «أولبرايت» تطل بوجهها الكشر من جديد، ارتدت الفستان «الفوشيا» والعقد اللولى وراحت تخرج لسانها الذى يشبه لسان الحرباء تهدد وتتوعد .. وكأنها تقول لنا: السودان من خلفكم والبحر المتوسط من أمامكم وليس أمامكم من خيار.. فإما الاستجابة وإما القصف والمزيد من الحصار.

طيب نحن نريد أن نفهم الموضوع... إذا كانت المحاكمة قانونية فليس لدينا أى مانع.. نقسم بكل غال ورخيص أننا سنقدم المقراحى وفهيمة على طبق من ذهب.. سنقدمهما ونحن فى غاية الاطمئنان لأننا نثق بالعدالة، ومن ثم نثق بالبراءة فلا نحن قتلنا أحدا ولا تآمرنا على أحد، بالعكس نحن الضحايا فى كل زمان ومكان.

نحن نريد من سادة البيت الأسود فى واشنطن أن يقولوا لنا إيه الموضوع بالضبط.. دردشوا معانا شويه فى الإجراءات... وطريقة التسليم وهوية القضاة والقانون الذى سيحاكم به المتهمان.

هل هذه المطالب صعبة؟.. لا أظن لكن لأن السيدة مادلين نكدية الطبع، لا تحتمل الهش والنش، بدليل أنها ظلت هكذا بلا رجل لأن أحدا لا يطيق، فقد قررت سعادتها اغلاق الملف ورفض إجراء أى حوار حول ما هو مثار.

طيب نحن فى المقابل... مستعدون أن نضمن لكم محاكمة عادلة لكل المتهمين الذين تورطوا فى جرائم ضدنا.. أى والله نحن مستعدون لتوفير كل الضمانات العادلة للقتلة من الكبير الى أصغر عميل أمريكانى أو بريطانى ومستعدون أيضا - ونحن المتخلفون كما يسموننا - أن نحاكم رجالكم أمام محكمة العدل الدولية وبقضاة المحكمة نفسها وبالقانون الدولى الذى يحاكم به الجميع.. ما رأيكم؟

طبعا ستصمون الآذان .. لأن أمثالنا لا يحق لهم الحديث أو المطالبة بالحقوق.. نحن الخدم الذين ورثتموهم عن آبائكم وأجدادكم. نحن

حقل التجارب لقنابلكم وأسلحتكم الفتاكة والذين كتب علينا الخنوع والاستجابة لأوامر السادة الكبار.

إننى أقول من الآن: يا سادة إنها خدعة جديدة، ولعبة هدفها الإيقاع بليبيا والقضاء على قيادتها وثورتها وإخماد الصوت الوحدوى على أراضيها.

إننى أستطيع من الآن أن أرسم ملامح السيناريو الجديد الذى يعد فى الخفاء، وهو سيناريو لا يخفى على أحد فالكل يتوقعه والكل يستطيع تحديد معالمه.

فى هذه الحالة سيضطر القذافى إلى تكرار شروطه فى الحديث عن إجراءات المحاكمة وسيؤكد مجددا أن بلاده قبلت بمبدأ تسليم المتهمين إلى الأمين العام للأمم المتحدة ولكن شريطة معرفة التفاصيل.

كثير من الأشقاء العرب سيلتزمون الصمت، وربما انطلق بعضهم يسدى النصيحة إلى ليبيا لتسليم مواطنيها دون شروط أو حديث عن الإجراءات والضمانات وقلة تلك هى التى ربما تعلن عن مساندتها للمطالب الليبية العادلة.

بعد ذلك ستضطر السيدة «مادلين اسبرايت» إلى الإطلال علينا بوجهها الكئيب لتبلغنا بقرار مجلس الأمن الأمريكى بفرض حظر بترولى جديد على ليبيا، ثم تفتح الطريق بعد ذلك لأعمال عسكرية جديدة تستهدف ليبيا الشقيقة.

بعض الحكماء سيسعون إلى العقيد القذافى لمحاولة إقناعه بالمقولة الخالدة «سلم تسلم» ورغم إننى أدرك أن القذافى واع لحقيقة المخططات تعالوا نتبين ملامح الواقع إذا ما أقدم على تسليم مواطنيه دون مناقشة التفاصيل.

بعد التسليم مباشرة ستبدأ إجراءات المحاكمة وفقا للقانون الأسكتلندى وبقضاة أسكتلنديين وبإشراف امريكى - بريطانى مباشرة.

ستقدم واشنطن وتابعتها لندن أدلة مفبركة لتأكيد تورط المواطنين الليبيين فى حادث طائرة لوكيربى، وسترفق بالتقرير ما يشير إلى دعم القيادة الليبية لهذا المخطط.

بسرعة البرق سيصدر الحكم بإدانة المواطنين الليبيين وبضرورة تسليم عدد من كبار المسئولين الليبيين.

فى هذه الحالة سترفض ليبيا تسليم أى من هؤلاء المسئولين على اعتبار أن المحاكمة باطلة.والأدلة مفبركة من الأساس .. سيثور جدل كبير فى الشارع وإذا انتهى الأمر برفض التسليم فسوف يلجأ رعاة البقر إلى فرض حظر بترولى ثم اقتصادى شامل ثم إجراءات عسكرية هدفها إجبار ليبيا على تسليم القادة المطلوبين تنفيذاً لأمر المحكمة.

نفترض أن ليبيا استجابت فى هذه الحالة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه هنا ستجرى نفس المهزلة أمام المحكمة وينتهى الأمر بطلب القبض على العقيد معمر القذافى على اعتبار أنه المحرض الأول على ارتكاب الحادث.

وساعتها ستتحرك أمريكا وتابعوها إلى ليبيا لتنفيذ أمر المحكمة واحتلال ليبيا ونهب خيراتها وإعادتها الى حظيرة العبودية من جديد.

إذن هذه هى الخطة، ودعكم من هذه الادعاءات الكاذبة وهل يمكن لعاقل أن يثق بواشنطن بهذه اليهودية التى تكن كل الحقد للعرب وتسعى إلى الإيقاع بهم فى المستنقع لأجل عيون إسرائيل؟

قد يقول البعض: وماذا أمام القذافى من خيار؟.. وأنا أقول هنا: خياره الوحيد هو نحن.. يجب أن نلتف حول ليبيا، يجب أن نحمى ليبيا من الذئاب المسعورة التى تتربص بها.

خذوا العبرة من افريقيا ـ ترى هل ما يربط افريقيا بليبيا، أقوى من هذا الذى يربطنا بها كعرب ومسلمين؟... لماذا نستأذن نحن قبل الدخول إليها بينما الأفارقة لا يعترفون بالحظرأو الحصار؟

إن الأزمة فينا نحن يا سادة.. نحن الذين سيطر علينا الخوف وأربك صفوفنا.. ندخل إلى الجامعة العربية وننسى أعدائنا ونقاتل أنفسنا.

القمة العربية معلقة لأننا نخاف من الخلاف.. هل تشارك العراق أم لا؟... الاخ ياسر عرفات يعطينا كلاماً جميلاً ثم سرعان ما يذهب للالتفاف ومقابلة الإسرائيليين فيجهض أية محاولة لعقد القمة.. وبعض عناصره المخترقة تذهب إلى الصهاينة ويقولون إن مصر تضغط علينا.. إن مصر تطالبنا بعدم الجلوس معكم....

هل قرأتم التصريحات التى أدلى بها رئيس دائرة الإعلام فى منظ.. النتن ياهو يوم الجمعة الماضى؟ لقد وصف مصر بأنها «طفل شرير»

يعارض التوصل إلى اتفاق بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ويقوم بإقناع الرئيس الفلسطيني بالامتناع عن الاستجابة للمطالب الإسرائيلية.

يا سلام: أصبحنا طفلاً شريراً على يد حثالة القوم أحفاد القردة والخنازير... فماذا يقول السيد عرفات؟ ولماذا لم نسمع له صوتاً يرد على هذا الذل وسيده النتن؟

والأهم من هذا لماذا لم نسمع صوتاً يرد على هذا الصهيوني الوضيع؟ أين كتّاب السلطة؟ وأين رجالها؟ وماذا لو صدر مثل هذا التصريح من مسئول سوداني أو عربي؟ هل كنا سنصمت؟

يا سادة: إسرائيل وأمريكا لا تفهمان إلا لغة القوة والردع، أما الصمت والسكوت تحت أي حجة فهذا أمر يغريها بتوجيه الإهانات إلينا، ويدفعها إلى ممارسة البلطجة ضدنا..

إنني لم أسمع مسئولاً مصرياً واحداً وجه انتقادات غير لائقة ضد إسرائيل؛ مع أنها تستحق كل اللعنات، إذن لماذا نتركهم يوجهون الإهانات إلينا.. وهل أصبحنا نؤثر السلامة ونحب المشي بجانب الحيط؟...

إن قدر مصر هو في دورها.. هذا الدور القيادي الذي ينتظره الجميع؛ ذلك أنه لن تقوم لهذه الأمة قائمة طالما بقي الوضع على ما هو عليه.

نعم.. نحن ندرك أن مواقف الرئيس مبارك لا ترضي الصهاينة أو الأمريكان.. لكن مصر تستطيع أن تفعل الكثير... وأن تجعل الأعداء يحسبون حساب كل كلمة وكل فعل يخرج من هنا.

إننا ندرك مؤامراتهم. ونعرف أن الإرهاب هو صنيعتهم، لكن صمتنا عليهم يدفعهم إلى الاستمرار فى ذات المخطط.. خذ مثلاً هذه الوثائق المنشورة فى هذا العدد عن منظمة قبطية عميلة من صنع عملاء أمريكان تصدر المنشورات وتقيم الندوات من قلب واشنطن داعية إلى تحرير مصر مما تسميه بالاستعمار الإسلامى.

أعرف أن هذه الأصوات النشاز مرفوضة من أشقائنا الأقباط. وأدرك أن هؤلاء يعدون على أصابع اليد الواحدة وأن دعوتهم مجرد فرقعة فى الهواء، لكن كيف تسمح واشنطن لأمثال هؤلاء بهذه الدعاية الرخيصة من على أرضها فى وقت تزعم فيه كذباً أن الأقباط يعانون الاضطهاد؟

إن هذا مجرد مثال بسيط وحلقة من حلقات متعددة تستهدف مصر أولاً والأمة ثانياً!!

لكل ذلك علينا أن نفيق قبل فوات الأوان.. تأملوا ما يجرى فى روسيا وما سببته سياسات صندوق النكد من انهيارات اقتصادية دفعت يلتسين إلى التراجع. تأملوا صورة الاتحاد السوفيتى بالأمس وصورة روسيا اليوم. وابتسموا أو احزنوا فى خجل فهذا هو ما جنته أمريكا على روسيا.

لا خيار أمامنا إلا الحلم العربى والهدف القومى... الوحدة..

لا طريق أمامنا سوى النهوض بسياسات اقتصادية مستقلة تزيح عن كاهلنا تبعات الخصخصة وآثارها....

لقد أصبحنا هدفاً مستباحاً للأمريكيين والصهاينة، ولم يعد أمامنا من خيار سوى المقاومة، إما المقاومة وإما الموت. هل تدركون؟

العدد ٨١

٢١/٨/١٩٩٨م

الدور على مصر!!

كانت الساعة قد جاوزت الثامنة مساء... السكون يخيم على العاصمة الخرطوم.. مياه النيل تتدفق نحو الشمال تروى عطش المصريين وتمنحهم الخير والنماء.. أطفال السودان بالضبط كأطفال الصعيد ينامون مبكراً.. يحلمون أحلاماً بعضها جميل وبعضها مفزع..

دوت أصوات الانفجارات فجأة.. اهتزت بيوت الفقراء فى الخرطوم وأم درمان.. قفز طفل صغير من سريره مذعوراً.. التصق بحضن أمه فى ثوان معدودة .. الخوف يطل من عينيه.. أرى فيها عيون أطفال العراق وقد أمطرت السماء على رءوسهم صواريخ وقنابل عنقودية.. خطواته المسرعة تذكرنى بخطوات الطفلة الجميلة التى لقيت حتفها على يد الجبناء عندما استهدفوا منزل القذافى عام ١٩٨٦ .. نفس الرعب الذى اجتاح طفلاً صومالياً صغيراً طاردته قوات المارينز الأمريكية بالدبابات والمدرعات!!!

الخوف هو الخوف، والدمار هو الدمار.. هرعت الأم بابنها الصغير إلى العراء... شاهدت الدخان يحجب عنها السماء.. النيران الأمريكية

تنطلق كقاذفات اللهب تحرق الطوب والأجساد والدواء.. يشد الصغير جلباب أمه الفقير إلى عينيه... ينتفض جسده وكأنه أشرف على الموت.. اثنتا عشرة دقيقة والطائرات تحلق فى السماء.

الناس تطلق سيقانها للريح .. نفس الوجوه السمراء الجميلة.. الجلباب الأبيض النظيف... وغطاء الرأس الذى يشبه عمة أبى فى جنوب الصعيد.. العيون تحلق جماعة إلى السماء.. أصوات الطائرات تدق فى الآذان.. هرعت من حيث جاءت.. لا نعرف إلى أين هرعت ومن أين جاءت..

صوت العاهر كلينتون يقطع الإرسال .. تأملوا وجهه الكريه.. انظروا إلى الكذب فى عينيه.. اقرأوا تفاصيل الفضائح على شفتيه .. إنه يذكرنى بالمجرم «بوش» وهو يزف إلينا نبأ ذبح العراق ... كأنه الفاشى «رونالد ريجان» يبشر المتعطشين إلى الدماء بنبأ الغارة الأمريكية على طرابلس.... نفس النموذج يتكرر من جديد.. نفس الضحايا يتساقطون فى العراق أو ليبيا أو فلسطين أو لبنان أو السودان!!

العجوز الشمطاء مادلين أولبرايت تتقمص دور شوارزكوف تزاحم وزير الدفاع ويليام كوهين. تنحيه بعيداً عن الميكروفون بضربة كتف، تخرج لسانها المسعور.. تتوعد السودان بمزيد من الضربات.. تطلق امرأة سودانية عجوز دعاء المظلومين: روحى يا شيخة يشفى الكلاب ويسمك!!

نحن الآن أمام كومة من الطوب والرمال والأجساد المحترقة والدواء المسكوب.. صرخ مواطن سودانى: «يسقط الإرهاب».. قال آخر: ابحثوا

عن مونيكا بين الأنقاض، ونطق ثالث والدموع تنهمر من عينيه: أين أنتم يا عرب؟!!.. أين أنتم يا أشقاء؟!

كأنه موكب جنائزى حزين، الناس يطلقون حناجرهم، يتوجهون إلى حيث السفارة الأمريكية المغلقة، يصعد أحدهم الأسوار يسحب علم أمريكا.. يدوسه بقدميه، يحرقونه ويبصقون عليه.. فالمسرحية أعد لها منذ حين، والأمريكيون غادروا الخرطوم حتى قبيل أن تبدأ التحقيقات فى نيروبى ودار السلام.

القناة الفضائية الليبية تتوقف عن بث برامجها، تجرى ربطا بالقناة الفضائية السودانية، تجسد الوحدة فى أبسط معانيها.. لا تعرف هل هى قناة ليبيا أم السودان؟!.. ينتفض معمر القذافى.. تحترق دماؤه مثلنا، يقفز من سرير المرض، يمضى بعكازين، لا ينتظر، لا يوازن، لا يحسبها كما الآخرون.. فى الصباح الباكر يتزعم مظاهرة حاشدة ... نفس الوجه، نفس الملامح... بالضبط كأنه ذلك الملازم الذى خرج منذ أكثر من تسعة وعشرين عاماً.. القائد يصرخ من حنجرته فما بالك بالجماهير .. ألا تخاف يا معمر مزيداً من الحصار؟!... ألا تخاف سطوة كلينتون وصواريخ أمريكا؟... كان لك عذرك أن تبقى على سريرك... لكنها «النخوة» يا أخى... والنخوة لا تباع ولا تشترى... فأبشر فقد حفرت اسمك فى القلوب...

إرهاصات من هنا وإرهاصات من هناك، لكن عالمنا العربى ساكن كمياه البحر الميت.. أتراه يغلى ويغضب فى صمت؟! ولكن ما قيمة كل ذلك إن لم نسمع صوت الزئير؟!... وهل يخيف الصمت أمريكا؟.. خذوا الدرس من مونيكا وأطلقوا النفير...

أى نفير يا طويل العمر؟.. وأمريكا تضربنا انطلاقاً من أرضنا بوارجها تجوب فى مياهنا، نمنحها التصاريح ، ونسمح لها بإطلاق الصواريخ.. تدك عواصمنا الواحدة تلو الأخرى، نتوطأ، نتفرج، نبتسم فى بلاهة، نبحث عن كلمات منمقة نسد بها عين الحسود ، ونؤكد بها الولاء للمراهق الذى نسى بعضاً من حيواناته المنوية على فستان امرأة!!..

هل هناك من يصدق أمريكا.. الإجابة «لا».. نعم فالسودان والكيماوى نقيضان، الأدلة غائبة والكلام مرسل، والحجة بلهاء... لكنها تصلح مبرراً.. حتى صحفنا القومية فى مصر قالت : إن الطائرات الأمريكية تضرب مصنعاً كيماوياً فى الخرطوم.. يا سلام على الأمانة الصحفية يا جدعان.. هل هى سذاجة أم تواطؤ مكشوف بدون تعليمات؟!!

هل عرف هؤلاء الأفاضل معنى أن يمنحوا أمريكا الغطاء؟... هل يريدون العودة بنا مجدداً إلى أيام حرب الخليج وعاصفة الصحراء وأرحنا بها يا بوش؟

هل نسى هؤلاء أن علاقتنا مع السودان أكبر من أى خلاف؟. وهل يدركون أن تفتيت السودان معناه ضياع مصر؟ ألا يعرفون أن نظاماً وطنياً يختلفون معه أهم لديهم من صنيعة أمريكية يتفقون معها؟!..

ألا يدركون أن أمركة وصهينة الحكم فى السودان معناها أن مياه النيل سوف تصبح فى قبضة إسرائيل..، وأن إسرائيل لن ترحمنا ولن تسمح لنا باستقلالية القرار؟!!

مـاذا يزيدون؟، وأى هدف يخـدمـون؟!.. يا سـادتى: كلنا لدينا عشرات التحفظات على نظام الخرطوم.. كلنا مجروحون منذ محاولة الاغتيال الآثمة للرئيس، لكن الرئيس قفز على الجرح، نسى آلامه لأن مصلحة الوطن تعنيه قبل الذات، تعامل بحكمة وذكاء ورفض محاولات الزج بمصر إلى الأتون للانتقام.. ألا تأخذون العبرة والعظة، وتعيدون فتح الطريق من جديد؟ أم أننا سنظل نمزق أثوابنا بينما الذئب ينهش أجسادنا؟!

لو تصورتم أنها ضربة وستفوت فأنتم مخطئون.. لقد أصبحنا ملطشة يا سادة.. سوف تستمر الضربات وتدير المؤامرت ، والأمريكان لن يغلبوا الحجج.. وحتى بدون حجج سوف توجه مزيد من الضربات الى السودان ... وسوف يتحول عمر البشير إلى صدام جديد، وسوف يحمّل مسئولية كل الأزمات ، وربما يتضح فيما بعد أنه وراء فضيحة مونيكا المنوية..

لقد خرجت مظاهرات فى أمريكا تقول: «لن نحارب من أجل مونيكا» ..نعم هذه هى الحقيقة، فضرب السودان وافغانستان هو محاولة لإبعاد الأنظار عن الجدل الدائر فى أمريكا حول القرار الذى يجب اتخاذه بعد اعتراف كلينتون.. ولأنى على يقين أن العجوز الشمطاء غيرانة من مونيكا ففكرت فى طريقة لإنقاذ الرئيس ولم تجد اليهودية من طريق سوى ضرب السودان وأفغانستان .. والحجة طريفة ودمها خفيف. مقاومة الإرهاب!!

ولو كنت مكان أمريكا لنحيت أى حديث عن الإرهاب؛ لأن أحداً لن يتغلب عليها فى صناعة الإرهاب ودعمه ... لو كانت حقاً ضد

الإرهاب فلتقل لنا لماذا لا تلقى القبض على جزارى الصرب الذين قتلوا الآلاف من شهداء البوسنة وكوسوفا ؟!!! لماذا لا توقف دعمها لرأس الإرهاب فى منطقتنا «إسرائيل» ثم لتشرح لنا نحن عديمى المفهومية عن إرهاب الدولة الذى تمارسه ضد ليبيا والعراق والصومال والسودان.. ثم لتفسر لنا معنى اختطافها للرئيس «نورويجا» أيا كانت الأسباب.. ولتفتنا فى معنى العمليات القذرة للـ «سى. آى إيه» على مدى عقود طويلة ضد شعوب آمنة وشخصيات مرموقة فى شتى أنحاء العالم..

كفاكم ضحكاً على الذقون.. فقد مللنا، وسئمنا وقرفنا من أفعالكم الدنيئة.. كأنكم امتلكتم العالم، وكأننا أصبحنا عبيداً فى حظائركم مع أننا والله «خير أمة أخرجت للناس»...

مصيبتنا الحقيقية فى هؤلاء الذين يقبلون بالخنوع لمخططاتكم يخافون من مؤامراتكم. مع أن الحقيقة تقول إنكم جبناء ولا تخافون إلا من هؤلاء الذين يواجهونكم تعملون لهم ألف حساب وتتمنون كسب ودهم وصداقتهم.

ولكن مهلاً يا كلينتون، مهلاً يا أولبرايت وياكوهين وياكل صهاينة البيت الأبيض، مهلا فهذه الأمة لن تسكت طويلاً حتى وإن تبلدت مشاعرها لبعض الوقت، ستذوقون من نفس الكأس، سييتم أطفالكم ويقتل رجالكم وترمل نساؤكم وتهدم البيوت على رءوسكم..

لقد أعلنتم الحرب علينا، جوعتم شعوبنا وذبحتم صغارنا، وحتى السودان الطيب الغلبان المسكين لم ينج من قنابلكم..

لا تصدق يا كلينتون أننا سننسى ثأر أشقائنا.. ثق يأيها الإرهابى بأن البركان يغلى بداخلنا وأن الموت أعز علينا من الخنوع والمذلة

المفروضة على رقابنا.. لابد أن تدرك أنت وتابعوك أن الدماء التى نزفت على أرض الخرطوم وغيرها من بلاد العرب والمسلمين تؤجج النار في ضلوعنا، ويا ويلك يوم أن نحطم الحواجز من نفوسنا.. ساعتها لن تهنأ أنت وعصابتك وسنطردكم من ديارنا مجللين بالخزى والعار المبين..

معذرة أعزائى القراء فأنا أريد أن أجمع كل قاموس الشتائم والأوصاف القبيحة لأهدىء النار التى تحرق دمى وتكاد تذهب بعقلى.. الكبت يوّلد الانفجار ونحن نشعر بالقهر والإهانة والإذلال..

يا حكام الأمة: اطلقوا أيدينا لنعلن عن غضبنا.. اسمحوا لنا بأن نخرج إلى الشارع نلعن الظالمين والفجار .. اتركونا وكونوا حتى بشجاعة مونيكا التى تحدت كلينتون وتسعى لإسقاطه رغم كل التهديدات والإغراءات..

يا حكامنا : ثقوا بأن الروح لا يأخذها إلا الخالق وأن كل شئ مقدر لنا فلا تخافوا وكفاكم تراجعاً فقد حانت لحظة الدفاع عن الكرامة والأوطان..

بالأمس قلنا : ما جرى للعراق سيجرى فى ليبيا وقد تحقق، وقلنا: ما جرى ضد ليبيا سيجرى ضد السودان وقد تحقق، والآن نقول: إن ما جرى ضد السودان سيجرى ضد مصر والمقدمات تنبئ بالنتائج ... وهكذا سينفردون بنا الواحد تلو الآخر طالما بقى الحال على ما هو عليه!

العدد ٨٠

١٩٨٩/٨/٢٤م

نحن والسودان

قلبى مع السودان المؤامرة تحيط به من كل الاتجاهات، قوى دولية إقليمية ومحلية عديدة تتكالب عليه لتمزيق أوصاله، والاعتداء على كيانه وفصل جنوبه عن شماله، والهدف القضاء على عروبته ومحو عقيدته، والإمساك بمياه النيل لتهديد مصر وفرض الهيمنة الإسرائيلية ـ الأمريكية كاملة عليها. بعض قصار النظر لا يلتفتون إلى هذه الحقائق. كل مايهمهم هو القفز على السلطة واحتلال الكراسى ولو كانت على جثث الشعب السودانى كله. وهؤلاء هم الذين نسوا التاريخ ومحوا الذاكرة، ووضعوا أيديهم فى يد المتمرد الجنوبى جون جارانج.

لقد كنا نسمع منهم أنفسهم انتقادات عنيفة ضد جارانج وعلاقاته بالصهاينة والأمريكان. كانوا يقولون إنه أداة طيعة تستخدم لتمزيق السودان أما الآن فقد تحالفوا معه، ونصبوه قائداً فعلياً عليهم، يرضخون لتعليماته. ويشنون الحرب ضد أهليهم تحت رايته، وكل ذلك لأنهم يريدون السلطة حتى ولو جاءت على اشلاء الوطن بأسره.

ماذا حدث للسيد الصادق المهدى. وكيف يقبل السيد محمد عثمان الميرغنى بأن يمضى خلف رجل معاد للعروبة وللشريعة؟، وما هى

الديمقراطية التى يريدونها بالضبط؟ وهل يستحق الأمر تمزيق وحدة السودان لمجرد الخلاف على شكل هذه الديمقراطية؟!!

إن الشعب السودانى ظل ولسنوات طويلة - يكن للميرغنى والمهدى احتراماً كبيراً باعتبارهما من القادة التاريخيين للسودان فى عصره الحديث، ولكن الناس تتساءل وتقول هل يعقل أن يكون القاسم المشترك بين الزعيمين مع جارانج أقوى من أية قواسم مشتركة بينهما وبين نظام الرئيس عمر البشير؟!

نعم نحن نقــر بحق المعــارضــة فى الخــلاف، وندرك أن هناك تحفظات عديدة على نظام البشير ومعالجاته لبعض القضايا، كل ذلك مفهوم ولكن هل يعطى هذا للمعارضين المبرر للتنسيق مع أعداء الوطن وشن الحرب المسلحة بدعم قوى أجنبية ضد الشعب السودانى الذى يتشدقون بالدفاع عنه؟! وبأنهم يريدون تخليصه من يد الديكتاتورية العسكرية الغاشمة!!

لقد حاول هؤلاء المعارضون بقيادة جارانج استغلال حادث أديس أبابا الآثم، ودفع مصر إلى الوقوف إلى جانبهم ومساعدتهم عسكرياً لإسقاط النظام الحاكم بالقوة. لكن مصر العظيمة قفزت على جراحها ورفضت التورط ضد السودان الشقيق وأمنه.

ولم يكن هذا الموقف بغريب على الرئيس مبارك الذى أخذ على عاتقه مهمة توحيد الصف العربى ورفض مرات عديدة محاولات جر مصر إلى حروب عسكرية مع اشقائها، ولكن الغريب فى ذلك أن بعض الأشقاء السودانيين لا يريدون فهم ذلك.

لقد أدلى «د. أريك مشار- مساعد رئيس الجمهورية السودانى ورئيس مجلس التنسيق فى جنوب السودان- بتصريح نشرته الصحف السودانية أمس الأول اتهم مصر بأنها تسعى إلى قلب نظام الحكم السودانى بالقوة عن طريق التنسيق مع المعارضة.

وقد جاء هذا التصريح «المستفز» بمناسبة اجتماعات التجمع الوطنى السودانى المعارض فى القاهرة والحفاوة التى استقبل بها قادته، ولقائهم مع الرئيس مبارك وكبار المسئولين المصريين. مما اعتبره بعض الأشقاء بمثابة دعم واضح ومباركة لمواقف هذه القوى المعارضة التى تستخدم القوة للوصول الى الحكم فى البلاد.

وبداية أود أن أقول هنا: إن تصريحات أريك مشار لا تعبر عن مواقف الحكومة السودانية، خاصة أنه فصيل حليف ، سبق له أن خاض حروباً شرسة ضد الحكومة، وإن كان الموقف الرسمى الذى يعتد به هو موقف السفير السودانى بالقاهرة أحمد عبدالحليم الذى أكد فى تصريحاته لصحيفة الأهرام أمس الأول بأن بلاده تثق بالنية الخالصة والصادقة للشقيقة الكبرى «مصر» فى الحفاظ على وحدة السودان، وتمنى على المعارضة أن تستجيب لدعوة الرئيس مبارك، خاصة أن مصر متيقظة للمخاطر والمؤامرات التى تحيط بالسودان وإنعكاساتها على الأمن المصرى وأمن المنطقة.

ورغم أننا ندرك أن الحكومة المصرية لم تقدم على هذه الخطوة بعيدا عن التنسيق المشترك مع السودان فإنه من المهم مناقشة اتهام د. «أريك مشار» والرد عليه بالمنطق والحجة، ليس دفاعا عن النظام فى مصر، بل دفاع عن الحقيقة والحقيقة وحدها.

أظنكم تتذكرون كيف استقبل الرئيس مبارك شقيقه عمر البشير خلال انعقاد القمة العربية فى القاهرة عام ١٩٩٦ ، لقد استقبله الرئيس بالأحضان على سلم الطائرة واصطحبه إلى استراحة المطار، ثم عقد معه جلسة مطولة على انفراد خلال اجتماعات القمة وأطلق تصريحات عبر فيها عن اعتزازه بالسودان وحرصه على أمنه ووحدة أراضيه والعلاقات الدائمة معه.

يومها وفى أعقاب اللقاء كنت ضمن وفد محدود من رؤساء التحرير الذين التقى بهم الرئيس لاطلاعنا على بعض القضايا المثارة فى القمة، ولكن سيطر السودان واللقاء مع البشير على الحوار بيننا وبين الرئيس، وراح بعضنا يتساءل: هل نسينا ما جرى؟ وما هى الضمانات؟ إلى آخر هذه الأسئلة التى تحتاج إلى إجابات واضحة، وأشهد أن مبارك أنبرى فى الدفاع عن علاقة الشعبين المصرى والسودانى، وحرصه على تجاوز الأزمة وتطوير العلاقات إلى الدرجة التى جعلت أحدنا يقول للرئيس: كم أنت كبير يا سيادة الرئيس.

كان مبارك مخلصا فى دعوته، رفض كل محاولات التحريض على السودان والتى جاء بعضها ـ للأسف ـ من بعض المعارضين السودانيين أنفسهم، الذين لم يتواروا فى الطلب من أمريكا وعلنا بفرض الحصار على السودان، وتجاوز مبارك الأزمة وفتح بالفعل صفحة جديدة.

ولكن يبدو أن هناك من هم على الساحة السودانية لا يقدرون المسئولية الكاملة فى علاقات مصر بالسودان وسعى هؤلاء ـ كما سعى

آخرون داخل مصر خاصة فى بعض وسائل الإعلام - إلى محاولة إجهاض كل تقدم فى العلاقة بين البلدين، وهو الأمر الذى تصاعد فكان سببا فى عرقلة عودة العلاقات إلى طبيعتها، وإغلاق الملف الطارىء بلا رجعة.

وقد سافرت إلى الخرطوم منذ عدة أشهر والتقيت بعدد كبير من القادة السودانيين وتحدثت إليهم بصراحة فى كل ما هو مثار، وقد استمعت منهم إلى تقدير خاص لموقف الرئيس وحرصه على أمن السودان ووحدة أراضيه، وحتى «أريك مشار» فقد جمعتنى به جلسة حوار لم يتردد فيها هو الآخر فى تأكيد أهمية الدور المصرى بالنسبة للسودان وحتمية العلاقة بين البلدين.

وقد عدت من السودان لأكتب سلسلة حلقات عن الحلقات المفقودة فى ملف العلاقة بين البلدين وعن رأى الشارع السودانى وأهل الحكم فى طبيعة العلاقة مع مصر، ولقد لقى ذلك ارتياحاً كبيراً لدى الشارع والمؤسسات المصرية، فلا أحد يسعى للتوتر مع السودان، ولا أحد يريد أن يبقى الوضع على ما هو عليه.

ومع التقارب الذى شهدته العلاقات بين البلدين، خاصة بعد لقاء السيد عمرو موسى - وزير الخارجية - مع الرئيس عمر البشير على هامش اجتماعات القمة الإسلامية فى طهران، بدأت مصر تسعى إلى محاولة التقريب بين الفرقاء على الساحة السودانية حرصاً على أمن السودان ووحدته.

وقد بدأت مصر هذه الخطوة مع الصومال، ونجحت فى دعوة الجميع إلى مائدة واحدة، ولكن فى حالة السودان كان الأمر أشد تعقيداً خاصة مع إدراك القاهرة بوجود تدخل إقليمى وأجنبى يحرض المعارضة على الاستمرار فى طريق الحرب لإسقاط نظام الحكم بالقوة.

ولكن مصر لاتعرف الملل، فهى لاتزال تجرى الإتصالات، وتسعى إلى إزالة العقبات، وأعتقد أن لقاء المعارضة السودانية في القاهرة يدخل ضمن هذه المعادلة، معادلة التقريب بين أهل الحكم وأهل المعارضة لإغلاق الملف والتوصل إلى صيغة تراض بين الجميع.

لقد كان موقف الرئيس مبارك في لقائه بقادة المعارضة السودانية واضحاً، فأمن السودان ووحدته ووقف إراقة الدماء أهداف يجب أن يلتزم بها الجميع، ومصر لاتحرض طرفاً ضد طرف، بل تسعى لإنهاء الأزمة لما فيه مصلحة السودان وشعبه بكل فصائله.

صحيح أن الكلام لم يعجب جون جارانج الذى كان يأمل فى موقف من مصر يساعده على إسقاط نظام الحكم السودانى، ولكن هذا هو حقيقة موقف مصر الذى عبر عنه الرئيس مبارك وشدد عليه جميع المسئولين المصريين الذين التقوا بقادة المعارضة السودانية.

من هنا أقول للدكتور «أريك مشار» وآخرين: إن موقف مصر ثابت ولايتغير، وحرصها على أمن السودان ينطلق من الحرص على عمقها الإستراتيجى وإن مصر ترفض التورط لمصلحة فريق ضد آخر، بل تسعى إلى جمع الكافة على مائدة واحدة لأنها تدرك أن المخاطر كبيرة، وأن القوى الأجنبية تتربص علانية وتتآمر بوضوح على أ[illegible] السودان .

إن المعلومات تشير إلى احتمال قيام السيد على عثمان طه نائب الرئيس السودانى والمسئول عن ملف العلاقات مع مصر ـ بزيارة قريبة إلى مصر والاجتماع بالرئيس مبارك لمناقشة سبل إعادة الوحدة إلى السودان والجلوس إلى مائدة واحدة مع الفرقاء.

إذن هذه هى مهمة مصر وتلك هى رسالتها، فهى لم تأت بالمعارضة السودانية لتزايد بها على أحد، أو تتآمر بها ضد أحد، بل هى إعمال لدورها الرائد فى ضمان الإستقرار على الأرض السودانية، وإنهاء الخلافات التى تتفجر فى ربوعه.

بقى أخيراً أن أقول: إن مصر لن تسمح أبداً بانفصال الجنوب السودانى عن الشمال رغم أن الحكومة السودانية وجدت نفسها مدفوعة للموافقة عمليا على هذا المطلب الذى تقدمت به المعارضة فى مفاوضات نيروبى، ذلك لأن معنى الانفصال هو قيام دولة ربما تكون مطية لقوى أجنبية لاهدف لها سوى الإمساك بمنابع النيل وتهديد الأمن المصرى والعربى فى الجنوب..

وبعد كل ذلك هل يعقل أن يتهم البعض مصر بأنها تتآمر؟!!

العدد ٧٩

١٧/٨/١٩٩٨م

فرحة المقهورين

مشتاق أنا إلى بغداد.. إلى البصرة وكربلاء..

أريد أن أحتضن الشوارع.. أعانق مياه دجلة والفرات.. أمضى فى دروبها حراً أجلس على مقهى مصرى فى السعدون.. أدفع بجسدى متحاملا إلى العامرية.. أزحف إلى ملجئها الشهير، أسمع حكايات الموت، تدوى فى أذنى صرخات الأطفال الذين احترقوا، والعيون البريئة التى اخترقتها الدانات..

توقف هنا، لاتتعجل.. أريد أن أتأمل هذا الموكب الجنائزى.. إنهم أطفال ستون، سبعون، مائة، يا حسرة على الزهور.. ماتوا من الحصار، حملناهم فى نعوش صغيرة، ربما يظنونها لعب أطفال.. انظر الى هذه العيون الغائرة فى الوجوه، أجساد نحيلة أهلكها الجوع.

هل تسمعون آهاتهم؟.. هل تقرأون الحسرة فى عيونهم؟.. هؤلاء النسوة يودعن الموكب الحزين.. نساء عربيات، متشحات بالسواد.. مثلهن رأيت فى سوريا والكويت والخليج والقاهرة والمغرب والسودان.

هى ذات الوجـوه.. هى ذات القلوب.. هو نفس اللحن الجنائزى فى الصرخات.

ياسيدتى العربيـة: أسـمـعينى لحن الموت قـبل الرحـيل، مـاذا قـال طفلك؟ وهل سألك عن أعمامه فى القـاهرة والكويت وصنعاء؟. ومـاذا كانت إجابتك؟. هل حملّتنا مسئولية الحصار؟.. أم أنك قدمت عذراً للمقهورين الصامتين؟.

الساعة الآن الواحدة صباحا.. عيناى تغفوان فجأة..صوت القنابل يدوى فى الآذان.. الخوف يقتلنى.. الرعب لايترك أمـامى مـجـالا للاختيار.. صواريخ الشرعية الدولية لاتفرق.. فالكل مستهدف نساء وشيوخـا وشبـاب وأطفالا.. «فليحـيا» سيد البـيت الأبيض، و«لتحـيا» شرعيته، شرعية الدمار.

أزحف إلى حضن أمى.. أريد أن أحتمى من داء الخوف والظلام.. أمى ترتعد أيضا، تضمنى بيدين مرتعشتين. عيناها الدافئتان أصبحتا شاحبتين. أمى على وشك السقوط. فمـاذا أفـعل؟ ومن يحـمنى من غارات التتار؟!..

أهرب إلى الشـارع، الحـرائق فى كل مكان. ضـربوا مـولدات الكهرباء.. دمروا محطات المياه، هدموا مصانع الحليب على الرءوس.. حتى الزهور التى تحيط ببيتنا لم يتركوا لها فرصة للنماء..

كـأننى أرى وجـه هولاكـو يزحف إلى بـغداد..لايتـرك شـيئـا فى الطريق، يحـرق الكـتب والبشر، ينكس الرايات ويخطف الابتسامات..

ها هى لغة الدم تعود من جديد، فتباً لك يابوش يا مجرم ياقاتل، يا عربيد!!.

الحرب لاتنتهى .. الحصار يستمر أكثر من ثمانى سنوات.. كل شيء ممنوع ومحرم، مطلوب منى أن أركع، أن أزحف إلى تل أبيب، أن أبدى الندم وأقدم صك الاعتراف..

لا، لن أفعلها.. سأضمد جراحى.. سآكل عشب الأرض، سأعيش مرتدياً جلبابا فقيرا، لكننى لن أبيع، لن أمضى إلى سوق الماعز والخصيان..

«باتلر» .. يأ ايها القاتل فى ثوب بوش من جديد، ماذا تريد منا بعد كل ما فعلت؟ هل لديك المزيد؟ فأنت أجرمت وتآمرت .. وجهك الشيطانى يكشف ما تريد.. فاذهب الى الجحيم لانريدك على أرضنا، يكفيك أنك فتشت ديارنا وغرف نومنا.

ذهب بوش إلى غير رجعة، تاه فى وسط الزحام، أتمنى أن أسمع عنك خبرا يهدئ النفس المكلومة التى تريد الانتقام.. أما أنت ياكلينتون فكيفيك فضيحة «مونيكا والعاهرات».

جاءنى الخبر كأنه حلم.. الدمار يلحق بسفارتى واشنطن فى نيروبى ودار السلام. سبحانك يا منتقم ياجبار. هذه الحرائق تذكرنى بحرائق بغداد.. قلبى يتحسر على الأفارقة، لكننى مبسوط فيما جرى للأمريكان.

هكذا حولونا إلى ساخطين ناقمين، نبحث لأنفسنا عن ثأر يهدئ النفوس وفعل يريح العقول..

إذن هى الحرب.. لن أبحث عن الفاعل، فأيا كان الفاعل فهو شفى بعض الغليل، اسألوا الشارع العربى من الخليج إلى المحيط فسوف ترون الراحة تطل من العيون.. وحتى الذين أدانوا يقولون: دعهم يذوقون!

نعم يا أمريكا نحن شامتون، لانعتبر ذلك إرهابا، بل هو رد طبيعى على جرائمك العتيدة، على قتلك الأطفال والنساء وذبح الآمنين.

ذوقوا من نفس الكأس.. جربوا معنى الموت والحرمان.. عيشوا القلق عدم الاحساس بالأمان.. ها أنتم تهرعون كالفئران.. وجوهكم تلعق الرمال والخوف يدب فى نفوس أطفالكم من جديد..

نعم، المظلومون لن يسكتوا.. سكتوا طويلا.. ساروا على درب الشرعية والسلام. فإذا بهم ضيوف على موائد اللئام، نعم، تآمرتم علينا، كنتم ومازلتم سبب الكوارث والبلاء. . فكيف ننسى؟ ومن يعيد إلينا الشهداء أحياء؟!

الآن اسمع النساء يزغردن فى بغداد والقدس والخليل.. فى البوسنة وكوسوفا وطرابلس والخرطوم وجنوب لبنان.

الآن تتدفق الدماء فى عروق الأطفال، ينسون آلام الجوع والمرض ويهرعون.. والله واصبحتم فرجة يا أمريكان.

الآن يبدأ عهد جديد.. لايفل الحديد إلا الحديد.. أنتم بدأتم والدائرة تدور.. فأبشروا، لن تهدأوا فى أى زمان وأى مكان.. ومن أفعالكم يسلط الله عليكم.

العدد ٧٨

١٩٩٨/٨/١٠م

عن الغلابة

وآه على الغلابة، أنتم الوقود وإحنا الديابة، فى الشدة موجودين، وفى الفرح منسيين، هكذا حال الدنيا، ولا دايم إلا وجه الله ذى الجلال والإكرام..

نحن الآن على أعتاب الألفية الثالثة، الطب والاستنساخ، الستلايت والانترنت، أما أطفال قريتى فلايزالون يمضون فى الأرض حفاة.. يغرسون أقدامهم الصغيرة فى جوف الأتربة الحارقة، لايعبأون، لا يشعرون بسخونة الأرض، لم تعد لحومهم قابلة للشواء، تجمدت، فقدت الاحساس.

أطفال قريتى لايزالون يحلمون بطعم اللحم.. غذاؤهم المفضل المش والبصل، والحلو فول.. إنهم لايعرفون الطريق إلى كايرو لاند، أو السندباد.. لايدركون معنى لكلمة «ملاهى». عشاؤهم بكاء وصباحهم غثاء.

أطفال قريتى لايذهبون إلى مدارسهم، كبروا قبل الأوان، وراحوا يبحثون عن صنعة تأكل لقمة عيش أو زرعة تجيب قرشين، قولوا لى

بالله عليكم: وهل هناك بديل؟.. مصاريف التعليم نار، وملابس المدارس لايقدر عليها الفقراء.. إذن لماذا البهدلة وقلة الحيلة؟ وإيه حناخد من التعليم يا أبو عموه؟ حتى الحكومة بطلت تعين الناس، عيقولوا صندوق النكد اشترط، واللى أوله شرط آخره قرف..!!

يا سلام ع الفقر يا ولاد.. قال يعنى صندوق النكد ده ملقاش غيرنا، حاطط مناخيره من مناخيرنا، منع الدعم وسكتنا، بيعنا المصانع وحطينا لسانا فى خشمنا وخرسنا، خنق اقتصادنا واتكتمنا، بيعنا هدومنا وقلعنا، وآخرة المقام عيكلمونا، وبالنحوى، ويقول لك: عولمة وصراع حضارات ولاحوار ثقافات..

وآه يا زمن على الجلع، نفسى أشوف الدنيا مرة واحدة بتضحك لنا، نفسى أشوف أبويا وأبوك بيلبس هدمة نضيف وكندرة محترمة، يخرج ساعة العصارى، يمسك بواحدة كليوباترا ويبخ بنفس مفتوحة.

نفسى أشوف ناسنا الغلابة بيضحكوا من قلبهم، ينسوا همومهم، ومصاريف الأولاد، والخشوم المفتوحة اللى عاوزة تأكل الزلط.. نفسى أولادنا يفرحوا زى أولاد الناس الكويسة.. نفسى أشوف رمضان لابس حتة قطنية من اللى قلبك يحبها، ونفسى أتفرج على شحات وهو حاطط رجل على رجل علشان يفرجنا على الشراب الجديد.

نفسى أشوف أهلنا فى الغيطان بيحطوا انشاالله كولونيا ويغسلوا بصابون لوكس، نفسى أشوف أهلنا أمى وأمك تقلع الهدوم السودة وتنسى الحزن وتبطل شكاوى للجيران.. نفسى عيالنا يبطلوا يستنوا البيضة من ورا الفروجة نفسى يشبعوا ويبطلوا يتمروا على الوزة المعمرة الدار.

نفسى إخواتى يبطلوا خناق على طبق الفول فوق الطبلية.. نفسى يكون لكل واحد طبق انشالله فيه خمس معالق فول.. نفسى يكون فى عيش تأكل الجعانين، وميه تسقى العطشانين نفسى ونفسى ونفسك ونفسك.

وآه من أوجاعكم يا غلابة.. يا زادنا، يا أهلنا ياللى نسيناكم فى غمرة الانفتاح والانشكاح آه يامكلومين، يا اغلبية الوطن يا مقهورين.. بعناكم فى أول معركة على ناصية الطريق، فتحنا الباب للدولار. والدولار حصد فى طريقه كل شئ، زى النار تحرق ولا تحترق، موش مهم نضمن لكم العيش والبقاء، كفياكم جلع، علمكم عبدالناصر أشياء موش مظبوطة منحكم ٥٠٪ من المقاعد مجالس إدارات وعلاوات وضمانات ولجان ثلاثية كل ذلك يجب أن يذهب إلى الجحيم من أجل عيون القادمين.

إحنا بتوع العرض والطلب، إحنا بتوع الاقتصاد الحر والكافيار، أيوه احنا موش حنستغنى عن العمال زى ما الدولة بتقول بس أحنا خبراء فى التطفيش وكل واحد وعلامه، تلاعبنى قيراط الاعبك ٢٤، وكله فى الأليندا حلال.

المعاش المبكر لعبتنا، والفصل التعسفى شغلتنا، حتعملوا مظاهرات. حنقطع عيشكم إضراب حنسجنكم أنت شيوعى يا وله ولا ارهابى يا جبان.. كل التهم جاهزة والشهود كمان متفصلين.. وورينى حتعمل إيه يا حدق.. حتقولى ثورة. حتقولى جمال، حجبلك الباشا بالكرباج!!

آه لو الغلابة عرفوا الطريق لأفراح الهليتون والشيراتون وسميراميس

آه شموا ريحة اللحمة بالتقلية وضمنوا أنهم يخرجوا سالمين قسما ولا حتهمهم فيفي ولا دينا اللي حيهمهم بجد هو اللحمة وشوية الطبيخ!!

أنا عاوز افكركم باللي جرى في ١٨ و ١٩ يناير، فاكرين منظر الولية الغلبانة اللي صوروها ماسكة صندوق ويسكي، مسكينة هي مبتشربش، بس قالت أبيعه يمكن يجيب له عشرة جنيه اشترى بيهم حتة لحمة وشوية بطاطس علشان نعشي العيال في العيد الكبير.

تصوروا لو المسكينة دي دعوها لعشاء راقص أو واحد من أفراح البهوات يمكن تخرج على العباسية عدل، لأن مخها حيطق وعينها حتنفلق وبقها حينشق..

يا محترم ناسنا في دنيا والعالم الجديد في دنيا تانية، همه حاجة وانتوا حاجة تانية، مع أن دول بني أدمين ودول بني آدمين، ليه دول يعيشوا متخمين ودول يموتوا جعانين؟.. ظلم ده ولا عدل يا مرسي..

طبعاً ربنا مقسم الأرزاق، ونعم بالله، ولكن ربنا طالب بالعدل، والعدل هو الضمان حد عارف لو جات هوجة إيه اللي حيعمله الفقراء؟ شوفوا اللي حصل في اندونيسيا الغلابة اتجهوا على طول وحرقوا الحي الصيني- حي الأغنياء!!

لو أن الأغنياء لم يستفزوا الفقراء، لو أنهم كانوا عادلين وعلى السلام الاجتماعي محافظين أكيد كان الغلابة حيراجعوا أنفسهم ألف مرة قبل أي خطوة وخلي بالك محدش بيكره الاغنياء ولا رجال الأعمال بالعكس دول فيهم ناس قشطة وعسل على رأى أبلتنا فيفي

عبده.. بيقفوا مع البلد ومع الغلابة فى الأزمات لكن للأسف فيهم ناس تستفز طوب الأرض وتطلعك من وهدومك وتحسسك إنهم نصابين واونطجية وحرامية بنوك بس على كبير.

دول لا يفهموا فى الدور ولا الطحين، والله فيهم ناس كانوا مسحلين خطر، وتجار مخدرات ولحوم فاسدة ونشالين فى الاتوبيسات فجأة امتلكوا الملايين والمليارات، ومسكوا السيجار وركبوا الشبح وبقينا نشوف صورهم منورة فى الجرايد وقال إيه يكلمونا عن الخصخصة والبلبصة!!

تفتكروا دول ممكن يكون فيهم رجاء؟.. وهل دول همه اللى حيبنوا اقتصاد مصر؟ بالعكس همة دول الى حيخربوا مصر، لأنهم بيأكلوا ويأكلوا، ياخدوا القروض اللى همه عاوزينها، وفجأة تسمع انهم سافروا بره ومن هناك يرسلوا بالبيانات.. وإذا حاولنا نتكلم أو نقول بوقين حلوين عن اللى حصل يقول لك انتوا بتشوهوا صورة رجال الأعمال انتوا بتوع العهد الشمولى موش عاجبكم العجب ولا الصيام فى رجب.. وإيه يعنى لما يفلس فلان أو علان بيجى ونديله المزيد من القروض لغاية ميسد اللى عليه، إحنا لازم ننقذه علشان صورة البنوك وعشان مناخ الاستقرار والاستثمار.

وهكذا واحدة واحدة وقعنا فى أيد. عصابة ياباء عصابة تلف الحبل حوالين رقابنا تكاد تخنقنا باسم الخصخصة ومجتمع رجال الأعمال.

أما الحكومة وأه من الحكومة معدش ليها من اهتمام غير الدلع.. إذا أصدرت قانونا فهو لمصلحة ازالة العوائق من طريقهم وإذا هدمت التشريعات رأسا على عقب فده علشان تفتح الطريق قدامهم، كلام كبير

عن الإنطلاق ومعدلات النمو وتسأل كام الدين الداخلى يقول لك اكثر من ١٥٠ مليار.

طب وناسنا الغلابة يا حكومة؟ نسيتنا إزاى؟ هو إحنا وقعنا من قعر القفة ولا إيه؟ زمان كنتم تجيبوا سيرتنا فى الجرانين وفى الراديو والتليفزيون دلوكتى سمع هس، انتم مستعرين منينا يا جدعان؟ ولا يمكن الفقر خلص من البلد طب أو مال اللى بنشوفه فى بلدنا ده إيه؟ يمكن الأغنياء متنكرين فى ملابس الفقراء وإحنا موش داريين يعنى علشان الحسد والنكد قولوا لنا الحكاية وعرفونا الرواية حكم إحنا موش ناقصين..

أنا معاكم فى التفكير، شدوا حيلكم، روقوا البلد عال العال، هاتوا ٦٠ صنف من الجبنة السويسرية ودخلوها البلد، بس متنسوش إن المش هو الأصل أوعى يغيب عنكم الكلام حكم الناس دى جديمة وكلامها كتير ولو قامت القومة المرة دى والله فى سماءه محيطفيها عسكرى ولا غفير!!

اوعى تتغرى يا حكومة وتقولى يا دنيا اتهدى ما فيكى حد كدى... لا البلد بتغلى والله العظيم الناس مخنوقة وطهقانة الناس قرفت من حياتها ولولا الملامة وقلة الحيلة كنت تلاقى أغلبنا فى مستشفى المجانين فحاسبوا علينا عشان خاطر النبى كفاية ده انتم عفصتونا، وخريطتونا ونسيتوا إننا بنى ادمين..

أى والله العيال اللى علمناها وصرفنا عليها دم قلبنا قاعدة فى البيوت زى الولايا قال إيه صندوق النكد مبيحبش التعيين، يا أخى أنشاء

الله تنضرب فى بطنك، طب أنت راجل شبعان، إنما احنا جعانين، مالك ومالنا، الحكومة هى ابونا وهى زادنا، بتفرقنا عن بعض ليه؟ وتقسى قلبها علينا علشان ايه؟

لكن برضه أنت غلطانة يا حكومة كان لازم تعرفى إن الصندوق ملعوب بيتلعب علينا، إن تجاريه مع الجميع زى وشه، يعمل العملة ويقول ولا شفت ولا دريت يقتل القتيل ويمشى فى جنازته، وفى النهاية انت اللى فى الوش.

وانت موش كدنا يا حكومة، احنا كتار من الشلال لراس التين، ساعة الجد موش بنخاف ناخد الرصاصة ونعمل فيها شهيد. يطوفوا بينا العيال فى الشوارع نولعها والوطن هو الخسران. طب ليه يا حكومة ما البلد بلدنا كلنا؟

خلى بالك يا حكومة إحنا زعلانين، لأ غضبانين لأ موش طايقين، دمنا بيغلى وعنينا يتطلع شرار اوعى تفتكرى إنه علشان ساكتين نبقى راضيين أوعى تفتكرى إن شوية المنافقين دول صادقين دول معاكم معاكم عليهم عليكم. خلى بالك يا حكومة فتحى عينك كويس أنا عاوز أسألك سؤال: ليه عتزورى الانتخابات إن مكانش فيها أن أكيد إنت عاوزة شوية ناس مشوهين، تشغليهم بالإشارة وترقصيهم بالدوبارة..يبقى إنت عاملة عملة. بس المشكلة أنه إحنا فاهمين..

أى والله فاهمين وحدقين بس كاتمين.. إنت فكرك عمك عباس بتاع الفول موش دريان ولا أبويا عبداللطيف فى الغيط موش فهمان ولا

عمى سليم فى المصنع موش واخد باله؟.. لا وحياتك يا حكومة دول عارفين ومولعين. .طب إيه رأيك أحنا عاوزين نحل المشكلة تيجى نعمل اتفاق زى اللى عملتيه مع رجال الأعمال لو وافقتى أول حاجة نعمليها حافظى على لقمة هيشنا وساعدينا فى شغل لولادنا وحافظى على البلد ومصانعها الناجحة وخلى بالك لا حينفعنا جات ولا «بات» أحنا ملناش غير بلدنا واقتصادنا أما بتوع الغرب فدول ولاد إيه ميعرفوش غير مصالحهم.

تعالى كمان يا حكومة صالحينا فى حكاية الانتخابات يعنى مثلا زورى حبة، وسيبى حبه بلاش تاكليها والعة سيبى لنا حتة من التورتة.. إحنا برضه مشتاقين والبلد بلدنا كلنا، موش بلد الحزب الوطنى وبس..

عتقولى لى الشعب هو الأساس طيب إيه رأيك الشعب عاوز التغيير الشعب نفسه فى التبديل.. إديله فرصة والله حيحبك بجد أما إذا استمر الحال، فاعرفى إنه موش هيسكت كتير..

وكمان يا حكومة فى موضوع أمريكا وإسرائيل إحنا والله مبسوطين جداً من الرئيس، عاجبنا كلامه، وحرصه على الأمة وفلسطين بس قولوا لى ليه سايبين سفير إسرائيل فى أرضنا؟. ليه منطردهوش؟ وليه منطفشهوش؟.. قولوا لى بالذمة لي، نسمح للذئب «وولف» يدخل أرضنا ويفتش عن أهلنا ويطلع ويعمل مؤتمر ويقول اقباط واضطهاد وكلام ملهوش أصول؟.. أيه اللى عملناه ضد هذا الآفاق ؟.. قدمنا الاحتجاج يا فرحتى،.. يا اخى ده لازم يتمنع من دخول مصر هو وأمثاله ده

لازم تسيبوا انحاج عبدالعاطى ولد أبو محمدين يديله مركوبين، علشان يحرم ويتوب..

وعلشان سكتنا، شوفوا طلعوا لنا بحكاية صواريخ سكود يا سلام يا مارتن يا ابن انديك انت اتفرغت لنا دلوقتى بقينا الحيطة الواطية بتاعة اللى خلفوك.. طب، بص.. شوية على إسرائيل ولا احوليت واعووريت.. لكن العيب موش عليك العيب على مونيكا وفستانها العجيب!

باقية كلمة واحدة يا حكومة.. إحنا ملناش إلا بعض ولو اتحاورنا بعيدا عن سميراميس وعند شط ترعة فى برديس يمكن تفتكرى العشرة وترجعى لحضننا من جديد. ساعتها وحياة سيدى عبد الرحيم القناوى حتلاقينا وحوش فى الميدان، نأكل الزلط ومانعملش الغلط،.. ساعتها لا حتهمنا أمريكا ولا إسرائيل حتبنى بلدنا ونربى ولادنا حنطرد الفاسدين ونجيب الحلوين ساعتها البلد حتبقى بلدنا كلنا نشعر فيها بالأمان ونبنيها بحجر صوان.. أه يا حكومة لو ريحتى البال.. أنا مشتاق لبلدنا ولترابها ولقعدتها الحلوة فى الأمان. احنا تعبنا يا حكومة.. وحياة أبوكى وحياة الغالى سيبينا نربى العيال!!

العدد ٧٧

١٩٩٩/٨/٣م

دردشـــــــــة

اسمحوا لى هذه المرة أن أكتب عن «الأسبوع».. أن أتحاور معكم بصوت عال، أن أكاشفكم بالحقائق، دون خجل، ودون ادعاءات لبطولات زائفة.. فواقعنا انتم تعرفونه ومهمتنا أنتم أدرى بها، وطريقنا لا يخلو من الأشواك والمؤامرات.

أنتم تدركون أننا لا نكتب كل ما عندنا. تعرفون أننا نحسس الخطى. نختار الكلمات بعناية. نخلق من أنفسنا رقباء دون رقابة نحاول أن نبلغ الرسالة بلغة متوازنة.. ننقى عباراتنا من الكلمات الساخنة، تحترق دماؤنا لكننا نمتلك قدرة عجيبة على كتمان غيظنا.

منذ ولدت هذه الصحيفة والهواجس تطاردنى، محكوم أنا بعقدة اغلاق الصحف، أغلقوا لى من قبل صحيفة «مصر اليوم» ثم «مصر الفتاة» الحزب والصحيفة. عزلونى فى تمثيلية سخيفة من رئاسة تحرير «الأحرار».. ألقوا القبض علىّ مرات متعددة وجهوا إلىّ كل الاتهامات لكن عناية الله كانت الأقوى .. فى كل أزمة كنت وزملائى نخرج أقوى من ذى قبل لا أعرف السبب هل دعاء الوالدين أم أنه الإصرار

على البقاء أم إحساس كثيرين داخل النظام بأننا نكتب لوجه الله، وأن حبنا لهذا البلد وانتماءنا له أقوى من أى اغراءات؟

تأملوا معى تركيبة العاملين فى الجريدة، شباب فى عمر الزهور، كلهم أبناء فقراء، نزحوا من القرى والنجوع والكفور. حملوا معهم أحلام أهليهم فى بحرى والصعيد، جاءوا إلى القاهرة ليعبروا عن الأغلبية الساحقة فى المجتمع، ليرسموا صورة الواقع دون تزويق».

جاءوا ليقولوا كلمتهم فى خضم السوق المفتوحة، جاءوا يفرغون شحنة الألم التى تكاد تقتلهم. جاءوا ليمدوا أياديهم إلى أشقائهم المحاصرين وليحولوا أقلامهم إلى صواريخ فى مواجهة الصهاينة والأمريكان.. جاءوا ليحموا عرض الوطن فى وقت أصبح فيه كل شئ مستباحا.

فقراء لكنهم لا يعرفون الطريق إلى الرشوة لا يتاجرون على حساب المبدأ والقيمة يدركون أن قلم الكاتب هو شرفه ، فإذا ما ارتهن القلم ضاع الشرف.

منذ البداية تعاهدنا .. قالوا لى: نرجوك لا تغلق لنا هذه الصحيفة أيضا. حتى زملائى حملونى أنا مسئولية الأغلاق. أصبحت أنا المسئول فى عرفهم. لذلك لابد أن أغير تكتيكاتى وأن أعيد رسم الخارطة من جديد.

بعد عزلى من رئاسة تحرير الأحرار بقيت ستة أشهر فى منزلى، رحت استجدى إحدى الصحف كى تنشر لى مقالا عن كارثة السيول

التى ألمت بأهلى، شعرت بالقهر كدت أموت كمداً من الغيظ ونشر المقال الوحيد وانتهى الأمر.

لم أصدق أن الحكومة ستوافق على اصدار هذه الصحيفة تقدمت بطلب إلى مصلحة الشركات وأنا متردد، أعرف أن الطريق أمامى طويل. موافقات من مباحث أمن الدولة والأمن القومى وهيئة سوق المال والمجلس الأعلى للصحافة، لكن من يصدق فقد منحونا رخصة جديدة رغم أنف الفاسدين ودعاة التطبيع...

ومنذ البداية توجس البعض، تساءلوا: ما السبب؟ هل باع مصطفى بكرى نفسه للحكومة؟ إيه الحكاية بالضبط؟ لقد حصل على رخصة جريدة مستقلة، عجز الكثيرون عن الحصول عليها، لابد أن فى الأمر شيئا غير طبيعى،. إنه لايزال يحاكم فى قضية جيهان السادات، إن وزير الأوقاف السابق ومعه جيش من الكبار يقفون له بالمرصاد. إن الحرب التى تعرض لها فى الصحف كفيلة بوأده بلا قيام، فهل يعقل بعد كل ذلك أن يمنح صحيفة.. ومستقلة لا رقيب عليها ولا حسيب؟ إيه الحكاية بالضبط؟

لم أرد على أحد بل كنت دائما اقول انتظروا ولا تسبقوا الواقع.. وجاء موعد الاثنين ١٩٩٧/٢/١٧ وصدرت الأسبوع وكان استقبال القراء لها أكبر مما أتصور بكثير وبقيت الصحيفة فى صعود دائم أذهلنى وأذهل الزملاء.

سالت دموعنا من الفرحة ونحن نرى العدد الأول بين أيدينا، بكينا بحرقة، وضحكنا بجنون، فمن يصدق أن ذلك حدث أنا شخصيا لا

أصدق لكنه حدث، ووضح للجميع أن قلب الحكومة أحن علينا من قلوب المعارضة التى ينتمى أغلبنا إلى صفوفها ولو بشكل بعيد عن التنظيم.

كنت أدرك أن القرار هو قرار حسنى مبارك شخصياً، لم يكن راضياً عن كل ما اكتب، لكننى كنت أعلم دوماً أن الرئيس رفض عشرات من محاولات التحريض ضدى، فى كل تجارب الصحف التى أسستها والمواقع التى تبوأتها.

كان لقائى الأول معه فى منزله عام ١٩٨٦ ، كنت شاباً صغيراً، وكان الرئيس يشجعنى دوماً كنت أسمع من الاستاذ مكرم محمد أحمد اعجاب الرئيس ببعض ما أكتب فى مجلة المصور، وكنت على يقين من أن مبارك يمتلك من سعة الصدر ما يسمح للآخرين بحق الاختلاف.

لم يكن غريباً إذن أن يعطى الرئيس الضوء الأخضر لاصدار صحيفة الأسبوع بعد أن استوفت كل الشروط وصدرت الأسبوع وسط تحذيرات الأصدقاء وتوجس الخصوم، أصيب الشامتون بحسرة وخيبة أمل، بعضهم كان يشن حربه ضدى لأننى ناصرى، وآخرون لخصومة سابقة، وبعضهم لأننى صعيدى.. أى والله لأننى صعيدى وقد استكثروا على صعيدى أن يترأس تحرير صحيفة، أو يتحدث عن مشاكل الصعيد، وكأن الصعيد ليس جزءا من الوطن، أو كأن أبناءه مواطنون من الدرجة الثانية لا يحق لهم إلا أن يبقوا فواعليه.. وفقط!!

ومضى العدد الأول وتلته أعداد لم تتوقف حاولت منذ البداية المحافظة على الثوابت والمواقف المبدئية، لكننى فتحت الطريق أمام

قــدر لا بأس به من المرونة، نعم أنـا نـاصــرى لكننى لا أدعـى أننى وغـيرى نحـتكر الحكمـة والحلول الناجحـة وحدنا، من يستطيع منا أن يدعـى أنه الوطنى الوحـيـد وأنه صـاحب الرأى السـديد؟ هذه نظرة ضيقة وهى تعبير عن ضيق أفق سياسى... لذلك قلت من البداية نحن لسنا جـريدة نـاصـرية حـتى وإن دافـعت عن ثوابت ثورة يوليـو، لكننا جريدة كل الوطنيين والشرفاء المصريين.

فتحنا البـاب أمـام من يدافعون عن الحكومة ومن يختلفـون معها، فتحنا البـاب أمام كل التيـارات السيـاسية بلا استـثناء، منحنا القارئ مساحة معقولة يعبر فيها عن أوجاعه وارائه وهواجسه، كان هدفنا هو أن تكون جريدة كل المصريين بل وكل القوميين المدافعين عن وحدة هذه الأمة.

وكان طبيعـيا والحـال كذلك أن نسـعى إلى تضمـيد بعض الجراح المفتوحـة وأن نرمم بعض الجسور المقطوعـة وأن نعالج قضايانا وفقاً لمصلحـة الوطن والأمـة، فنحن لسنا أسـرى تيار سيـاسى بعينه، وليس لدينا غطاء حزبى، نعكس ايديولوجيتـه، بل نحن بـاب مـفتوح للجميع، لايستبعد منه سوى المدافعين عن الفساد والصهيونية وأمريكا وكل أعداء الأمة.

ودارت العجلة، لم أكن راضياً عن كل ما يكتب، لم أكن راضياً عن بعض ما يمنع أو تعاد صياغته، أو تتم معالجته بطريقة أخف دماً، لكن ذلك كله لم ينل من ثوابتناوالدليل حـملات الفساد المتعددة التى شنتـها الصحيفة، والمواقف المبدئية التى اختلفت فيها وبشدة مع أهل الحكم والحكام..

كنت أتلقى يومياً عشرات الخطابات من قراء عاديين، يبدون تقديرهم، ويطرحون اقتراحاتهم، يدفعوننا قدما إلى الأمام ، شعرت بأنهم حولى وأننا محميون بالناس، بالبسطاء الذين نكتب من أجلهم، هؤلاء هم أهلنا، هم زادنا، هم جيشنا القابع فى الحقول والمصانع والأحياء الشعبية وبيوت الفقراء فى النجوع والقرى والكفور.

كان كل خطاب يصلنى اعتبره وساماً على صدرى وصدر الزملاء، كنت أفاخر به، وأدعو الجميع إلى قراءته فهذا هو نبض الناس، وتلك هى الثقة الغالية، وهذا هو رأس المال الحقيقى.

الاف الخطابات. لا أظن أن صحيفة أخرى تمتلك ما نمتلك من هذه الكلمات الجياشة الظريفة إنها تؤكد أننا نمضى فى الطريق الصحيح.

نعم قد نخطئ قد تنسينا الحياة الدنيا بعضا من الأمور،قد نسكت عن فلان أو علان رغماً عن أنفنا، ولكن صدقونى فثوابتنا لاتزال حية صامدة، ومواقفنا المبدئية لم تتغير ولن تتغير.

إن ثقة قارئ فقير من سوهاج بصحيفته أهم عندى من ثقة كبار القوم وحكام الأمة جميعها. لأننا ندرك أن ثقة القراء هى المكسب الحقيقى لأنها تعبير عن النبض الحقيقى.

ولذلك عندما وصلتنى عدة خطابات تستنكر نشر اعلانين عن شركة كوكاكولا، ونحن ندعو إلى المقاطعة، ورغم أن الإعلان مهم للصحيفة ويجب ألا يؤثر أبداً فى سياستها التحريرية فإننى طلبت فوراً من قسم الإعلانات عدم نشر أية إعلانات لهذه الشركة، أو غيرها من

الشركات المشابهة حتى لو كان الثمن العجز عن تسديد المرتبات، أو حتى توقف الصحيفة من الأساس.

لا تتخيلوا كم أثرت هذه الخطابات الثلاثة التى وصلتنى فى نفسيتى، لقد شعرت بوخزة الضمير، لم أنم الليل هادئا مطمئنا لعدة أيام، شعرت بأننى فى حاجة إلى أن اعتذر لكل قارئ، أن أذهب إليه فى بيته، أن أؤكد لهم أن رضاء القارئ عندى أهم من الدنيا كلها، وإننا هنا تعبير عن هؤلاء الصادقين، وأنهم يمتلكون شفافية وصدقاً ربما أكثر مما نمتلك بكثير، وأن رأيهم دائماً هو الصواب لأنهم النبض الحقيقى، عن الواقع.

أرجوكم يا أعزائى لا تتوقفوا عن النقد والانتقاد، قد تأخذنا الحياة الدنيا بعض الشئ، قد تبهرنا الأضواء أحياناً فقومونا، ابعثوا إلينا برسائل عنيفة، هزوا ضمائرنا حتى لا نصاب بالتبلد مثل الآخرين، هذا حقنا عليكم فنحن منكم وأنتم منا، ويوم أن تنتهى هذه المعادلة فلتغلق الصحيفة أو لتذهب إلى الجحيم لأن الموت الحقيقى لنا هو يوم أن تهتز ثقتكم بنا.

ثمة أمور أرجو المعذرة فيها، هى أمور بسيطة لا تضر، لكنها تحافظ على بقاء هذه الجريدة واستمراريتها، أظنكم تفهموننى جيداً، نعم أفعلها وأنا دمائى تحترق لكنها أبداً لا تتعلق بالثوابت أو المبادئ.

الثوابت أنتم تعرفونها جيداً، لأنها تعبير عما فى ضمائركم وهى ثوابت لم تهتز فى مصر اليوم، أو مصر الفتاة أو حتى فى «الأحرار» التى تعبر عن حزب يقف على النقيض من أفكارنا وثقوا بأن الثوابت

باقية، وأن المعركة مع الفساد والمفسدين، مع الصهاينة والمتصهينين مستمرة حتى اليوم الأخير.

هذه المعارك هى التى تعطينا مشروعيتنا على أرض الواقع. هى التعبير الحى عما يجيش فى صدورنا. هى المتنفس الذى دونه نموت كمداً من الألم والحسرة. إن «الأسبوع» صحيفتكم صوتكم هى بيت كل فقير وصوت كل مظلوم، وعنوان كل مضطهد. هى طريقكم إلى الحقيقة، ويوم أن نخون الرسالة اقذفونا بالأحجار، فإن لم تقومنا الأحجار فاطلقوا علينا رصاصة الرحمة واحكموا علينا بالموت.

العدد ٧٦

١٩٩٨/٧/٢٧م

فجر الثورة

- يا عزيز .. يا عزيز .. كبة تاخد الانجليز.

- يا رب يا متجلي.. اهلك العثمللي.

- الاستقلال التام أو الموت الزؤام.

- نموت .. نموت وتحيا مصر..

كانت الهتافات تدوى فى أعماقى .. ترفع درجة الغليان فى دمائى.. اهتف وأنا طفل صغير .. أردد صدى الصوت فيجتاح عقلى وكيانى..

الآن أنا هنا فى ميدان المنشية بالاسكندرية مازلت تلميذا.. عمرى لم يتجاوز الخامسة عشرة.. أبدا لن أذهب إلى منزلى.. سأنضم إلى كتيبة المتظاهرين .. أنا أيضا أحب الوطن .. الرصاص لن يخيفنى .. والدماء التى تسيل فى الشوارع لن تردعنى.. فأنا مشدود نحو الحلم القابع على مقربة منى..

المظاهرة تتحول إلى اشتباك مع رجال البوليس.. ها أنذا أمسك بحجر صغير.. أواجه قوات تطلب الرصاص.. الحشود تتوالى، لكن

ذلك لن يخيفنى.. فجأة هوت عصا عنيفة على رأسى.. سقطت على الأرض، توالت الضربات، ثمم شحنونى إلى الحجز والدماء تتدفق من رأسى.

تلك هى المرة الأولى التى ادخل فيها السجن، دفاعا عن الحلم.. كان أبى لا يريدنى أن أنزلق إلى عالم السياسة والمظاهرات، وكانت أمى تريد حياة آمنة، لكن مشاعر الغضب تملكتنى ضد هؤلاء الذين استعبدوا الوطن..

أبدا لن أسكت، أبدا لن أصمت.. انتقلت إلى القاهرة، ومن هنا بدأت أضع يدى على الداء والدواء.. أقرأ عن مصطفى كامل.. عن الثورة الفرنسية.. أتأمل حال أهلى الفقراء .. انهم يرزحون تحت نير الإقطاع البغيض.. الوجوه الحمراء تحكم بلدى.. الاحتكارات تسيطر على السياسة والاقتصاد، والفقراء يمضون إلى المقصلة كل يوم..

حولنا يقبع ٨٠ ألف عسكرى بريطانى يلوثون شرف الوطن، يرفضون الرحيل عن الأرض، حشودهم تتوالى، ووجودهم يترسخ، اتفاقيات الخيانة تدعم بقاءهم، والحكومات العميلة تزرع اليأس فى النفوس، وكأن بريطانيا قوة لا تقهر، أو كأن الاحتلال فرض عين إلى يوم الدين..

كانت دمائى تحترق وأنا أرى العسكر المحتلين يتجولون تحت سمائى أشعر بالاختناق واتطلع إلى نسيم الحرية، الحلم يكبر بداخلى، يسيطر على كيانى، لابد من طريق إلى الخلاص، فكان تنظيم الأحرار، وبدأنا الخطوات الأولى لتحقيق الأمل. سفيرهم هنا هو المندوب السامى،

هو صاحب القرار، بإشارة منه تتألف وزارات وتسقط حكومات.. الكل يزحف إليه، والكل ينشد رضاه، نعم من هنا من مقر السفارة البريطانية تدار السياسة فى بلادى..

الملك، وآه من هذا الفاسد الماجن السمسار، عدو الشعب، ومطية الانجليز.. هذا الملك ليس مصريا، لكنه ورث مصر عن آبائه وأجداده، حولوها إلى عزبة للنهب والسلب، استباحوا كل شئ على أرضها، أذلوا شعبها وعاملوه معاملة البهائم..

ظن الملك نفسه مخلدا، جمع حوله جوقة من المنافقين والفاسدين، طبلوا وزمروا لانجازاته الوهمية وعبقريته الفذة.. حولوه إلى إله يأمر فيطاع، خلدوه على العرش أسوة بسابقيه واعتبروه فلتة من فلتات الزمان..

كان الشعب يتحسر، يسمع الروايات التى تحاك وراء أسوار القصور، يتألم، لكنه كان عاجزا عن الفعل.. الاقطاع يمسك بالكرباج، وأصحاب المصانع عبيد المال يهددون بالفصل والتشريد.. والكل كانوا فى حماية الأشرار..

ومضت الأيام ثقيلة.. خمسمائة عام ونحن أسرى العثمانيين وملوكهم ومماليكهم.

كانت القاهرة تحترق، وتحترق معها قلوبنا، لكن سليل الخونة لا يحرك ساكنا، فقد كان مشغولا بمغامراته وصفقاته وولى عهده الذى حمله بين يديه وأطل من الشرفة على بعض ضباط الجيش ليقول لهم:

إنه يهديه إلى الوطن، وكان يقصد بالطبع انه يهدى الوطن كله إليه..

لم يكن هناك من خيار أمام عبد الناصر ورفاقه سوى الثورة، لم يفكروا فى مصيرهم، فمصير الوطن هو الأهم، حملوا أرواحهم على أكفهم ليحرروا مصر من نير الاحتلال والاستغلال.. وكانت ا لثورة وكان بيان ٢٣ يوليو..

هتف الفلاحون في القرى والكفور، انتفض العمال فى مصر، دوت صرخة ارفع رأسك يا أخى فقد انتهى عهد الاستعباد فى قلوب المقهورين.. بكى الشيوخ بعد أن عانوا الذل كثيرا، هتف الشباب يحيا الأمل، عاش الوطن.

جلس عبد الناصر إلى نفسه، بكى فرحة الانتصار، الآن بدأ الحلم يتحقق.. الآن أصبحت مصر تحكم بيد المصريين، الآن يجب أن تحيا مصر وأن يتذوق شعبها طعم الحرية، بعد ٧٤ عاما من الاحتلال الانجليزى، وبعد قرون من حكم الغرباء.

لم تكن تلك سوى البداية، ولكن من يترك مصر وحالها.. المؤامرة مستمرة، وقوى الاستعمار وحلفاؤهم ينتظرون اللحظة المناسبة، إنهم يريدون مصر أسيرة سجونهم وعبوديتهم.

زعموا أن عبد الناصر انتهك الحريات ونسوا أن حريتهم لم تكن سوى مسرحية هزلية لزوم الوجاهة لطبقة لم تعرف طيلة عمرها سوى اذلال الشعب، وتسخيره لمصلحتها هى فحسب.

حدثونا عن الأحزاب وتناسوا أن شعب مصر وصل فى ظل دستور ٢٣، وبعد ٣٠ عاما من الممارسة، إلى درجة من العجز سمحت لأعدائه بإهدار دستوره وإقصاء حزب الأغلبية فى هذا الوقت.

قولوا لى بالله عليكم كما قال جورج بوردو: ما أهمية أن يكون الإنسان حرا فى تفكيره إذا كان تعبيره عن الفكر يعرضه للاضطهاد الاجتماعى، وأن يكون حرا فى رفض شروط العمل إذا كان وضعه الاقتصادى يرغمه على قبولها، وأن يكون حرا فى التمتع بالحياة إذا كان البحث عن لقمة العيش يستغرق كل حياته..

لقد سيطروا على مقدراتنا وأمسكوا برقابنا.. كانت هناك عشرة بيوت تسيطر على القطن بلغ نصيبها ٩٠ ٪ من مجموع الصادرات، وكان عدد قليل من الملاك يستأثرون وحدهم بثلث الأراضى الزراعية، وكانت مظاهر الاحتكار فى الصناعة تثمر عنها اتفاقيات مشبوهة بين أرباب الأعمال لتحديد الأسعار والانتاج وتقسيم السوق على حساب الشعب الغلبان.

نعم كانت الثورة ضرورة بعد أن وصلت الأوضاع إلى حالة لا يمكن السكوت عنها، فتحركت القوات المسلحة من أبناء هذا الشعب العظيم وطردت الملك الفاسد وأعلنت الجمهورية وأعادت مصر للمصريين..

ومضت الثورة تشق طريقها دفاعا عن مصلحة الوطن والجماهير، خضنا مع عبد الناصر معارك متعددة دفاعا عن العزة والكرامة، أصبح اسم مصر عاليا يشق عنان السماء، وبدأنا نشم أنفاسنا بعد مرحلة طويلة من العبودية والإذلال.

ولكن من يتركنا فى حالنا، عادت المؤامرات تطل برأسها من جديد، لم ننهزم، لم ننكسر، خرجنا إلى الشوارع حتى فى ظل الهزيمة، نصرخ من الحناجر والقلوب، حنحارب.. حنحارب كل الناس حتحارب..

تمسكنا بالقائد، رفضنا قراره بالتنحى، صممنا على اعادة بناء القوات المسلحة استعدادا لمعركة المصير..

لم تكن تلك مسرحية هزلية، ولم تكن هذه المشاعر الفياضة مجرد عواطف وقتية، كانت قرارا عقلانيا، صممنا على تحقيق المستحيل، اقتطعنا من قوتنا الكثير، اشترينا الدبابات والطائرات والصواريخ..

كانت مشاعرنا هناك على الجبهة فى القتال وفى كل قطعة من أرض مصر الغالية، كان الجندى هو الرمز والأمل، كنا نحتضنهم داخل العيون، نشد على أياديهم، ندفعهم قدما إلى الأمام..

لملمنا الجراح، زرعنا الأمل فى النفوس، دفنا الشهداء بأيدينا، واقسمنا على قبورهم بالانتقام، وقبل أن نحقق الحلم رحل عنا الزعيم..

رحل عنا عبد الناصر الذى امتلك القلوب والعقول، بكيناه كثيرا، زحفنا نودعه بالملايين، لم يكن فى وداعه بيجين أو ديان، بل جمهور غفير من الفقراء والمساكين.

شعرنا باليتم للمرة الأولى منذ سنوات طوال، لكننا حفرنا له مجرى فى القلوب، دخلت صورته إلى كل البيوت، عاش فى ذاكرتنا لسنوات طوال ولا يزال يعيش.

حاولوا تشويهه، سعوا إلى اختلاق الادعاءات والأكاذيب، جعلوا من أنفسهم أبطالا وهم مجرد جرذان لا تقوى على الخروج من البيوت،

ألفوا الروايات، وإعادة كتابة التاريخ وحشوه بالأكاذيب، لكنهم فوجئوا بعد سنوات طوال أن عبد الناصر عائد من جديد..

نعم نحن لم ننس عبد الناصر ولن ننساه، لن يسقط من ذاكرتنا، بل سيظل خالدا فى القلوب والعقول..

نعم الآن يبيعون مصانعنا، يوزعون شركاتنا على أصحاب الملايين، يسلبون أراضى الاصلاح من أيدينا، لكن ذلك كله لن يمحو تجربة عبد الناصر من أذهاننا.. بل ستبقى التجربة كالحلم الجميل القابل للتحقيق مرة أخرى

نعم نتذكرك يا عبد الناصر ونحن نرى الصهاينة أحفاد القردة والخنازير ينتهكون أعراضنا ويدنسون مقدساتنا ويغتصبون أرضنا ويشردون شعبنا. نتذكر صرختك دفاعا عن فلسطين، ودعوتك للأمة دفاعا عن القومية والمصير..

نتذكرك يا أبا خالد ونحن نرى حقوقنا الاجتماعية تضيع وسط طوفان الخصخصة ومجتمع رجال الأعمال الجديد.. ونسأل أنفسنا أين الدولة ودورها، وإلى متى نظل خانعين لشروط صندوق النقد والبنك الدوليين؟!

نعم نتذكرك ونحن نرى يد أمريكا وقد امتدت إلى احشاء الأمة تحاصر ليبيا والعراق، وتتآمر على السودان، وتبعث بجيوشها وأساطيلها إلى الخليج.

نتذكرك ونحن نرى أفريقيا وقد أصبحت ساحة يعبث فيها الموساد، ومرتعا خصبا لمؤامرات واشنطن، واداة لتنفيذ مخططاتها ضد الأحرار.

نتذكرك ونحن نرى واقعنا العربى يمضى من سئ إلى أسوأ، يعجز فيه القادة والحكام عن عقد قمة يعتبر للأمة بعضا من شرفها أسلوب . نتذكرك ونحن نرى علم الصهاينة الارهابيين يرفرف فى أكثر من عاصمة عربية، وبعض حكامنا لا يكفون عن الحج ذهابا وإيابا إلى تل أبيب !!

المأساة مفجعة والواقع مرير، لكننا لن ننهزم، ولن نستسلم لليأس أبدا مهما يكن المصير..

ثق يا عبد الناصر بأن فى هذه الأمة رجالا لن يطووا صفحة التاريخ، لن ينسوا الثأر من الأعداء، ولن يفرطوا فى ثوابتهم، ولن يتنازلوا عن حقوقهم .

لن نكون وحدنا فى الميدان، فيدنا تمتد إلى الجميع، نفتح قلوبنا لخصوم الأمس لنقف فى خندق واحد ضد أمريكا واسرائيل..

لن نسمح لأحد بأن يجرنا إلى معارك جانبية مع رفاق الوطن والمصير، فالوطنية ليست حكرا على أحد، والوعاء يسع الجميع..

نعم كفانا جراحا ومعارك وهمية، فالتحدى الذى يواجهنا جميعا هو الدمار الذى ينتظر الأمة كلها، ولن يستثنى منها سوى الخونة والعملاء..

إننا نمد أيدينا إلى يد الرئيس مبارك الذى يقاتل على أكثر من صعيد، لينتشل الأمة من واقعها المرير ويضعها على عتبة التحدى قبل أن يجتاحها الطوفان.

إن المطلوب هو جبهة شعبية ـ رسمية عريضة تستعد ليوم المواجهة الذى لاشك فى أنه قريب..

لق لقد أثبتت الأيام أن مصر العظيمة تبقى عظيمة وأنها تقف صامدة رغم التهديدات وإثارة المشاكل، والسعى لضرب جبهتنا من الداخل لحساب مخططات أمريكا وإسرائيل..

إن كل مصرى شريف لا يستطيع إلا أن يؤيد مواقف الرئيس، وأن يشد على يديه مطالبا بالمزيد، وأول المزيد هو طرد جاسوسهم المسمى سفيرا، الذى يدنس الأرض المصرية الطاهرة، واغلاق هذا الوكر المسمى سفارة إلى أبد الآبدين.

إننا ونحن نحتفل بالذكرى السادسة والأربعين للثورة نسترجع ذكريات الماضى ومعارك الأمس، ليس من باب البكاء على الأيام الجميلة فحسب، ولكن لنبحث لأنفسنا عن طريق بعد أن تعددت بنا الدروب..

والطريق واضح والمضى فيه هو القادر على انتشالنا من واقعنا المرير.

العدد ٧٥

٢٠/٧/١٩٩٨م

وقاحة واشنطن وكرامة مصر

بين الحين والآخر تهل علينا بعثة أمريكية تناقش، تستمع، تتحاور، حول أوضاع الأقباط فى مصر.. ونحن بدورنا نكتم غيظنا، نتعامل بدبلوماسية يحسدنا عليها القاصى والدانى..!!

ومنذ بدأت هذه اللعبة الجديدة تحولت ساحة الوطن إلى بوابة للعواطلية وعملاء الاستخبارات الأمريكية، الكل يزحف إلى هنا ويلتقى بالكبير والصغير (قال إيه) حتى يطمئن على أحوال الأقباط فى مصر!

ومنذ فترة من الوقت سمحنا لبعثة من كنيسة نيويورك، تجولت فى الوطن بطوله وعرضه والتقت بالكبير والصغير، ثم سافرت إلى الولايات المتحدة وهناك عقدت مؤتمرا صحفيا أكدت فيه كذب الادعاءات القائلة باضطهاد الاقباط، وأشادت بالمناخ العام السائد فى البلاد وموقف الحكومة المصرية فى هذا الصدد.

ولكن لأن سادتنا وأولياء أمورنا فى واشنطن، يريدون إشغالنا بقضية داخلية تنغص علينا حياتنا، وتعرقل نمونا، لهذا اخترعوا لنا حكاية الاضطهاد الدينى وفصلوا لنا قانونا لهذا الغرض يستخدم وقت اللزوم

لكبح جماحنا والتدخل فى شئوننا.. وتجاهلوا عن عمد تقرير هذه البعثة وراحوا يواصلون اللعبة.

ورغم أن البابا «شنودة» المرجعية الأولى للاقباط أعلن فى الداخل والخارج لأكثر من مرة أنه لا صحة لهذه الأقاويل، وأن علاقة الطرفين يجمعها نسيج واحد ومصير واحد، إلا أن أمريكا لا تريد أن تصدق أحدا؛ لأن لديها أهدافها التى تنتظر التنفيذ!

ومنذ أيام جاء إلى القاهرة صعلوك من صعاليك أمريكا، عضو بالكونجرس الأمريكى على رأس وفد من الصعاليك ليلتقى بكبار المسئولين ويلقى بالاتهامات جزافا، ويتدخل فيما لا يعنيه، مما استفز الدكتور أسامة الباز الذى خرج من هذا اللقاء ليحذر واشنطن من مغبة التدخل فى الشئون الداخلية المصرية.

والحقيقة أننى كنت أتمنى من هذا الكونجرسى أن ينزل إلى أرض الواقع ويتخفى فى زى امرأة ويذهب إلى منطقة شبرا، ولو فكر وفعلها لراى بعينيه العجب العجاب، ولأدرك هو وأمثاله أنهم ملفوظون من الأقباط والمسلمين على السواء.. وآه لو اكتشفوه لمزقوه إربا وألقوا بجثته للبوم والغربان!!

لقد جاء الصعلوك الأمريكى ليعطينا هنا فى مصر دروسا فى كيفية التعامل مع الاقباط، والحقيقة أن الحديث أولى أن يسمعه لرئيسه وقادته فى الكونجرس، ليحسنوا من معاملة السود الأمريكيين، ويحترموا أديان الآخرين، ويحافظوا على وحدة المجتمع الأمريكى المعرضة للتمزق والانهيار فى أول عاصفة قادمة إن شاء الله.

.. إن مصر يا سيدى ليست فى حاجة إلى نصائحكم السقيمة، والتى تحمل السم فى جوهرها؛ لأن العلاقة بيننا هى علاقة أبناء الوطن الواحد، الذين عاشوا قرونا وسيبقون إلى أبد الدهر يعيشون أبناء مخلصين لهذا البلد، لا تفرقهم الأزمات ولا تؤثر فى نسيجهم العواصف والبراكين..

إن الشيء المحزن فى كل ذلك هو موقف الحكومة المصرية التى ترتعد خوفا من سادتنا الجدد.. إيه الحكاية بالضبط، ولماذا تسمحون من الأساس لحثالة البشر بالدخول إلى بلادنا والتحدث فى أمر داخلى لا يعنى أحدا سوانا؟!

هل أصبحت بلادنا ساحة مستباحة لكل من هب ودب يأتى إلينا ويفتش جيوبنا وغرف نومنا؟! ويسألنا عن المحرمات التى تمثل اعتداء على سيادتنا؟!

نحن نسمع منكم كلاما جميلا عن رفض السماح بالتدخل فى شئوننا، لكن ذلك يبقى مجرد كلام فى كلام؛ لأن ما يجرى هو العكس فأنتم تسمحون للجان التفتيش بأن تأتى إلى وطننا وتستجوب كبار المسئولين فينا، ثم تبقى رقابنا معلقة انتظارا لكلمة منهم حتى تطمئن قلوبنا..!!

يا سادة نحن ليس لدينا شيء نخاف منه. والسكوت على الأمريكان بهذه الطريقة، يزيد من تدخلهم ويقوى العناصر القبطية المغرضة والمعادية لوطنها فى الخارج؛ لأن هذا يعنى باختصار أن حملتهم قد نجحت، وأن لجان التفتيش الأمريكية أصبحت سيفاً على رقابنا وأنه ليس أمامنا سوى الخنوع والاستجابة لكل ما يريدون.

إننى أحذر هنا من أن هذا الأسلوب هو الذى يصنع الفتنة الطائفية، وأن ذلك كفيل بإثارة موجات عارمة من التطرف قد يدفع الوطن كله ثمنها، وإن هذا هو بالضبط ما يريده الأمريكان، حتى يجدوا لأنفسهم حجة للتدخل العسكرى المباشر ليس دفاعاً عن الأقباط، بل عن الصهاينة المجرمين فى الأساس!

إذن هم يريدون الأقباط كبشى فداء ربما يريدون الثأر من موقفهم برفض زيارة القدس مادامت تحت ظل الاحتلال أو ربما يريدون الثأر من وطنيتهم وحبهم لهذا البلد وانتمائهم العروبى الأصيل.. أى يريدون تأديبهم على كل تاريخهم المشرف ناصع البياض!

إننى أقول للحكومة المصرية بعلو الصوت: إن أسلوبك فى التعامل مع الأمريكان فى هذه القضية وغيرها لا يعجبنا، ولا نقبل به ونرفضه رفضا شديدا على الإطلاق، لأنه يذكرنا بأيام «المندوب السامى البريطانى»، ولأنه يمثل إهانة شديدة لكرامتنا ووطنيتنا..

إننى «باسم كل مصرى» حريص على هذا الوطن أطالب حكومتنا الرشيدة بألاتمنح أى أمريكى تأشيرة دخول إلى أرض مصر ما لم تعرف أهدافه من الزيارة والقضايا التى سيناقشها، فتمنع دخول كل من يتطاول علينا ويحاول التدخل فى شئوننا ولو كان كلينيون نفسه.

وإذا استمرت واشنطن على موقفها من قضية الأقباط فأعتقد أننا مطالبون بإرسال وفد شعبى مصرى تتلوه وفود رسمية للتفتيش عن أحوال السود والمسلمين فى أمريكا وتوجيه اللوم إلى الحكومة الأمريكية على مواقفها العنصرية من هذه الفئات!!

ولا مانع فى ذلك أن نصنع لهم قانوناً شبيهاً بالقانون الأمريكى الخاص بالاضطهاد الدينى، وإن نحدد بالقانون عقوبات وجزاءات فى حال عدم التزام واشنطن بالتوصيات التى ستصدر عن الوفود المصرية التى ستفتش عن الأحوال داخل المجتمع الأمريكى.

ولا أظن أن هذا الكلام يحـوى تخـريفاً من أى نوع، بل هذا هو الطبيعى لأى شعب يبحث عن كرامته، ويرفض التدخل فى شئونه الخاصة، وإذا رفضت أمريكا هذا الاقتراح فأولى بمصر أيضا أن توقف هذا السيل الجارف من السادة المفتشين من «صعاليك» الكونجرس والإدارة الأمريكية.

إن كرامة مصر يا سادة أهم لدينا من الحياة ذاتها، وما أراه وما يراه غيرى الآن هو أننا نفتح الباب تدريجياً أمام القوى الخارجية للتدخل فى شئوننا وبعثرة صفوفنا!..

تصوروا لو أن مصر خرجت بالقضية إلى الرأى العام، وقررت اتخاذ إجراء فيه شئ من الحسم ولو باستدعاءسفيرنا فى واشنطن وشحن سفيرهم خارج مصر - مثلا - ساعتها كانت أمريكا ستفكر ألف مرة ومرة فى كل خطوة تخطوها ضد أمننا وسيادتنا.

ولكن للأسف كما يقول المثل: «سكتنا له دخل بحماره»فها هى واشنطن تترك إسرائيل تعبث بالسلام، بل وتؤيدها علنا ومن خلف ستار فلا تجد أى رد فعل معاد من الأمة ضدها، بل هو الصحيح فالكل حريص على قبلتها، والكل يزحف إلى بيتها مع أن الجميع يدرك أن واشنطن لن ترضى عن أحد منهم، وأن لكل حاكم فيهم ساعة قادمة وبديلا جاهزا..

إذا قالت لا داعى للقمة، أيدنا، وبحثنا عن المبررات، وإذا قالت ليس أمامكم من خيار سوى السلام، تمسكنا وتشددنا فى الحرص مهما علا صوت الباطل ومهما زحفت المستوطنات!

لقد وصلت وقاحة الأمريكان بإبداء احتجاجهم ورفضهم للزيارة التى قام بها الرئيس مبارك للاطمئنان على شقيقه معمر القذافى (قال إيه) لأنها لاتحبذ مثل هذه الأساليب!!

إننا لم نسمع أمريكا توجه اللوم إلى رئيس النيجر أو تشاد اللذين خرقا الحظر الجوى وسافرا إلى ليبيا رغم أنف الجميع، لكنها تفعل ذلك مع مصر والرئيس مبارك الذى حصل على إذن من الأمم المتحدة قبل السفر!!!

إننى أقول للأمريكان إن شعب مصر يمقتكم، وهو لا يريد معونتكم المغموسة بالمذلة والاستعباد، وإننا هنا أحرار فى قرارنا نسافر إلى ليبيا أو إيران أو العراق أو حتى مدغشقر فتلك هى أمور تتعلق بسيادتنا وحقنا فى الاتصال بالأشقاء..

من أنتم يا «بقايا عصابات المافيا» حتى تتحكموا فى مواقفنا؟! من أنت يا كلينتون حتى تسعى إلى تركيع الأمة على أعتابك! أنت لست أكثر من «مراهق» تطارده الفضائح والنساء، فهل يحق للضعفاء والساقطين أرباب الباطل أن يتدخلوا فى شئوننا؟!

إننى أقول لكم: إن الأمة لم تمت، إن رجالها لم يتحولوا إلى عبيد فى بلاطكم.. لأننا مازلنا نربى أطفالنا على قيم الجهاد والكفاح والدفاع عن المبدأ والأرض والعرض..

لقد حاول الكثير من أجدادكم أن يدخلونا إلى حظائر عبوديتهم، لكنهم اضطروا صاغرين إلى الانسحاب من بلادنا يجرون وراءهم أذيال الخيبة والعار!!.

لا تظن يا كلينتون أنت وذيلك - النتن فى فلسطين السلبية - أنكم انتصرتم بمحاصرة أشقائنا فى ليبيا والعراق والسودان فالمارد العربى لايزال يقبع داخل ضلوعنا، والمرارة التى تكسو حلوقنا ستتحول إلى قنابل نووية في وجوهكم.. فأنتظروا، الساعة قادمة.

نعم الساعة قادمة رغم أنف الخونة.. الأمة ستثور وتقضى على حدودها الوهمية رغم أنف المستعمرين..

نحن لم نفقد الأمل، ولم نسلم الراية، الصراع بيننا وبينكم باق ما بقيتم، والجهاد حق على كل فرد فينا ما دامت أرضنا محتلة ودماؤنا مستباحة وبطون أطفالنا جائعة.

هذه الأمة وجدت لتبقى ولسوف تبقى رغم أنف القتلة والمجرمين.

العدد ٧٤

١٣/٧/١٩٩٨م

سلاح الإرادة

أنا لن أيأس .. لن أفقد الأمل، سأتفاءل دوما، سأترك عقلى يحلم، سأقاوم الإحباط، سأقهره وانتصر عليه، لن أمنح الأعداء فرصة اغتيالى بالموت البطىء.

هذه الأرض أرضى أنا، وأبى ضحى هنا، التاريخ بناه اجدادى، الأرض الطيبة رووها بدمائهم الزكية، كرابيج الاقطاع حفرت انهارا فى اجسادهم الطيبة وعبودية رأس المال تطل من عيونهم البريئة، لكنهم بقوا صامدين ،عاشوا رجالة وماتوا رجالة، قد تشعر بأنك وحدك فى هذا العالم، قد تكفر بالناس التى اعتراها التغيير، وبالقيم التى انهارت والحصون التى سقطت، قد تدرك أنك غريب عن كل ما حولك .. هذا متوقع لكن أرجوك أن تقاوم .. ابتسم وتأمل الغد الآتى.

فى أحيان كثيرة نصاب بحالة من الغثيان مما هو حولنا، تشمئز نفوسنا من الفساد الذى استشرى، والوجوه التى شاخت فى أماكنها، نكاد نموت غيظا من هذه المظاهر الغريبة عن مجتمعنا، ومن هذه الأشكال التى راحت تطل علينا فى غفلة من الزمن، ولكن قولوا لى بالذمة: هل

نترك لهم ساحة الوطن ونرحل بعيدا عنه؟ هل نسلمهم الراية ونسقطها من ايادينا عن طيب خاطر؟

لو كل مواطن فينا أصابه اليأس والقنوط، لانتهت اسطورة الوطن وضاعت معالمه، وانهار كيانه!

لو كل فرد فينا استسلم للفساد والمفسدين، ونأى بنفسه عن المشاكل والقضايا، فمن منا يحمى العرض ومن منا يثير الرعب فى نفوس المنحرفين؟!

نحن يجب ألا نخاف من قوة رأس المال وبطشه الشديد، ويجب ألا يرهبنا السجن والسجان، فالسجن للجدعان والشهادة دفاعا عن المبدأ والوطن أسمى أمانى المجاهدين..

فى تاريخنا القديم والحديث أمثلة رائعة لمقاتلين عاشوا وماتوا ولم يعرفوا طيلة حياتهم سوى التضحية من أجل هذا الوطن، والدفاع عن ثوابته، قدموا كل غال ورخيص، لم ييأسوا، ولم يكفروا، ولم يقولوا أبدا «واحنا مالنا دع الخلق للخالق».

نحن الآن فى أشد الحاجة إلى صحوة وطنية تقتحم كل العقول وكل البيوت، ونحن فى حاجة إلى أن نمسك بتراب الوطن ونتشبث بحباته حتى لا تذروه الرياح، نحن فى حاجة إلى تعميق الهوية والجذور فى مواجهة العولمة التى لا تريد منا إلا الذوبان فى ثقافة الغرب، والاستسلام لحضارة الغرب.

نحن أمة تمتلك كل مقومات الصمود رغم الحرب الضروس، نحن أمة لم تمت بعد ولن تموت رغم المؤامرات التى تحاك، والألاعيب التى

تجـرى ضـدنا فـى الخـفـاء، ومـحـاولات التـشكيك التـى تنال العـقـيـدة والحقوق ..

يجب ألا نستسلم لليأس أبداً، وإلا حققنا هذف الأعداء، علينا أن نتحمل وأن نبقى صامدين، علينا أن نتذكر عيون الوطن مع كل رصاصة تخترق القلوب، وأن نشتم رائحته مع كل سوط يكوى الأجساد ليؤدب العقول فالوطن يستحق منا الكثير وينتظر منا الكثير ..

من شاشة التلفاز يطل علينا النتن ياهو بوجهه القبيح، يهددنا، يتوعدنا، يستوطن الأرض وينتهك العرض. نتألم، تحترق دماؤنا من العجز وقلة الحيلة، ولكن أبدا لا نهتز، أبدا لا نستسلم، أبدا لا نسقط مع الساقطين.

غدا سنسحقك وسنسحق كل صهيونى جبان، نعم سنلقى بكم فى البحر، ولن نبالى .. سنطاردكم ونثأر من أياديكم الآثمة، لن يهمنا عالمكم الجديد، فالسلام لدينا هو كل الأرض .. حيفا مثل يافا، والقدس مثل غزة، انتم غرباء عن هذا الوطن فلماذا التدليس والاستسلام لماذا الاقرار بما ليس حقكم؟ لماذا يكتب علينا نحن أن نتحدث عن السلام وأن نقدم التنازلات لأجل عيونكم؟ فأين هو سلامكم المزعوم؟

سنوات وسنوات ننتظر على قارعة الطريق ، راهن البعض على أطراف منكم ، قلنا منذ البداية انكم جميعا وجوه لعملة واحدة ، قالوا اطلعوا من البلد، قلنا إن أى صهيونى هو قاتل مستعمر خسيس ، قالوا كفاكم تشددا بلا مضمون .. وها هى النتيجة أصبحنا نستجدى السلام فيبيعون لنا الاوهام!!

لاأدرى إذا كنا نخدع أنفسنا أم أننا نبحث عن مبرر للاستسلام ، هذا الامر الواقع لايرضينا ، هذ العجز العربى يقتل النخوة فينا ، فإلى متى هذا الهوان ؟! من قال لكم إننا عجزة ، نحن لدينا القدرة على صنع مائة قنبلة نووية ، فلماذا لانفعلها ؟.. لماذا نخاف الإقدام ؟!

أى عالم هذا الذى يجب أن نحسب حسابه والقدس تضيع من بين أيدينا ؟! أى خوف على السلام وقد أصبح كلمة ممجوجة فى أيدى اللئام ألم يحن الوقت بعد لنفيق من الأوهام ؟! ألم تأت الساعة التى يجب أن يصحو فيها المارد العربى من جديد يعيد إلينا العزة والكرامة بيد من حديد ؟!

لقد طال الانتظار يا سادة .. أصبحنا فى نظرهم كالفئران المذعورة التى لاتسمن ولاتغنى من جوع .. لاأحد يحسب حسابا لنا، لاأحد مستعد للتفاهم معنا ، علينا فقط أن ننتظر الأوامر ، وأن ننفذ التعليمات !!. قولوا لى بالله عليكم ماذا تعنى الضربة العسكرية الأخيرة ضد العراق ؟! بماذا نسمى ذلك ؟! والله إن كلمة الذل لتآبى ، فالحالة أعتى وأشد هوانا.. أرضنا ويتحكمون فى قرارنا .. ليس مطلوبا من قوات العراق ان تتحرك على أراضيه ، مطلوب أن تبقى ساحتنا مستباحة لأبناء القردة والخنازير.

من أجل شهوات كلينتون ، ومزاج النتن ومصالح أمريكا وإسرائيل يموت أطفال العراق من الجوع ، من أجل إرضاء خاطر هؤلاء العطشى لدماء العرب يجب أن يمنع عنهم الدواء والغذاء .. يبقى أن تبقى سماؤنا مكشوفة ، وظهورنا عارية ، واسلحتنا مدمرة !!.

إيه الذل ده؟ ثماني سنوات يا كفرة ولا تشبعون؟ العراق الأبي، بغداد العروبة، البصرة، كربلاء .. أكثر من عشرين مليون مواطن عربي، كل هؤلاء مطلوب ابادتهم ومحوهم من خريطة الوجود!!.

أين أنتم يا حكام الأمة؟ أين أنتم حتى من إفريقيا التي اتخذت قرارا بإسقاط الحصار على ليبيا لماذا لا تخجلون؟ لماذا لا ترحلون طالما أنتم عاجزون؟!

هل رأيتم ما يحدث في السودان؟! انفجارات ومؤامرات، لعبة دولية واقليمية، يريدون ذبح بلد عربي آخر، تدمير اقتصاده والقضاء على كيانه، كل هذا لأن هذا البلد قرر الاحتكام إلى شرع الله ورفض مذلة الأمريكان ..

معاركنا الصغيرة تنسينا الهموم الكبيرة، تسقط من أيادينا الحلم القومي لأمة موحدة قادرة على دحر الأعداء ..

تأكل جسدنا الخلافات الثانوية وننسى أن هناك عدوا ينتظر الاستفراد بنا الواحد تلو الآخر.

هل سمعتم عن المؤامرة التي تدبر للجماهيرية الليبية، لقد عادوا من جديد إلى اتهاماتهم الكاذبة، فبعد استخدامهم لسلاح الارهاب، عادوا يحدثوننا عن تعاون ليبي - عراقي في إنتاج أسلحة الدمار الشامل، وها هم يحيكون خيوط المؤامرة لضرب ليبيا الشقيقة لأنها تقول للصهاينة والأمريكان: لا !!

لن يتركوا أحدا فينا، وها هم يعدون لمؤامرة أخرى ضد مصر التي ترفض الاستسلام لمطالبهم وتصر على انقاذ الأمة من مستنقع السقوط

النهائى، لا يريدون لمصر أن تقود، بل يريدونها عاجزة، منهارة، ليست لديها قدرة على الفعل والتأثير، ولهذا أبشروا بمزيد من المؤامرات ضد الوطن وضد القيادة ..

هل سمعتم تطاول النتن ياهو على الرئيس مبارك؟ لقد تعدى هذا القاتل كل الحدود، لمجرد أن مبارك رفض فقط فكرة مؤتمر مدريد ٢ التى يريد النتن من ورائها اسقاط اتفاقيات أوسلو!!

من الذى منح النتن كل هذه الجرأة؟ ولماذا لا نطرد جاسوسهم المسمى سفيرا من أرض القاهرة بعد هذا التطاول الذى وجه فيه إلينا أقذع الألفاظ؟!

إننا دبلوماسيون زياددة عن اللزوم، نتعامل معهم بلغة يحسبونها ضعفا .. يجب أن نقول: لا بعلو الصوت، وأن نتصرف بما يتواءم ووزن مصر، وأن نعطيهم دروسا تعلمهم الأدب فى مخاطبة أسيادهم..

يجب أن نمزق هذه الأوراق وأن نشطب كلمة التطبيع من قاموسنا، يجب أن نريهم العين الحمراء وإلا استمرأوا اللعبة واستمروا فى سخافاتهم وهم على يقين بأن أحدا لن يرد عليهم أو يقول لهم عيب!!.

إن أول خطوة يجب أن نبدأ بها هى طرد هذا السفير وإغلاق الوكر المسمى جمعية القاهرة للسلام، وابعاد المتصهينين عن وسائل الإعلام الذين يدسون السم فى الكلمات لمصالح مشبوهة ..

مطلوب إذا كنا جادين حقا فى المواجهة والاستعداد، أن نعيد صياغة صورة الوطن من جديد، مطلوب أن نطلق سراح الوطنيين وأن

نتحى حلف الفساد والمفسدين، وأن نراجع خطابنا السياسى ومفاهيمنا الاقتصادية وأن نعلن انحيازنا لكل ما هو نبيل على أرض المجتمع.

إذا فعلنا ذلك سوف ينهض الوطن وتعلو راية الأمة، وسيولد الأمل فى النفوس من جديد، أما إذا بقى الحال على ما هو عليه فالانفجار قادم قادم ولن يترك فى طريقه شيئا لأننا مللنا من كل شئ.

العدد ٧٣

٦/٧/١٩٩٨م

بالسلامة

أمريكا تهددنا بقطع المعونات .. يا مرحباً .. يا مرحباً .. فلتذهب أمريكا ولتذهب معوناتها إلى الجحيم .. إن هذه الأموال تشعرنا بالمذلة، بالتبعية، تبدو وكأنها سلاسل حديدية يقيدون بها إرادتنا ويجبروننا بها على الركوع لإرادتهم..

ماذا تعنى الـ ٨٠٠ مليون دولار سنوياً؟ .. إنها تعنى تدمير كيان الأمة، وعرقلة نموها، وأمركة شعبها، والسيطرة على قرارها .. هل هناك أحد فيكم يستطيع أن ينكر ذلك؟ .. هل هناك أحد مستعد لأن يقنعنى بغير ذلك؟..

وهذه المعونة الأمريكية يا سادة تقدم إلينا مشروطة، ومعروف مقدماً أوجه صرفها، حتى تتحول فى نهاية الأمر إلى لعبة ابتدعها الأمريكان ليصرفوا بها على الأمريكان، وبشروط تخدم الاقتصاد الأمريكى، وليس الاقتصاد المصرى. ورغم أننا رضينا بالهم، لكن الهم لا يرضى بنا، فبعد سلسلة من المعايرات وقلة الذوق فى الكونجرس والدوائر الحكومية الأمريكية، وبعد التهديدات بالقطع والتخفيض ما لم نذعن لكل الشروط ونلتزم بكل القرارات، جاءوا الآن ليعلنوها صريحة:

سوف نبدأ بتخفيض مائة مليون دولار سنوياً، ثم تخفض المعونة إلى النصف خلال عشر سنوات..

والحقيقة أن اللعبة من أولها لآخرها مهزلة بمعنى الكلمة، ومحاولة لادخالنا حظيرة العبودية من جديد، وفرض المذلة علينا وعلى أبنائنا وأحفادنا، ولذلك دعونى أندهش من هذا الذى يحدث، ولماذا نحن صامتون؟ ..

إن مصر يا سادة قادرة على أن تأكل العشب مثلها مثل باكستان دفاعاً عن كرامتها، والشعب المصرى العظيم الذى لا يزال يربط الحزام على بطنه قادر على أن يستمر صامداً أبد الدهر دفاعاً عن عزته، فلماذا نستهين دوماً بقدرات الشعب ونقدمه إلى العالم وكأنه شعب ذليل خانع مستسلم؟..

لقد تجرأ أحد الكوينهاجيين ليطالبنا على صفحات صحيفة قومية بأن نكف الحديث عن العزة والكرامة، وأن نولى وجوهنا شطر أسياده فى واشنطن وتل أبيب، وهذا الكلام لا يخص سوى صاحبه وهو لا يلقى منا نحن المصريين إلا سلة المهملات.

إن عزتنا وكرامتنا هى الدافع الحقيقى لكل مصرى للدفاع عن الوطن والعرض، ويوم أن نتخلى عن ثوابتنا سنصبح كالقشة تذروها الرياح، سنصبح عبيداً لا نملك سوى الخنوع ولا نتحدث إلا بلغة الاستسلام.

إن الشعب المصرى العظيم يختزن فى ذاكرته هذه المعانى السامية، وهو شعب لا يعرف أبداً لغة الهزيمة .. قد يصمت لبعض

الوقت، قد يحبط، لكنه أبداً لا يصل إلى حالة اليأس، إن أحداث التاريخ تحكى لنا الكثير والكثير، عن روعة شعبنا العظيم وقدرته اللامحدودة على التحدى والصمود، فلكيف إذن دعاة الهزيمة الذين باعوا الوطن بالدولار عن ترديد أن مثل هذه الأقاويل ..

ألم يقرأوا شيئا من تاريخ هذا الشعب؟ ألم يدركوا بعد أن فلاحاً فى ريف مصر، أو مواطناً فى صعيده كفيل بتلقين أسيادهم دروساً لن تنسى؟!

ألم يقرأوا كيف أجبرنا الفرنسيين على الرحيل؟ وكيف أذقنا الانجليز الويلات؟ وكيف لقنا الصهاينة درساً لن ينسى فى أكتوبر ١٩٧٣؟ لقد قرأت الأسبوع الماضى حديثاً مهماً للأستاذ إبراهيم نافع مع رئيس وزراء باكستان نواز شريف .. كان الحديث رائعاً وكلمات نواز شريف تعكس حرصاً حقيقياً على أمن بلاده، وقوة لا تقدر دفاعاً عن العزة واستقلالية القرار.

قال نوار شريف: إن كلينتون عرض عليه صبيحة يوم التفجيرات النووية تقديم خمسة مليارات دولار كمساعدة عاجلة لباكستان إذا ما تخلى عن التفجيرات .. لكنه رفض وقال: إن الأمن القومى الباكستانى أهم لديه من أية مساعدات ..

كان نواز شريف يدرك من البداية أن بلاده سوف تتعرض لاغراءات وتهديدات عديدة قد تصل إلى حد العقوبات، لكن الرجل الحريص على أمن بلاده قال: إننا بدأنا اجراءات تقشفية فى المواجهة، وإننى انتقلت إلى شقة من غرفتين فقط حتى أتعايش مع حالة التقشف ولمواجهة العقوبات الدولية .. هل رأيتم رجولة وقدرة على التحدى أكثر

من ذلك؟ ترى هل هذه شعارات كاذبة أيضا؟ أم أنه احساس حقيقى بأمن البلاد وإدراك يقينى بالمخاطر التى تحيق بباكستان فى حال تخليها عن السلاح النووى بعد أن أجرت الهند العديد من التفجيرات؟

لو أن نواز شريف سمع كلام الأمريكان، وارتعد من تهديداتهم لتحولت باكستان إلى دولة ذليلة تقبل كل ما يفرض عليها من الهند ولتخلت تدريجياً عن حقوقها فى كشمير، ودعت إلى السلام وضبط النفس وتصدت لكل الأصوات المطالبة بالحقوق ..

لم يخف نواز شريف على كرسيه، لكنه تحدى الجبروت، فإذا بالجبروت يتحول إلى فأر ذليل يستجديه ويسعى إلى اغرائه، لكنه أبى وصمم وانتصر فانتصرت معه باكستان ..

نعم انتصر معه الفقراء فى الريف والعمال فى المصانع، وشعر المثقفون بالزهو وأصبح الجندى الباكستانى يشعر وكأنه هرقل قاهر الأسود.

ما أحلى الحياة الحرة الكريمة، وما أجمل العزة والاحساس بالرجولة ..

ليس مهماً أن نأكل اللحوم ونحن نعيش المذلة، نستطيع أن نعيش على طبق الفول بكرامة ..

ليس مهماً أن نلبس الحرير المغموس بطعم الخنوع لكننا مستعدون للعودة إلى الجلاليب الزرقاء، وأن نمضى حفاة فى الأرض، ولكن رقابنا مرتفعة إلى عنان السماء ..

المعونة الأمريكية لم تقدم لنا شيئا، لم تبن المصانع، ولم ترو الحقول، ولم تذهب إلى جيوب الفقراء، إذن هى لا تعنينا فى شىء ولا تخصنا فى قليل أو كثير..

فلتذهب المعونة وليذهب صاحب المعونة، ولتبق راية مصر العظيمة مرفوعة، ولنتخلص من هذا الغثاء الذى علق بنا وبثوبنا ناصع البياض ..

إننا يجب أن نطهر أنفسنا من كل ما هو أمريكى وصهيونى، إن بإمكان الرئيس مبارك أن يصنع المعجزة، وأن يعيد لمصر دورها الرائد فى مواجهة أعداء الأمة، وأن يحقق الوحدة المنشودة من المحيط إلى الخليج ..

لقد أذلنا الصهاينة يا سادة، واستهانوا بكل المحرمات، صنع النتن ياهو من نفسه حاكماً علينا، وموجها لسياساتنا، تحدى الكبار والصغار فينا، أعلن أنه لن يقبل بالسلام إلا بما يفضى إلى استسلام العرب جميعاً فماذا فعلنا؟

مازلنا نحن الحريصين على السلام، نرفض الحرب، ونرفض امتلاك السلاح النووى .. لماذا؟ .. لماذا بالله عليكم؟

لماذا لا نفتح الطريق أمام كل الخيارات؟ لقد قدمنا السبت فلم نجد الأحد ولا حتى الجمعة، سلامهم المزعوم ورقة يستطيعون تمزيقها فى أى وقت، وتهديداتهم لنا هى تهديدات جادة تحولت إلى قرارات للهيمنة والسيطرة على كل جزء من الأرض.

أصبحنا عبيد احسانهم، نتسول منهم السلام ولو كلمة على الورق، لكن النتن يأبى إلا أن بذلنا ويتحدى كل مشاعرنا .. فماذا فعلنا؟!

إن الانكسار والتراجع لن يعيد الحقوق إلى أصحابها، إن ايثار السلامة لن يصنع لنا سلاماً حقيقياً، بل يساعد على تقوية العدو وفرض إرادته على المجتمع ..

يا حكام الأمة، لقد مللنا، أصابنا الضجر، لم نعد نصدق أى كلام عن السلام وأية وعود عن الوئام .. لم نعد نصدق حججكم عن القمة الموعودة والتى لن تنعقد، أصبحنا ندرك عن يقين أن القرار الأمريكى - الإسرائيلى هو الذى يصنع القمة أو يجبرها على عدم الانعقاد ..

الناس فى الشارع تبكى بدلا من الدموع دماً، الناس تشعربالعجز، فلا تخذلوها أكثر من ذلك، ولا تصدق أن الناس لديها ثقة فى شىء.. احذروا البركان الذى يعتمل فى النفوس، فالقدس غالية علينا، وشعب فلسطين جزء من نسيجنا، وعجرفة اليهود تنتقص من رجولتنا، فاحذروا لن نستمر طويلا صامتين ..

نعم الموت بعزة وكرامة أشرف لدينا من حياة المذلة والخنوع، فاحذروا البركان القادم، ولا تعتقدوا أن عمر الصمت طويل..

العدد ٧٢

١٩٩٨/٦/٢٩م

الطريق إلى القدس

إذا تحدثت عن القدس هل تصمدون معى حتى النهاية؟ أم أن مباريات المونديال أجدى ومتابعة أنباء الفياجرا وتأثيراتها الحسية أهم؟!

يا عالم يا هووه كل شيء يضيع من بين أيدينا .. هل استمرأنا لغة الصمت والخنوع؟ هل قررنا الانصراف عن همومنا الوطنية وحقوقنا القومية، وترك أمريكا ترسم لنا ملامح الطريق وتعيد لنا صياغة الواقع؟

لقدأعلن النتن يا هو عن خطة جديدة أسماها خطة توسيع القدس وقصده بالطبع تأميم ماتبقى من القدس وتهويدها ، وإنها كل المظاهر العروبية والدينية من أرضها ، ليغلق بذلك ملف التفاوض حولها ، ويقطع الشك باليقين لأنه لن يجد فرصة أفضل من تلك التى نعيشها الأمة فى ظرفها الراهن ..

ولأن اللحظة خطيرة ، فقد تشاور النتن مع العجوز الشمطاء التى تفخر بأنها من أصول يهودية رجرى الاتفاق على كيفية إخراج المسرحية للرأى العام ، والانتهاء من الأمر فى ظرف أسابيع قليلة ..

وبالفعل خرجت علينا الخارجية الأمريكية بلسان المتحدث باسمها ليزف إلينا نبأ مهما يقول فيه : إن حكومته اتصلت بحكومة « إسرائيل » وأبلغتها بقلقها البالغ من هذه التصرفات - قال إيه - لأنها تفسد جهود السلام ..

ويقال والعهدة على الراوى : إن العجوز الشمطاء التى حدثتكم عنها الأسبوع الماضى اتصلت بالنتن وأسمعته فاصلا من الردح قالت فيه : ما رأيتك يا نور حتى ابيضت العيون ، مالى على فراقكم جلد إلا هجاجى من البلد ، محبة بلا حبة ما تساوى حبة ..!!

وهكذا خرجت علينا أمريكا بموقف قوى ، أعطت فيه إسرائيل درسا لا ينسى ، مما دفع بالنتن ياهو إلى أن يرد عليها بلغة عنيفة وحاسمة قال فيها بالحرف الواحد : لولاك يا كمى ما أكلت يافمى ، لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفاى ..

وأمام هذه الحرب المشتعلة التى أشعرتنا بأننا لسنا وحدنا وبأن ست الكل أمريكا تقف إلى جانبنا ، كان علينا أن نتهمل فى عقد القمة العربية الميمونة ، لأن الصراع (مولع) على رأى الاخوة بتوع كوبنهاجن ، وما دام الصراع (مولع) فلابد من الانتظار ولم العجلة يا طويل العمر ؟!

نصرخ فى العالم ، نزحف إلى أعتاب الحكام .. القدس تضيع من بين أيدينا ، لماذا تتركون الجيوش ساكتة ؟ متى تتحركون إذن ؟ .. ماذا بقى لنا بعد كل ما جرى ؟ .. لابد أحد يجيب .. لا أحد يريد أن يتكلم ..!!

كأن الأمة أصيبت بغيبوبة ليس من بعدها فكاك ، فالكل منصرف إلى أمور أخرى ، والكل لا يريد أن يفتح الموضوع ، مع أن ما يجرى فى أرضنا السليبة يحرك الجبال ..

زهقنا من ميوعة المواقف ، تعبنا من الحجج الكذابة ، والخداع المتعمد ، والتبرير غير المنطقى لأمور يدرك السادة أننا نفهمها على حقيقتها ، وأننا نعرف حكايتها من الألف إلى الياء ..

ألستم معى أن الأمور وصلت إلى منتهاها ، وأن ملف القضية فى حاجة إلى أن يفتح من جديد ، وأن علينا أن نضع النقاط فوق الحروف ، وأن نقول بملء الفم إن الأزمة فينا نحن وليست فى أمريكا أو إسرائيل ..

شىء طبيعى أن يسعى الأعداء إلى اغتصاب الأرض وإذلال الأمة ، لكن العيب هو أن نصمت وأن نخاف على الكراسى أثر من خوفنا على الأرض والأهل ..

شىء طبيعى أن ترفض أمريكا عقد القمة العربية .. مع إنها لن تفعل شيئا أكثر من لغة الكلا الهادىء والمتزن .. ولكن العيب كل العيب أن نؤجل القمة ، ورويداً رويداً تتراجع الفكرة من الأذهان ..

شىء طبيعى أن تطالبنا أمريكا بالالتزام بمسيرة السلام ، ولكن العيب كل العيب، أن نؤكد المقولة ونعلن الطاعة مع إننا ندرك جميعا وعن يقين أن هذا السلام ليس سوى استسلام واذعان لكل الشروط الإسرائيلية..

العيب فينا يا سادة وليس فى غيرنا ، كلنا ندرك الحقيقة ، وكلنا على يقين أن إسرائيل هى السلام نقيضان ، وأن بيريز والنتن ياهو وباراك وشاحاك ورابين جميعهم وجوه لعملة واحدة ، ومع ذلك نراهن دوما على الأوهام ..

إن الحل فى أيدينا نحن وليس فى أيدى غيرنا ، وفى تقديرى لو امتلكنا القنبلة النووية لتغيرت المعادلة فى المنطقة كلها ، وأصبح لدينا سلاح سوف يجبر الأعداء على الرضوخ ..

لقد كنت أتمنى من الرئيس مبارك أن يقبل بالعرض الذى قدمته إحدى دول الاتحاد السوفيتى بشراء قنبلة نووية .. صحيح أن الرئيس صادق فى رفضه للسباق النووى فى المنطقة ، لكن ما العمل والصهاينة لا يجدى معهم سلاح سوى السلاح النووى ..

نعم نحن نوافق على دعوة الرئيس بضرورة إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحةالدمار الشامل ، ولكن قولوا لى بالله عليكم كيف قابلت إسرائيل هذه الدعوة وهل استجابت، لها إذا امتلكنا القنبلة النووية فهذا سيكون دافعا لإجبار إسرائيل علي التخلى عن السلاح النووى وكافة أسلحة الدمار الشامل الأخرى التى تمتلكها .. أى أن امتلاكنا للسلاح النووى هو لخدمة السلام والاستقرار فى المنطقة وليس العكس ..

قد يقول البعض ولكن أمريكا لن تسكت ، سوف تحاصرنا ، وتتآمرعلينا ، ولكن دعونى اتساءل أيضا ومنذ متى تركتنا أمريكا فى

حالنا؟ .. إنها لا تكف عن التآمر ، ولا تتوقف عن الآلاعيب ، تارة باسم حقوق الانسان ، وتارة باسم السلام ، وتارة باسم الأقباط ، وكلها أكاذيب وادعاءات ..

لقد عجزت أمريكا عن فرض عقوبات جادة ضد باكستان ، فكرت وتراجعت ، أيقنت أنها الخاسرة ، وأن شعب باكستان لن ينكسر ، وأن حكامه لن يخنعوا ولن يرضخوا .

وعندما جمدت واشنطن المساعدات غير الإنسانية راحت باكستان تهدد بأنها قد تقدم على بيع التكنولوجيا النووية مقابل الحصول على رؤوس الأموال وهو أمر أثار انزعاج السلطات الأمريكية التى رأت أن اللعبة تفلت من يديها ، وأنه ليس أمامها من خيار سوى التفاهم ..

لماذا لا نجرب نحن العرب استخدام هذا الأسلوب مع الولايات المتحدة ؟ لماذا لا نجبرهم على الخنوع والتفاهم ؟ هل يمكن أن يأتى ذلك بالكلمات والرسائل السرية ؟ أم بامتلاك الأسلحة الفتاكة التى تثير الذعر فى النفوس وتفرض أمراً واقعاً جديداً على الساحة ؟

أعتقد أن الاجابة معروفة ، لكننا فى حاجة إلى من يسمع الكلام.

العدد ٧١

١٩٩٨/٦/٢٢م

هـوه الســـــبب

قال بيان أمريكى مقتضب: « إن هناك مؤامرة خفية وراء موجة الحر العاتية ، وإن أجهزة الأمن المعنية كلفت بتحرى الأوضاع على عجل ومعرفة الفاعل بلا خجل ».

بعد قليل تحركت كاميرات الـ « C.N.N » إلى أحد الشواطىء الأمريكية لتقدم إلينا الرئيس الأمريكى وهو لا مؤاخذة « بلبوص » وقف الرئيس الأمريكى أمام الميكروفونات وهو مش طايق نفسه وقال بصوت منكسر : « والله وعملها ».

الكاميرات ، تبث إلينا لقطة نادرة « مدام فياجرا » وشهرتها مادلين أولبرايت تمضى فى شوارع نيويورك مرتدية البكينى ، وناكشة شعرها ، وهى تردد بصوت جهورى : « وحياة أمى ما أنا سايباه ، هحلق له شنبه ، وأرخى له عضله ولا حنساه ».

اندهش الحاضرون وهم يرون عجوزهم الشمطاء فى وضع البلاء .. سألها ولد خلبوص : « تقصدى مين يا مدام مادلين »، ردت وهى شايطة مفيش كلام قدا م اللئام ، حقول كل حاجة لمجلس الأنس ..!!

أسرعت مدام فياجرا ، تخترق الحوارى ، بينما الواد الجن مصور ال «C.N.N.» يتابعها من الخلف والأمام .. العرق يتصبب وكأنها للتو خارجة من الحمام .. صرخت وهى على باب المجلس : « ادونى فوطة يا بتوع القوطة » ..

اعتلت العجوز منصة المجلس .. ضحك مندوب السنغال لأن له مع الحر « موال »، حاول مندوب الهند أن يخفى ابتسامته لكنه لم يتمكن بفعل النووى .. هتف مندوب السودان : « اتغطى يا حرمة » توقفت مادلين ، كشرت عن أ نيابها زغرت بعينيها وقالت : « اخرس لا أجيبلك جارانج »..!

سادت حالة من الصمت ، تقدم مدير مكتب الست ، قدم إليها بعض الأوراق .. تفحصتها بسرعة البرق .. نظرت إلى الحاضرين وقالت : « بالذمة انتو طايقين .. اقلع يا بنى أنت وهوه بسرعة .. »!!

وهى ثوان قليلة ، كان الكل « بلا بيض »، قالت مادلين : « يومكم زى الطين ، هل تعرفون من السبب » ؟

اكفهرّ وجه مندوب الكويت وقال بصوت متهدج : « مين يا معوض»؟..

شعر مندوب السنغال بأن بلاده قد تتحمل المسئولية باعتبارها تقع بالقرب من خط الاستواء .. أدرك مندوب السودان أن المصيبة قد تعلق فى رقبة حسن الترابى .. رفعت مادلين حاجبيها وأعطت للحاضرين رمشاً ولا رمش عبد الفتاح القصرى ، وقالت – بينما الابتسامة الخبيثة تعتلى شفتيها – « صدام هو السبب .. شفتوا قلة الأدب »..!!

مندوب مصر لم ينتظر رأى حكومته قال بلا ضوابط : « دى لعبة أمريكية جديدة ، خلصتوا من النووى والآن تحملون صدام المسئولية» ..

انتفض مندوب الكويت وقال : « الكلام ده ميذرش الميه ، بدليل إن الحرارة وصلت عندينا قرب المية » !!

قالت مادلين : « كفوا عن الجدل .. الحل هو استمرار الحصار ، وتشكيل لجنة لمعرفة الأمور والأسرار» ..

رد مندوب الكويت على عجل « بتلر هو الرئيس .. بتلر غيره مفيش» ضحكت مادلين ساخرة : « بتلر بدون قوات ، زى الست الوقف ، لا راحت ولا جات شخلل جيوبك يا طويل العمر والتعلب فات فات ..» .

انتفض مجلس الأنس عن بكرة أبيه ، بعد أن أدرك أن كلام مادلين لا يقبل الهزار ، قالوا : « وليه لأ؟ يعملها صدام ، ويعمل أبوها كمان » .

أسرع مندوب الكويت يبلغ حكومته بالتطورات ، والمعلومات .. هيأوا مسرح الحرب من جديد ، جاءت القوات تتدفق ، فتحت الخزائن ، صدرت البيانات ، انطلقت الشبح فى الأجواء ، أرسلت فرق التفتيش تريد معرفة كيف تمكن صدام من ثقب الأوزون من جديد ..

أقسم طارق عزيز برأس والده ، أن صدام برىء ، وأنه لا يعرف للأوزون ثقبا ، وأن بلاده تعانى موجه الحر شأنه شأن الكويت ، وأنه مستعد للمساعدة فى سد الثقب إن وجد .

قال بتلر : بل نريد منك أن تدلنا عليه وإلا فالحصار مستمر ، والجوع باق ، وإنت لايرضيك أن يبقى كلينتون بلبوص ، وأن تظل مادلين على ورقة التوت .. قل لنا : أين الثقب وسنرفع الحصار ؟..

قال طارق عزيز : أمامكم العراق فتشوه، قلبوه يمينا وشمالا ، لن تجدوا على أرضه سوى الدمار والخراب !..

اكفهر وجه بتلر ، غادر على الفور إلى البحرين ، ومن هناك أعلن أن العراق لا يريد التعاون ، وأنه لن يقبل بالتهاون .. اذن فليتذر من جديد وإلا فإنه لا يفل الحديد إلا الحديد .

عقد صدام اجتماعاً طارئاً للقيادة .. أبدى دهشته من الاهتمام قال: بصوت أجش : « والله مادلين هذه واخده قرصين فياجرا وبدها تلاعبنا شوية » .

قال عضو بارز في القيادة : « معذرة سيدى الرئيس وليش ما ناخد ٣ أقراص ونعمل زى شمشون ، نهد المعبد ، ونشرب الليمون » .

اندهش صدام من الرد وقال : «وإيش تسوى هذه الفياجرا؟» يا ميمون ، العراق ما بيهاب وما بيخاف ، إحنا ما بيهمنا التهديدات » .

بعد قليل بدأت طائرات الشبح تلقى بالقنابل والعبوات .. العرب خائفون ويدعون العراق إلى تقديم المعلومات .. بيان رسمى من الجامعة يحث واشنطن بأن يقتصر هدف الضربة على تأديب صدام ..

التليفزيونات تقطع إرسالها .. بيان أمريكى مهم .. تخرج إلى الشاشة العجوز مادلين ألقت بالمايوه جانباً وقالت : « ليس لدينا شيء نخبئه عن الجماهير .. نقولها على بلاطة وليكم الشيكولاته .. الحكاية أننا مزنوقين فى شوية فلوس ، قلنا نشوف لنا حكاية أو اتنين .. ولأن صدام هو البعبع للإخوان ، فقد قررنا اختراع حكاية الحر والأوزون .. وحنشوف حتعملوا إيه ؟!

على الفور اجتمعت الأمة على قلب رجلٍ واحدٍ.. انعقدت القمة دون خلافات ، كأن الكل فى عجلة من الأمر ، لم يتدارسوا ما هو مطروح ، أخرج أحدهم ورقة من جيبه وقال : هذا هو البيان .. اقرأ يا أبو الصعدان .. قرأ البيان :

« قرارات القمة ذات الهمة »:

أولاً: توجيه اللوم إلى صدام على موقفه الخيبان ، ومسئوليته عن الحر الذى دفع بتاج راسنا فى واشنطن إلى أن يبقى عريان .

ثانياً : إنه لا تراجع عن فك الحصار إلا بالاستجابة لقرارات مجلس الأنس وآخرها القرار رقم ٧٠٧ الذى يلزم العراق بالإبلاغ عن ثقب الأوزون وأسباب الحر الذى جعل مدام فياجرا فى وضع لا تحسد عليه .

ثالثاً : مساندة جهود الأشقاء فى الكويت من أجل دمر المؤامرة ولو بارتهان بترول الأمة وتمكين الأسياد من ذبح الأنذال ..

والغريب فى الأمر يا أخى أن القرار جاء بالإجماع .. وعندما صرخ حاكم منهم وخرج عن الكياسة وقال : ده حرام .. ردوا عليه ، روح قول الكلام ده لصدام .. بعد قليل وقع البيان وكأنه موافق على كل ما قيل. ولأن الشارع غاضب وثائر ورافض ، راح الإعلام يمهد الأجواء ، ويحكى القصة من البداية دون أن يضع لها نهاية ..

جلست أمٌ عربية تبكى طفلها الصغير فقد مات من نقص الدواء .. صرخت سيدة عجوزة فى الكوفة تبحث عن الرجال .. قال شيخ عجوز : أين العرب ؟ وإلى متى يحكمنا الأمريكان ؟!

خرج علينا سماسرة النضال وقالوا : الحل أن نؤسس جمعية للسلام في بغداد ، تهدى الحكام وتطبع العلاقات ، وكل شيء جاهز وليس أمامنا سوى أن نستسلم للئام ..

جدلٌ عقيمٌ وكلامٌ كثيرٌ ، حكاياتٌ ورواياتٌ وينسى الجميع أن فلذات أكبادنا يموتون ، وأن ثمانية أعوام من عمر الحصار لم تعد تكفي لإرضاء الغرور ، أصبحنا مجرد أدوات لا قيمة لها في عالم الفعل والتأثير ..

ويبقى السؤال : إلى متى !؟ .. إلى متى !؟ بحق الأمة وحق الدين ؟!

العدد ٧٠

١٩٩٨/٦/١٥م

فضوها سيرة

قالت أمنا أمريكا رضى الله عنها وأرضاها .. أنا لا أحب القمة بايخة ونكدية ودمها تقيل ..

وإذا قالت أمنا أمريكا ، فلابد أن نستمع للقول ، وإن نسعى إلى تنفيذ ما هو مطلوب ، وإلا فالعصا الغليظة مشهرة ، والأيدى الثقيلة تنتظر على ناصية الطريق ..

قد يقول قائل : ولكن مصالحكم هى مع القمة ، ومصيبتكم هى فى الفرقة ، التراجع ، وهذا قول وردود عليه ، فالزمن زمن أمريكا ، والكلمة كلمة أمريكا ، والقرار أمريكى صرف .. واللى موش عاجبه يشرب من البحر المتوسط وإذا لم يعجبه المتوسط فأمامه الاطلنطى ..

وأمريكا يا سادة يا كرام اصبحت كالملح فى كل طعام ، كتابا مقررا علينا ، وأفعالا ليس أمامنا سوى الالتزام بها .. انها تأمر ونحن لا نملك سوى الطاعة .. إذا تألمت تألمنا ، وإدا فرحت انشكحنا .

أصبحت تربطنا بها صلة عضوية ، أو قل زواج غير شرعى ، ليه متعرفش ، مع اننا لسنا أقارب ، ولا تجمعنا شركة أو تجارة .

فـهـولاء لهم طريق ، ونحن لنا طريق مـخـتلف .. وهولاء لهم مصالح لنا مصالح أخرى على النقيض .

قالوا إننا شركاء فى الحل ، فزدنا على ذلك وقلنا ان ٩٩ ٪ من أوراق الحل فى يدها الكريمة ، ورغم انه لم يبق وفق ذلك سوى ١ ٪ فـقط إلا أننا رضينا وقلنا ما دام الأمـر فى يد أمـريكا فـهـو فى يدنا ، ومـا دامت ستفتى وستحكم فنحن على ثقة بالحياد . قال إيه لأن لامريكا مصالحها التى لا يمكن أن تضحى بها .

صـرخنا بالصـوت العـالى وقلنا: هذا حـرام ، نحن نسلم مـصـيـرنا لزعيمة العصابة ، قالوا لنا أنتم لا يعجبكم العجب ولا الصيام فى رجب .. كفاكم تخلفا ودعاوى زائفة ، اتركوا الشعارات وعـيشوا الواقع أى لا مؤاخذه بتوع كوبناهجن !!..

ولم نكذب خـبـرا وتركناهم مع الواقع ، وها هو الواقع أمـامنا ، مـر مـرارة العلقم ، تداس فـيه كـرامـتنا بـالنعـال ، ويصل الأمـر إلى حـد التـدخل فى خـصـوصـيـاتنا ، فـهـو الملك حـسين يعلن أن أمـريكا طلبت تأجيل القمة ..

بعض الناس قالوا فى البداية .. عيب يا أخى والله عيب ، إيش يريد منا السـيـد كلينتـون بالضـبط؟ ولكنـهم بعـد قليل راحـوا يتـراجـعـون ، ويخلقون المشاكل الداخلية ، فالقـمة يجب ألا تعقد فى سوريا ، ثم إنه يجب ألا تتـخـذ أى موقـف ضـد التطبيع واتفـاقـيات السلام .. ثم لماذا يا طويل العمر لا نعطى أمريكا فرصة لتنفيذ مبـادرتها السلامية .. ليش الاستعجال ؟ مفيش حد ودانا فى داهية سوى هذا الاستعجال !!

وهكذا بدأت فصول الردح والردح المتبادل عربيا .. الأردن يقسم أنه لن يحضر إذا ما عقدت القمة فى سوريا ، وسوريا تنقسم برأس والدها أنها لن تقبل المشاركة في قمة مهزومة ، الإخوة فى الكويت لا يعترضون على مشاركة العراق فى القمة ، لكن أحدا لن يجبرهم على المشاركة والحضور ، البعض قال مصغرة وآخرون يرونها موسعة وطرف ثالث يراها شاملة !!.

وهكذا سيداتى وسادتى نجحنا فى نقل المعركة من كونها معركة عربية ضد عجرفة اسرائيل وتواطؤ امريكا الى معركة داخلية بين صفوفنا حول مكان القمة والمشاركين فيها والمقررات التى ستتخذها والصيغة التى ستنعقد بها .

واصدقكم القول إن كل الأشاوس عيونهم على ماما أمريكا ، يقرأون ما تريده ، قبل أن تنطق به فهم أصبحوا خبراء فيما تريد ومالا تريد حتى أن السيد كلينتون أصبح متأكدا من ردود الفعل العربية قبل أن تنطلق ، ومدركا لأبعاد الغضبة الكلامية وحدودها ان كان هناك ما يوجب الغضب .

ولأن الفهم أصبح مشتركا بيننا وبينهم ، فهكذا اصبحنا ننطق معا بلسان واحد ، قالت أمريكا سلاما ، إذن هو السلام بغض النظر عن المضمون ، قالت أمريكا كفوا عن النووى ، إذن تقطع ايدينا لو فعلناها ، قالت القمة نكدية ، قلنا بل فقرية وبنت ستين فقرية ، وإذا انعقدت فلا تنعقد إلا لتدعيم ما هو قائم وتأصيل ما هو مؤصل . قد يخرج من بين الصفوف فلحوط أو أثنان ، قد يحدثاننا عن أهمية القمة فى الخروج

من الواقع المهزوم ، قد يطلقان شعارات عفى عليها الزمن عن الوحدة والضغط ، وهنا سيخرج عليهم عقلاء الأمة ليردوا الصاع صاعين والكلمة كلمتين تنقلب إلى حرب عربية- عربية..

وهكذا الحال يا سادة أصبحت حياتنا هزائم منكرة ، نعبد السلام أو الاستسلام - لا يهم - لكن الجهاد كلمة شطبناها من القاموس ..

إذن ماذا نريد من إسرائيل بالله عليكم بعد كل هذا ؟ هل سيخرج النتن ياهو علينا ليعلن إننا أثبتنا حسن النوايا وصدق الالتزام وانه لهذا السبب قرر التضحية بمصالح الإسرائيليين والانسحاب من الأرض المحتلة واعادة القدس إلى أصحابها الأصليين؟ أم أنه سيجدها فرصة سانحة جاءت إليه على طبق من ذهب ، وانه لابد أن يتمدد ويسيطر ويتعجرف ويفرض بالقوة مشروعه على الجميع ؟!

هذا هو التفكير المنطقى لزعيم عصابة المغتصبين ، أما غير ذلك فاسمح لى ، فهو إما هبل عربى متين ، وإما تواطؤ مكشوف مغلف مثل هذه الشعارات التى تحدثنا عن سلام الشجعان بينما أرضنا لا تزال تحت أيدى الاحتلال ، وتحدثنا عن الأمان بينما لا يكف الأعداء عن اقتحام البيوت وقتل الصغار والكبار ، والإصرار على سياسة الاستيطان

أذن هى لعبة مكشوفة ، شارك فيها الجميع ، برعاية صاحب الـ ٩٩٪من أوراق اللعبة .. وظنوا انهم خدعونا بوهم السلام الكاذب ، واختراق المجتمع الإسرائيلى من الداخل ، فقد اتضح اننا نحن الذين اخترقنا ، وإن « اسرائيل » تتربع داخل بيوتنا ، وتجلس على كراسينا ، وتبعث فى أجزاء الجسد بمزاج وراحة بال وهى مطمئنة كل الأطمئنان

بأن أحـدا لن يفكر فى إطلاق رصـاصـة واحـدة ، أو يهـمس همسـه مـزعـجـة ، أو يدعـو لاجتمـاع ثنائى أو ثلاثى أو قمـة شاملة دون أن يحصل على الأذن مقدما ، ويبلغ بنتائج الاجتماع قبل حدوثه ..

الغريب يا أخى أننا نعرف جميعا هذه الحقائق ، بل ونقسم على صحتها ومصداقيتها .. تسأل: أذن إيه الموضوع ؟ إيه الحكاية بالضبط ؟ يخرج إليك الجميع فى صوت واحد وهل هناك أحد يستطيع أن يقول «لا» لأمريكا ، لقد سقط الاتحاد السوفيتى وأصبحت واشنطن تتحكم فى الرقاب والعباد ..

يقولون لك هذا الكلام ، وكأن الاتحاد السوفيتى هو أبونا وأمنا ، وأننا كنا نعيش فى ظله وتحت جناحيه ، وإنه لاحياة لنا من بعده ولا مستقبل لأمتنا بعد فنائه ..

إنه منطق ساذج ، وكلام استسلامى ، هدفه تبرير الخيبة الثقيلة التى تعيشها الأمة ، إنهم يبحثون عن مبرر معقول لهزائمهم وتراجعاتهم المستمرة ، يريدون أن يقنعونا بأننا مجردون من قوة الفعل ، والقدرة على التأثير وإنه لم يبق أمامنا من خيار سوى الخنوع والاستسلام .

ولكن الله أراد أن يكشف الجميع ، فجاءت قنبلة باكستان الإسلامية ، لتـفـضح الجـمـيع ، ولتـؤكـد أن الاحـرار لا يقـبلون إلا بالحـرية ، ولايستطيعون أن يكونوا تابعين ، بل صناع قرار ، وأن أحدا لن يجبرهم على إرتكاب الخطيئة فى حق شعوبهم ، والسقوط فى الوحل ، والموت خوفا من الحصار .

وقـال ذو الفـقـار علي بوتـو عـام ١٩٧٤ : سنأكل العـشب ولكننا لن نتخلى عن صنع القنبلة النووية ، وجاء نواز شريف وفعلها بعد أيام قليلة من التفجيرات الهندية ، رفض التحذيرات الأمريكية وتحدى جبروت العولمة والكوكبة والبطرخة ، أعلنها صريحة .. مصالح باكستان هى الأساس ، لن يهمنا الحصار ، ولن نترك أمنا عرضة للانهيار ..

ماذا فعلت أمريكا ؟ رفضت حتى مجرد سحب السفير ، بحثت عن حجج عديدة ، وجدت نفسها مضطرة إلى التفاهم ، بل والقبول بشروط باكستان ..أدركت أن الشعب الباكستاني وحكومته في خندق واحد ، وأن أحدا لن يخاف سطوتها ، فراحت تلعب لعبتها وتتفاهم ..

أما مجلس الأمن فقد عجز عن اصدار قرار ، ووقع في حيص بيص يبحث عن صيغة للتفاهم بعيدا عن العقوبات ..

إذن هكذا أصول اللعبة .. إفعلها ثم تفاهم .. إنه عالم يخاف ولا يختشى ، مستعد للجرى وراءك ، وتقديم المليارات تحت أقدامك ، ما دامت لديك القدرة على قول « لا » لكنه يسعى إلى إذلالك ثم استعبادك وتركعيك إذا وجد أنك لا تعرف الطريق إلى الرفض ، لأنك خائف ومرتعش ،.

هل فكرنا لماذا تجرى أمريكا ، وتزحف على ركبتيها ، وترجو ، وتتوسل عندما تدرك أننا جادون في عقد القمة ؟ .. هل سمعتم بكلام أمريكا أخيرا أعطونا فرصة أسبوع لإقناع إسرائيل بالمبادرة الأمريكية ترجوكم إعطونا فرصة هذا هو ما يحدث الآن رغم أن أمريكا نفسها هى التى قالت أن الأمر وصل إلى طريق مسدود ، وإنها تفكر في الانسحاب من عملية السلام !

هل فكرتم لماذا قرر المتعجرف النتن ياهو الإنسحاب من جنوب لبنان ؟ ، وليس استجابة لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥، ولا تقديم بادرة حسن نية إلى العرب ، لكنه يريد أن يفعلها بعد أن أحال حزب الله ليلهم إلى نهار وقتل المئات من جنودهم وهدد مستوطناتهم فى الشمال.

تصوروا لو عقدنا القمة الشاملة ، لا نستبعد منها أحدا، وخرجت القمة بقرار يقضى بتجميد العلاقات مع إسرائيل ، وطرد سفرائهم وممثليهم من أقطارنا العربية .. هل تدركون رد الفعل ؟..

ستخرج إسرائيل بعدة بيانات جهنمية ، وستقول أمريكا كلاما غير مقبول عربيا ، ولكن فى النهاية سيبحث الطرفان عن طريقة للحل .

مثلا الإسرائيليون سيحملون النتن المسئولية ، الخوف والذعر سيقتلان هؤلاء اللصوص ، المقاومة ستمتد داخل فلسطين وخارجها ، الأمل سيعود إلى نفوسنا جميعا ، الخلافات ستسقط بين حكام الأمة ، سنشعر جميعا بالعزة والكرامة وبأننا أصحاب قرار ، سندفع الكثيرين إلى الوقوف بجانبنا .. ستقترب المسافات بين العالم العربى والعالم الإسلامى .. سنتعامل مع القوى الدولية على أننا أمة واحدة ، قرارنا واحد ، هنا ستجد الصين نفسها معنا فى الخندق ، وستبحث أوربا عن طريق يضمن مصالحها ، وستعود روسيا إلى المنطقة من جديد .

آه لو خرجنا من العباءة الأمريكية صراحة ودون حذر ، سوف يتحول كلينتون إلى فأر مذعور سيدرك ساعتها إننا إذا قلنا فعلنا ، وإن كلمتنا كحد السيف ، وإن مصالحه ستتعرض للخطر إن لم يصبح محايدا فى الصراع ..

إذن اللعبة واضحة المعالم ، والطريق يبدأ من هنا ..

دعكم من الكلمات الفارغة ، والأقاويل الكاذبة ، فنحن ندرك كل شيء ، ونفهم القصيدة من أولها لآخرها .. لا تتركونا فريسة للغجر والشواذ يفعلون فينا ما يريدون .. اعقدوا القمة وكفوا عن الخلافات ، لقد مللنا حججكم الكاذبة ، وألا عيبكم المكشوفة ، وانصياعكم للأوامر الأمريكية .

كفاكم رهانا على أمريكا ، راهنوا ولو مرة واحدة على شعوبكم ، واعلموا أننا لن نخذلكم .. اعقدوها ، ولكن يجب ألا تحبطونا أكثر ، فإما قمة جادة ترد على عجرفة الصهاينة وتواطؤ الأمريكان ، وإما فضوها سيرة واعلنوا الإستسلام ، وساعتها سيكون لكل حدث حديث ..

العدد ٦٩

٨/٦/١٩٩٨م

درس ســـوهـارتو!!

رحل سوهارتو .. أجبره الطلاب على الاستقالة .. تخلى عنه أقرب المقربين ، تذكروا فجأة أنه الفاسد الأكبر والديكتاتور الأعظم مع أنهم كانوا حتى وقت قريب يضعونه في مصاف الآلهة الصغار، فهو «أبو التنمية» وأستاذ الديمقراطية ورائد الإصلاح وملك النزاهة.

لم يصدق الطلاب رئيس البرلمان وزعيم الحزب الحاكم وهو يقف متحدياً شامخاً مطالبا الرئيس بالاستقالة بل وينذره مع أنه كان منذ ساعات سنده الأكبر ، ويده الطولى التى تدبلج القوانين وتزور الانتخابات ، وتضع المساحيق على الوجه القمىء لإخراجه فى صورة أفضل وأجمل .

انتفضت أندونسيا كلها .. راح الناس يبحثون عن الحرية ، بعد أن تحولت الحياة السياسية إلى مهزلة ، وإنتشر القمع فى كل مكان ، وأصبح البرلمان خادماً لدى الملوك وصانع المعجزات ، وسخر الإعلام لمصلحة الزعيم الأوحد والمفكر الجهبذ.

فى البداية لم يصدق سوهارتو أنه سيسقط من العرش .. كانت التقارير الأمنية تؤكد له أن كل شىء على ما يرام ، وأن هولاء الطلاب مجرد عملاء تحركهم جهات أجنبية لا تريد خيراً لأندونسيا ، وأن القاعدة العريضة بخير ، بدليل أنها لا تتجاوب معهم ، وأن الناس تشعر بأنها لن تجد بديلا للملهم ، وأن إنتخابه ، للمرة السابعة دليل جديد على حب الناس له ، وكراهيتهم للمعارضين !!

ويبدو أن سوهارتو صدق زيف المزيفين ، وكذب الكذابين .. زينوا له طريق الضلال ، وفتحوا أمامه شهوة السلطة إلى الأبد .. لم يقولوا له إن صناديق الإنتخابات زورت بيد رجال الأمن ، وأن الناس تغلى كالبركان ، وأن الطلاب مجرد طليعة ، لكن الثورة تجتاح كل الجماهير .. لم يقولوا له إن هولاء الذين يصفقون له يحتقرونه ويلعنونه صباح مساء،ولم يوضحوا له أن الناس قد أصابها اليأس والإحباط ، وهى ترى أن البلاد إختصرت فى شخص واحد ، وأن دماء الناس قد احترقت وهم يرون العائلة المكرمة ، وقد إبتلعت فى كروشها خيرات البلاد .

كان سوهارتو لديه نهم فى حب المال ، وكان يظن أن الناس غافلة ، وأنها لاتزال تنظر إليه باعتباره قديس البلاد ، الطاهر النظيف . ولم يدرك أن أقرب أقربائه قد أصابهم الضجر والقرف ، فراحوا يسربون الأنباء خلسةعن أنجاله الذين لا يشبعون ، وعن ثرواته المكدسة فى بنوك الداخل والخارج ، وعن الاتاوات التى تفرض على كل شىء ، وحصص الشركات والبنوك التى تقدم كرشاوى مقنعة للأولاد والبنات الذين لم تنجب الأرض مثلهم!!

وكان لسوهارتو إبنه كبرى تدعى « ستى هارد بيانتى » تبلغ من العمر ٤٩ عاماً، لم تكتف بما تمتلكه من أموال حيث تمتلك وحدها ٣٢٪ من بنك اسيا المركزى ، وهو أهم مصرف خاص فى البلاد ، ورأسماله يبلغ ١,١ مليار دولار ، وإنما طالبت بكرسى فى الوزارة .. لم يستطع والدها أن يرفض طلبها ، فالبلد عزبة له .

ولأولاده ، فضمها إلى التشكيل الوزارى الأخير ، وأصبحت بجرة قلم وزيرة للشئون الاجتماعية ، وراح الإعلام الحكومى يطبل ويزمر للسيدة العبقرية التى ستقلب الأوضاع رأساً على عقب ، ويمهد أمامها الطريق إلى ما هو أرفع وأعظم.

وأصبحت عائلة سوهارتو واحدة من أغنى العائلات فى العالم ، ثروتها لا تقل عن أربعين مليار دولار ، وهذا المبلغ يساوى بالضبط قيمة الأموال التى قررت الأسرة الدولية تخصيصها لإنقاذ الإقتصادى الأندونيسى الذى تعرض للإنهيار ..

لم يصدق الناس أن « القديس » يمتلك وأسرته كل هذه الثروات .. لقد خرج عليهم منذ أيام لينفى ما أشاعته عنه مجلة « فوربس » الأمريكية منذ عدة أشهر عندما قالت إنه يمتلك ثروة قدرها ١٦ مليار دولار.. الآن وضح أن الحقيقة تتجاوز ذلك بكثير ..

إبنه الأكبر يمتلك على غرار شقيقته الكبرى ٣٢٪ من رأسمال بنك آسيا المركزى ، أما بقية الأبناء فمصالحهم وإستثماراتهم الرئيسية موزعة فى الطرقات السريعة ، التى تستوفى رسوماً من مستخدميها، والسيطرة على شبكات السكك الحديدية ،ومحطات توليد الكهرباء ،

وإستغلال قصب السكر، وقسم كبير من أسطول ناقلات الغاز المسيل ، والعقارات وإستثمار الغابات والمصانع البتروكيمائية ، والفنادق .

وحتى أصغر الأبناء والذى لم يزد عمره على ٣٦ عاما فقد أنشأ برعاية الوالد شركة إحتكرت « كبش القرنفل » الذى تشكل أندونسيا أول منتج ومستهلك عالمى له ، كما أنه يمتلك شركة لإنتاج السيارة الوطنية «تيمور» التى يتم تجميعها فى كوريا الجنوبية يبيعها سعادته بنصف سعر السيارات التى تجمع فى أندونسيا بدون أن يدفع رسوماً جمركية عليها .

كل هذا قليل من كثير تكشف عنه الأيام ، ويوم كان يردد الأندوسيون هذا الكلام سراً قبل سقوط سوهارتو ، كان يحلو للبعض أن يقول إن ذلك ليس سوى مجرد شائعات !!

وكانت الحياة السياسية لا تقل خراباً عن الأوضاع الإقتصادية ، فالأحزاب مقيدة ، والحريات معدومة ، والصحافة تمجد السلطان ، والتليفزيون أصبح مجرد بوق للدعاية الرخيصة ، وقد قرب سوهارتو إليه أردأ أنواع الصحفيين ، وأكثرهم لصوصية .

كان يحب المنافقين الذين يسبحون بحمده ، وكان يغض البصر عن إنحرافاتهم ، يكره بشدة كل من يفضلون الوطن على الشخص ، وكان يظن أن الإعلام كفيل بإقناع الرأى العام ولم يكن يدرك أن الناس تحتقر الأفاقين وتدرك أنهم لا يقلون خطورة عن لصوص المال العام .

تدخل سوهارتو فى شئون الأحزاب ، حاصر كريمة غريمه السابق سوكارنو وفرض عليها القيود تلو القيود ، إلى الساحة أحزاباً عاجزة، غير قادرة على الفعل ، فأصبحت مجرد ديكور بلا فاعلية ولا وجود.

أما الجيش فقد أصبح له دور مركزى فى الحياة السياسية للبلاد ، تحول قادته إلى رجال « بيزنس » من الطراز الأول ، لهم إستثماراتهم فى العقارات والبنوك ولهم نصيب فى كل الصفقات ، وأصبح أى تهديد لهذه المصالح من شأنه أن يدفع الجيش إلى التدخل بعد أن إرتبطت مصالحه الخاصة بالأوضاع القائمة وشخص الرئيس .

ولم يعول الناس كثيراً على الجيش بعد أن رأوا الفساد يتغلغل بين كبار الضباط وصغارهم .

وهكذا أصبحت أندونسيا مجرد سجن كبير ، خاصة بعد أن إتضح أن دولة النمور ليست سوى . قشرة من ورق ، سجنوا فيها البشر وأحلامهم ، ،وإحتكروا فيها السلطة والثروة وصناعة القرار ، وتدريجياً ظل السجن الكبير يضيق على الناس حتى شعروا بالإختناق ، وساعتها لم يكن هناك بد من الانفجار .

وإشتعلت النار من حيث لايدرى أحد .. انطلق الطلاب بمظاهرات تطلب الاصلاح ، أطلق الجيش رصاصته فقتل ستة فى عمر الزهور ، عم السخط أنحاء البلاد ، وراح الطلاب يتظاهرون فى كل الجامعات .

وعندما نصح البعض سوهارتو بعدم مغادرة البلاد للمشاركة فى قمة الـ ١٥ فى هذا الوقت ، نظر إليهم بإحتقار وقال : كل هذا لعب عيال ..

نظامى ثابت ،ورجالى فى كل مكان ، ولم يكن يدرك أن نظامه كاقتصاده مجرد ورقة هشه تذورها الرياح ..

وحتى عندما عاد سوهارتو كان يدرك عن يقين أن الانتفاضة مجرد هوجة سرعان ما تنطفئ ، وأنه يمكن معالجة كل ذلك بمجموعة من الاصلاحات ، لكن الناس هتفت فى المقابل : فات الميعاد ، لم نعد نثق بك يا سوهارتو !!

إنطلقت الحشود الغاضبة وعيونها على الحى الصينى فى جاكرتا ، أغنى الأحياء الاقتصادية .. كان الناس يكرهون القلة الصينية المقربة من سوهارتو .. لم يكن عددهم يزيد على ال٣٪ من مجموع السكان ، لكنهم كانوا يسيطرون على ثلثى التجارة فى البلاد . أحرق الناس مراكزهم التجارية بمن فيها من الأفراد .. هتفوا ضد الإحتكار والأغنياء وراحوا يسرقون وينهبون .

وكان ماجرى فى الحى الصينى إنذارا لكل الأغنياء وأصحاب الثروات ، ولذلك لم تجد الطبقة المستفيدة أمامها من خيار سوى إجبار سوهارتو على الإستقالة ، إنقاذاً للنظام ولمصالح الأثرياء ..

وقف سوهارتو الذى يعد ثانى أقدم رئيس فى العالم بعد كاسترو يطلب الصفح من الشعب .. قال لهم بلغة كسيرة ذليلة ويداه ترتعشان : إغفروا لى كلما إرتكبت من أخطاء .. سامحونى على التقصير .. أنا مستقيل !!

صرخ الطلاب فى البرلمان والجامعات ، هتفت أندونيسيا فى أحيائها الفقيرة وبيوتها الشاهقة وأخيرا الحرية ..

عمت الفرحة البلاد رغم الألم .. فتح الناس شبابكيهم وأبوابهم التى أغلقوها منذ سنوات .. بدأت الجروح تندمل مع زوال الكابوس ..

عاد الأمل يغرس نفسه مجدداً فى النفوس .. قالت سيدة أندونسية : الآن من حقى أن أحلم .. وقال زعيم المعارضة سأرشح نفسى رئيسا للجمهورية ..

إنقلب الإعلام الذى صدع العقول بالحديث عن إنجازات الرئيس وإلهامات الرئيس ليكشف للناس حجم الثروات وسيطرة الأسرة على مقدرات البلاد .. إنطلقت أصوات المقربين .. حاكموا سوهارتو ، ولا تدعوه يفلت بجريمته ..

أندونيسيا المثخنة بالجراح لا تريد للأزمة أن تستمر ، لكنها تراهن على الإصلاح .. ليس أمام الرئيس الجديد من بديل ، وإلا فالشارع جاهز، والطلاب مستعدون للتضحية بلا حدود ..

آه لو كان سوهارتو قد تحرك قبل فوات الآوان ، وأعطى للأحزاب حريتها ومكنها من تداول السلطة وأشركها فى صناعة القرار .

آه لو تخلى عن الجبروت وأوقف الاعتقالات وتزوير الانتخابات ..

آه لو انحاز إلى جانب الشعب من الغلابة والفقراء وإبتعد عن الأقلية الصينية التى إحتكرت المال والمشروعات .

آه لو أبعد أبناءه وبناته عن السلطة والمال وإرتضى عيشة هنية بعيداً عن المليارات ونهب الثروات .

آه لو خفف من لهجة النفاق وتسخير الإعلام الذى قدمه وكأنه ملهم هذا الزمان .

آه لو إبتعد عن جروج سورروس اليهودى الذى هدم الاقتصاد ، وأعاد البلاد للفقر والحرمان ..

آه لو إستعان بنخبة من المثقفين والوطنيين وأبعد عنه الأفاقين والمنافقين ..

ساعتها كان سوهارتو سيصبح أغنية الشعب وملاذ الفقراء ..

آه وآه وآه ولكن بماذا يفيد الندم ؟ فقد فات الآوان ، فكان لا بد أن يسقط الشيطان .

العدد ٦٧

٢٥/٥/١٩٩٨م

الطريق إلى المواجهة

- في يوم واحد يسقط ثمانية شهداء ويجرح ٢٢٠ فلسطينيا برصاص العدو الصهيوني .
- متطرف.يهودي يحرق باب المسجد الأقصى في ذات اليوم ويتواطؤ حكومي إسرائيلي مفضوح .
- النتن ياهو يمزق كل الاتفاقيات ، يهدد باحتلال مناطق الحكم الذاتي مجدداً ، يخرج لسانه للعرب جميعاً ويتحدى هل من مبا رز ؟ !
- يتطاول على مصر ، بل وعلي مواقف الرئيس مبارك ، ويتآمر علناً مع زعماء اليهود في العالم لضرب الاقتصاد المصري .
- يرسل بجواسيسه إلينا ، يدفع بإعلامه إلى شن حملة تترية ضد قواتنا المسلحة ، وكل ذلك ليس مصادفة ، بل هو مقدمة للتصعيد ، ولا تستبعدوا أن يقدم هذا المجنون على محاولة إحتلال سيناء مرة أخرى .
- أفشل مؤتمر لندن ، فتصورنا أن الدنيا ستهدم ، وأن أمريكا ستندد ، ولكن شاشات التليفزيون بثت إلينا لقاء بين النتن والعجوز الشمطاء وهما في حالة « إنشكاح » ، وليذهب العرب إلى الجحيم !!

● واشنطن تمنح النتن مـزيدا من الأسلحـة ، والكونجـرس يوافق على قانون الإضطهاد الدينى إكراماً لعيونه ، وإنذار بفرض الحصار الاقتصادى على مصر برغم إضطهاد الأقباط !!

دعنى أسألك عزيزى القارئ : ماذا تفعل لو كنت مكان الرئيس مبارك ؟!

هل تصمت مع الصامتين ؟ أم تلقى بكرسى فى الكلوب ؟ أم أن هناك حلولاً أخرى تراها مناسبة ؟

بداية أظنكم توافقون معى على أن الموقف صعب ، وأن المؤامرة كبيرة ، وخيوطها متعددة ومتشابكة ، وأننا لا نستطيع إلا أن نقول كان الله فى عون الرئيس ، فهو يعيش الأزمة ، لأن يده فى النار ، ولأنه يقف وظهره للحائط ، فالأمة العربية تغط فى النوم ، والإتحاد السوفيتى سقط ، إذن على أى شىء يمكن أن يراهن مبارك ؟!

..والإجابة : ليس أمامه سوى الرهان على الشعب .

الناس تغلى فى الشوارع ، تشعر بالمذلة وإمتهان الكرامة ،تريد أن

تثأر من عدوها اللدود.. الناس لا تخاف من النووى أو الكيماوى .. كل فرد فى هذا الشعب قنبلة نووية ، اقرأوا تاريخه وستكتشفون قدرته على الصمود ، واستعداده لتضحية بلا حدود ..

هذا الشعب يفضل الموت على العيش بلا كرامة .. لا تستهينوا بالفلاح فى الريف ، والعمال فى المصنع ، والموظف فى المصلحة ، فهولاء أساتذة منهم نأخذ الدروس ، وعلى أيديهم نتعلم ..

أنت تظن فى بعض الأحيان أن هذا الذى يرتدى الجلباب لا يعرف الألف من ، كوز ، الذرة ، وأنه مصاب بأمية سياسية إلى الأبد .. أبداً وحياتك ، فهؤلاء يفهموها وهى ، طايرة ، ولديهم قدرة على التحليل الصحيح أحسن من بتوع كوبنهاجن ..

هؤلاء مزرعون فى الأرض ، جذورهم فى العمق ، وجوههم المتعبة هى مسحوق هذا الوطن ،عيونهم ترعى الحدود ، وأياديهم تمسك بأشعة الشمس من المنبع .

الناس فى مصر رجالة ، تجدهم وقت الشدائد كالأسود ، الرجل هنا ،يتمسك ، من لسانه ، كلمته واحدة ، وهو مستعد أن يدفع حياته عن طيب خاطر ثمناً للدود عن كرامته يجوع ولكن لا يمد يده ، ، فقرى ويتقنعر ، كما يقول ..

هذا شعب من طراز فريد .. يصمت طويلاً ، يتحمل كالجبال ولا يئن ، إبن نكتة ، يضحك حتى فى أحلك الظروف ، لديه قدرة غريبة على التعايش مع الأزمات والمشاكل .. يقهر الظروف ويبقى هو صامداً ، لديه نفس طويل ، وحب للحياة بلا حدود .. يكتب الشعر ويغنى المواويل ، تراثه الشعبى مبهر ، تتنافله الأجيال وراء الأجيال يحافظ على التواصل بطريقة غريبة ، وكأنه صنع لنفسه عالماً خاصاً يحفظ به الذات والتاريخ بعيداً عن الحكام .

سبعة آلاف عام ، حضارة وتقلبات ، انتصارات وإنكسارات ، تحرر وعبودية ، أكيد هذا الشعب تعلم الكثير ، وفهم الكثير ، ولذلك لن يستطيع أحد أن يضحك عليه .. ممكن يسكت لكن بمزاجه، ممكن

يطنش لكن بإرادته .. ممكن يهتف ويطنطن ولكن بمجرد إنفضاض المولد يعود إلى ذاته ويبدأ فى توجيه وصلة النقد والإنتقاد .

ومصر بلد الشجاعة والفداء .. ألم تسمعوا عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر ، فأتخذوا منها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض » فقال أبوبكر : « ولم يا رسول الله » ؟ قال : « لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة »؟!

ومصر بلد البركة ، وقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه قال : « قسمت البركة عشرة أجزاء ، ففى مصر تسعة ، وفى الأرض كلها واحد ، ولا تزال فى مصر بركة أضعاف ما فى جميع الأرضين » .

بالذمة أليس هذا الكلام صحيحاً؟ عن مجاعات من حولنا ، أما نحن فمستورة والحمدلله ، نجلس على الطبلية وليس أمامنا سوى طبق الفول أوالمش وكام رغيف من اللى يحبهم قلبك ونشعر بالرضى والهنا أفضل من هؤلاء الذين يدفعون دم قلبهم على الموائد العامرة « ويادوب » يشموا الأكل .

الواحد فينا لا يمتلك سوى جلابية أو « اتنين » إنما «بيجى » ساعة العصارى ويسحبها من على حبل الغسيل ويضرب الفازلين فى شعره ، ويضع المشط فى جيبه ، ويرتدى البلغة « ويا دنيا أتهدى ما فيكى حد قدى » .

ويا أخى كل من يأتى إلى هذا البلد يحبه بحلوه ومره .. وعندما دخل يوسف عليه السلام مصر وأقام بها قال : « اللهم إنى غريب

فحببها إلى وإلى كل غريب ، فمضت دعوة يوسف من يومها ولا يدخل مصر غريب إلا وأحب الإقامة بها ، وبدأنا نسمع المواويل عن أن من يشرب ماء النيل لابد أن يعود إليه « تانى » ..

والدنيا من حولنا تخرب وتجتاحها الكوارث ونحن هنا صامدون قال القرطبى : « يبدو الخراب فى أطراف الأرض حتى تخرب ومصر آمنة من الخراب » .

ومصر بلد معفاة من الفتن ، نسيجها واحد ، ومن أرادها بسوء أكبه الله على وجهه ، وجعله « فرجة » للعالمين .

إذن بعد كل ذلك ماذا نريد ؟.. لقد إختصنا الطبيعة بصفات عظيمة وتاريخ وحضارة وإيمان وترابط وحب لهذا الوطن ، ألا يعطينا ذلك كله إيمانا حقيقيا بالانتصار على الأعداء والقدرة على تحقيق المستحيل .

نعم يعطينا ولكن كيف ؟! هنا مربط الفرس ..

لذلك أعود إلي السؤال الأول كيف للرئيس مبارك أن يحبط مخطط الأعداء الذى يستهدفه ويستهدف مصر كلها ..؟!

لا أظن أن شخصية مبارك ترضيهم ، إنهم يريدون شخصيات خانعة ، تقبل بكل شئ ،وتلتزم بما يريده الأسياد ، ومبارك رجل يحب هذا الوطن ويعتبر نفسه مسئولاً عن كل حبة تراب فيه ، بل ولديه إيمان حقيقى بأن أمريكا وإسرائيل تتآمران على مصر صباح مساء ، ولكنه يحاول أن يحافظ على ثوابته باستخدام لغة الدبلوماسية التى أثق بأنها على حساب أعصابه .

وأنا وغيرى لا يتصور أن مبارك هذا الطيار الذى قاتل إسرائيل فى ١٩٧٣ وعاش أحلى سنوات عمره على جبهة القتال يمكن أن يقبل بمخططات إسرائيل ، ويشترى دماغه ، لأنه يدرك أن ذلك ضد منطق الأشياء ، وأن ضميره الوطنى لن يقبل ، وأن الرأى العام لن يسكت ، لذلك تجده مهموماً بالبحث عن مخرج لمأزق عملية السلام ، يجرى الاتصالات ويتفاوض مع أراذل القوم ليجنب المنطقة خطر الحرب ..

ولكن من الواضح الآن كل شيء يمضى بنا نحو الصدام .. فماذا إذا حدث الصدام ..؟!

أولا لابد من تعبئة الجماهير ، وحشدها ، وإطلاعها على الحقائق كاملة ، والكف عن أساليب النفاق التى تصيب الناس باليأس والإحباط .

لابد من مصارحة الناس ، وكسب ثقتها ، لأن الناس فقدت الثقة فى أشياء كثيرة ، وأنزوت جانباً بعد أن أدركت أن الفساد عم وأن نجومه أصبحت لهم سطوة وحظوة وحصانة ، وأن مؤسسة الفساد متشابكة الخيوط ، تحمى بعضها البعض وتدوس على الجميع ، وتكتم الأصوات الحرة ، وتغلق الصحف .

لقد رأينا فى هذا الزمن ظواهر نشاز تسيطر وتهيمن ، وشاهدنا بأم أعيننا كيف تباع القيم والمبادئ فى سوق النخاسة ، وكيف كفر الناس بالحياة السياسية على شتى ألوانها وفصائلها وأحزابها ..

أحكام القضاء لا تحترم ، وحياة البنى آدمين لا قيمة لها ، وقطار الخصخصة يدهس الفقراء لأجل كروش الأغنياء ..

نحن فى حاجة إلى مراجعة كل الملفات ، حتى نتمكن من إزالة الصدأ الذى علق بالنفوس ، وساعتها « اتفرج » على الشعب المصرى ..

الناس « تعبانة بجد ، ذهقانة ، مخنوقة » ، لذلك لا يجب ترك كل شئ يمضى إلى منتهاه سيقودنا إلى الفوضى بالضبط كما يحدث فى أندونيسيا ..

إذن الرهان هنا على الرئيس ، فهو صاحب القرار ، والشعب الذى يثق به سيقف معه بكل قوة ضد من يحاولون تركيعنا وإذلالنا ، ولذلك فالتغيير هو لمصلحة النظام ، لمصلحة الوطن ولمصلحة الناس ..

نحن فى حاجة إلى التغيير حقيقى ، أما إذا كان الأمر هو تعيين أحمد بدلاً من الحاج أحمد فهذا لن يغنينا فى شئ لأنه لن يؤدى إلى استمرار الأوضاع القائمة .. فهل يقود مبارك ثورة جديدة على قدر التحديات المفروضة عليه ؟.. هذه أمنية كل المقهورين ،بل وأمنية كل المواطنين إذا ما حدث التغيير وعاد إلينا الأمل فسوف تعمل أمريكا لنا ألف حساب وحساب ، أما الآن فهى تراهن على سلبية الشارع ولذلك ليس أمامنا من خيار سوى إستنهاض عزيمة المصريين لمواجهة الخطر المحدق بالجميع .

العدد ٦٦

١٨/٥/١٩٩٨م

ايــه الــعـــــــمــل ؟ !

فشل مؤتمر لندن ، وضاعت الفرصة تلو الأخرى ، تعامل النتن ياهو مع الجميع بلغة واحدة ، رفض كل المطالب ، صمم على وجهة نظره رغم توسلات العجوز الشمطاء .. احرج الجميع ، بلا إستثناء ، سألت نفسى من أين النتن ياهو بكل هذه القوة ؟!

وكانت الإجابة كلمة واحدة : « الإيمان » .

نعم .. إن هذا الرجل يؤمن بأن إسرائيل الكبرى لن تتحقق إلا بالتطرف والقوة والعنف وإذلال الآخرين .. إنه يدرك أن أمريكا لها مصالحها وبريطانيا لها مصالحها والعرب لهم مصالحهم ، لكنه يؤمن بأن مصلحة إسرائيل لديه هى الأهم .. إنه يخاطب الشارع الصهيونى بلغته ، ويتشدده ، ولهذا ليس غريبا أن يكتسب نتن ياهو كل يوم شعبية أكبر وسط اليهود لأن نتن ياهو كل يوم شعبية أكبر وسط اليهود لأن الكل نتن ياهو وتلك هى الحقيقة .

بالأمس أجبر البيت الأبيض على إلغاء قمة واشنطن ، ويهدد الآن بإسقاط كل من يرفض الإنصياع إلى مشروعه .. ورغم أن أمريكا

هى الحليف الأقوى والأهم لكنه يهاجمها بعنف لأنها تختلف معه فى هامش بسيط ومساحة ضيقة للغاية .. لا يعمل حسابا لأحد سوى الشارع الإسرائيلى وأهداف آل صهيون ..

هل تتذكرون يوم أن ألغى عشاءه مع وزير الخارجية البريطانى عندما قام بزيارة إلى مستوطنة جبل أبو غنيم كإعلان عن تضامنه مع الفلسطينيين ؟.. عامله بإحتقار ، وطرده شر طردة ..

أما نحن فى المقابل .. وآه ياعينى على حكامنا .. نعشق أمريكا والتراب الذى يمشى عليه سيد البيت الأبيض ويضربوننا على « القفا » ولا نملك سوى الانصياع .. يرغموننا على التنازل خطوة خطوة ولا نملك إلا الموافقة ولا الضالين أمين ، ننادى بالسلام ولكن ليس من حقنا تفسير معناه وإلا إعتبرنا إرهابيين معادين لحقوق الإنسان ونسعى إلى إلقاء إسرائيل فى عرض البحر .

الحديث عن إزالة المستوطنات هو من المحرمات التى لا يجوز الاقتراب منها وإلا إتهمنا من إسرائيل وإستقرارها .

إذا بنوا جبل أبو غنيم مسموح لنا أن نتباكى لبعض الوقت ولكن أحدا لن يمنع بناء المستوطنة ، ولن يجرؤ على وقف البناء ..

إسرائيل تمزق إتفاقات كامب ديفيد وأوسلو ووادى عربة ، تدوس بحذائها الثقيل على كل تعهد ولكن حذار أن يعلو صوتنا وأن نتجنى عليها ونتهمها بمعاداة السلام ..

إسرائيل تريد أن تبدأ معنا من آخر نقطة ، وكن قبل أن تبدأ تأتى إلينا بالجديد ، نتحدث عن مستوطنات الخليل ، فتأتى إلينا بمستوطنة أبو غنيم ، ننسى الخليل ونتحدث عن أبو غنيم ، فتبدأ معنا لعبة جديدة أسمها مستوطنة رأس العامود ، ننسى أبوغنيم فتبدأ معنا لعبة الـ ٩ ٪ أصبحنا نلهث وراء الشروط ندرك أن ما يحدث هو السراب بعينه ، لكن حكامنا يريدون أن يهنأوا بالكراسى والعروش ، لذلك تجدهم يرفضون المصارحة ، ويراهنون على عنصر الوقت .

عنصر الوقت يا سادة ليس فى صالحنا ، إنه فى صالح إسرائيل التى تثبت أقدامها كل يوم عن الآخر ، تهيمن وتسيطر وتسخر الخونة والحلفاء لمصالحها وإستراتيجيتها ..

لم نعد نصدق كلماتكم عن ضرورة إتخاذ موقف حاسم .. فكلماتكم باهتة لا معنى لها ، ومفرداتكم لا تؤدى المعنى أو الغرض .. مطلوب منا أن نضبط النفس حتى آخر متر من أرضنا السليبة .. مطلوب منا أن نسكت ونحن نرى الصهاينة يمتدون إلى بيوتنا ويدخلون غرف نومنا ، ويزجون بالسم إلى بطوننا .. مطلوب أن نخرس ونحن نرى المسجد الأقصى قاب قوسين أو أدنى من الهدم ، والقدس السليبة وقد تم تهويدها وإبتلاعها إلى الأبد .

إعلموا يا سادة أن من يفرط فى القدس سيفرط فى ترابه الوطنى ، سيتحول إلى خاتم فى محراب الصهاينة ، وعبد ينفذ مؤامرتهم ضد وطنه وضد أهله ..

إذا كنا جادين فلندع لقمة عربية شاملة بأسرع وقت ممكن ولنبدأ بطرد سفرائهم من أرضنا ، ولنقطع العلاقات معهم ولنستعد للمواجهة .

«إسرائيل» شعب من الجبناء لا يخافون إلا لغة القوة .. إنسحبوا من غزة بسبب الانتفاضة .. يصرخون فى جنوب لبنان ويريدون الخروج لأنهم وجدوا شبابا لبنانيا مستعدا للموت والشهادة .. تلك هى اللغة التى يفهمونها .

خمسون عاما والأرض مغتصبة .. خمسون عاما ودماء الشهداء فى دير ياسين وكفر قاسم وسيناء وبحر البقر وصابرا وشاتيلا وقانا تستصرخ العرب ، فأين هم العرب ؟!

أما أن لهذا الليل أن ينجلى ؟!.. ألم يحن الوقت بعد لنطوى الصفحة السوداء فى تاريخنا ؟!

نحن لسنا أمة ضعيفة .. حكامنا فقط لا يريدون المواجهة .. إرتضينا بلغة الكلمات السقيمة البالية الضعيفة ،وتجاهلنا سلاحا أقوى هو سلاح الجهاد ..

آه لو تركتم الأمة تنطلق .. آه لو سمحتم لشبابها بفك القيود ..

قسماً سنعيد للأمة مجدها وإنتصاراتها .. سنعيد أيام صلاح الدين من جديد .. سوف نسترد الأرض ونجبر عصابات الوهم على الرحيل..

وإلى أن يحدث ذلك عهداً بأننا لن ننسى .. ولن نتراجع ، سنرسم الأرض فى عقولنا ، ستبقى القدس محفورة فى قلوبنا ، سنتذكر الشهداء وتضحايتهم .. لكن أحدا لن يهزمنا ولن يجبرنا على النسيان .

العدد ٦٥

١٩٩٨/٥/١١م

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

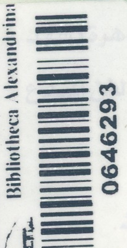
رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٢٣٤ / ٩٩

I. S. B. N. 977 - 01 - 6506 - 9



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل - للشاب - للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع 1999



٣٠٠ قرش